الحرب الخاصة وتطبيقاتها

جمع وتأليف: لجنة بحوث العلوم الاجتماعية في أكاديميات المجتمع الديمقراطي

منشورات لجنة بحوث العلوم الاجتماعية

اسم الكتاب: الحرب الخاصة وتطبيقاتها.
جمع وتأليف: لجنة بحوث العلوم الاجتماعية في أكاديميات المجتمع الديمقراطي.
www.facebook.com/Lekolinen Civaki
zanistencivaki@gmail.com
الطبعة الأولى.
تاريخ الطبع: تشرين الثاني 2017

1- المدخل /5/
2- مفهوم الحرب التقليدية /8/
3- الحماية الذاتية (الدفاع المشروع) /17/
4- الحرب الخاصة /20/
a. أدوات الحرب الخاصة /28/
b. الجنس /30/
c. االرياضة /45/
d. الفن /59/
e. استراتيجيات الحرب الخاصة /73/
f. دعائم الحرب الخاصة /105/
5- 5) الحرب الخاصة في الشرق الأوسط /114/
a. الحرب الخاصة في تركيا /117/
b. الحرب الخاصة في سوريا /159/
c. الحرب الخاصة في العراق /186/
d. الحرب الخاصة في إيران /192/
e. 6) دور دوائر الحرب الخاصة في اعتقال القائد عبد الله أوجلان /201/
f. 7) التدابير اللازمة التي يجب اتخاذها تجاه الحرب الخاصة /207/
g. المصادر /210/

المدخل

الحرب الخاصة، الحرب النفسية، الحرب الناعمة، الحرب الإعلامية، غسيل الدماغ، الحرب بدون دماء؛ كلها مصطلحات تدور حول الفكرة الجوهرية لشكل وأسلوب العمليات التي تستهدف النفس البشرية، والتي تفرض بها القوى التي تمتلك أدواتها أسلوب معين من التصرفات تخدم مصالحها وتوجهاتها الأيديولوجية والسياسية والتجارية.

وإذا كانت ضرورة الحرب من عدمها بمفهومها التقليدي "الحرب الساخنة" لا تزال محل جدل، وخاصة عندما نتناول السياقات التاريخية الطويلة التي عاشت فيها البشرية بدون حرب مقارنة بالحقبة التي فرضت فيها الحرب التقليدية والخاصة نفسها على تفكير أصناف معينة من البشر، فأن الحرب الخاصة التي مهدت للحرب التقليدية ورافقتها وعززت وجودها بأساليبها المركبة من عمليات التضليل والإعلام الكاذب والحرب النفسية والدعاية الموجهة كانت المسبب الأول لتغيير طرق التفكير والتوجيه. ليبقى الإجابة عن سؤال هل تاريخ البشرية هو تاريخ حرب أم تاريخ سلام معياراً أساسياً ننطلق منه لقياس مدى التأثر بالحرب الخاصة وأدواتها الدعائية والترويجية.

لذا لا بد من البحث معمقاً في ظاهرة الحرب الخاصة وخاصة أن أدواتها باتت تسيطر على أسلوب حياتنا بشكل مخيف، فنبذ العادات والتقاليد والإرث التاريخي الأخلاقي والاجتماعي وتقديس التقليد والتشبه بالآخرين، والاستسلام للقشور من النماذج الغريبة، لم تعد من مهمة الحرب التقليدية "العسكرية" لطالما كانت الرسالة الإعلامية الموجهة تأتي بنتائج تفوق نتائج الحرب العسكرية من حيث سرعة إحداث التغيير المطلوب في الساحة المستهدفة والتكلفة الأقل والدقة والعمق الزماني والمكاني. كذلك، فأن لأساليب إحداث الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بعيداً عن التدخلات العسكرية التأثير الأكبر على الحالة النفسية للشعوب المستهدفة

وتحطيم الروح المعنوية لدى أفرادها والقبول بما تفرضه القوى المهيمنة دون إرادتها.

مما لا شك فيه، أن هدف الحرب الخاصة كهدف الحرب التقليدية هو السيطرة وزيادة النفوذ، ولكن في إطار النفس البشرية التي يعني استسلامها تسليم المنطقة الجغرافية المستهدفة بمن وبما عليها من الثروات الاقتصادية والعسكرية وقبل كل شيء الثروة البشرية، فالعلاقة الجدلية بين الحرب كمفهوم خشن والنفس كميدان للعمليات المرنة لدى الكائنات الحية وعلى رأسها الإنسان تجعلنا نبحث في دهاء وخطورة هكذا نوع من الحرب التي غالباً ما تصل إلى أهدافها دون التمكن من كشفها من قبل الطرف المستهدَف، بل أحياناً يتم الترويج لنتائجها والاعتقاد بصحتها دون وعي.

ففي الحالة المعاشة "المفروضة علينا من قبل السلطة المركزية المهيمنة" تكاد تؤدي عمليات الحرب الخاصة إلى تحكم الفردية المجردة من ارتباطاتها وضوابطها، وإلى فساد ودمار القيم الاجتماعية بعد محاولات مسخ المجتمعية كشرط أولي للقضاء على الجنس البشري. فكل شيء مباح للفرد وحتى إن تعارض مع المنظومة الأخلاقية للمجتمع، بل باتت أدوات الحرب الخاصة الإعلامية قادرة على إقناع بعض الفئات المعينة بأن الأخلاق لا يعني سوى "الحماقة والسذاجة"، ومن هنا تبدأ عمليات التبرير للإبادة الاجتماعية والأخلاقية واعتبارها ضمن العمل المشروع للأنظمة.

وكذلك، الأمن العام للمجتمع يعاني من مهالك مشابهة، فالرأسمالية عبر مقاربات حربها الخاصة "جعل كل واحد منا ذئبَ الآخر" يقود إلى بروز مشكلة أمنية عامة. فالأمن الاجتماعي لا يُفسَد من الخارج فحسب؛ بل إن ما أدى إليه النظام المهيمن يجلب معه الحاجة الملحة للأمن، وعلى رأسها المجاعة والبطالة. والمجتمع بات وجهاً لوجه أمام الانقطاع عن كافة أنواع عناصر الحياة التي لا غنى عنها، وفي مقدمتها البيئة، السكن، الصحة، التعليم، العمل، والأمن؛ أصبح – ولأول مرة في التاريخ – منتبهاً إلى عجزه

عن إيجاد الحلول الجذرية لمشاكله. إنها مرحلة تدوخ فيها العقول وتصاب بالدوار بسبب عقم الحل.
وهنا يبرز دور الآليات الدفاعية، الفن، العلم والتقنية التي ظلت عاجزة عن لعب دورها بسبب الاحتكار المفرط للسلطة الرسمية إياها؛ رغم أنه من الواجب أن تؤدي وظائفها أكثر من غيرها في مثل هذه المراحل داخل أنظمة المجتمع التاريخية. وكلما انهار التعاضد المشاعي، كلما خارت قوة الدفاع التقليدي، لتتخلى عن مكانها للعنف الفردي والعنف العصاباتي.
ومن هنا، ارتأينا في لجنة بحوث العلوم الاجتماعية في روج آفا أهمية التركيز على ظاهرة الحرب الخاصة وتحليل تطبيقاتها وخاصة تلك المستهدفة لحياة شعوب الشرق الأوسط وسوريا من كرد وعرب وسريان وباقي الشعوب الأصيلة للمنطقة بشكل مستمر ومتواصل منذ آلاف السنين، أملاً في أن نضيف مادة علمية إلى جهود تحليل هكذا نوع من الحرب، وخاصة أنها أكثر ما تقوم به استهدافها المستمر للقيم المعنوية لشعوب الشرق. ونهدف من خلال فصول هذ الكتاب إلى الكشف عن أساليب تلك الحرب وتطبيقاتها العملية بغية معرفتها والحذر منها وتقوية الآليات الدفاعية، وإبعاد تأثيرها عن مجريات حياتنا. ونستند في ذلك إلى الجذور التاريخية لشعوب المنطقة والتي عجزت القوى الرأسمالية في زرع أفكارها بالدرجة المخططة لها، وإن توغلت جزئياً بشكل سلبي عبر تلك التطبيقات في بعض الجوانب الفكرية والنفسية، مستفيدة من تواطؤ العوامل الداخلية التي كثيراً ما يتم العمل على تعزيزها من قبل تلك القوى، وتخبطت بها في بعض الفترات وخاصة في القرنين الأخيرين ضمن عجلة مراقبة الحضارة الأوروبية لها.

في مفهوم الحرب التقليدية "الحرب الساخنة"

يختلف تعريف الحرب من مدرسة فكرية إلى أخرى، وبنفس القدر يختلف تعريف السلام، وتتعلق بمقاربات عملية تتعلق بالأهداف السياسية والاقتصادية. ففي الوقت الذي تعتبر فيه القوى الرأسمالية والتوسعية الحرب منهج الحياة المستمرة للقوي، والسلام كخيار للاستسلام، وهنا يتداخل مفهوم الحرب مع منطق الهيمنة بشكل صريح، تذهب مذاهب فلسفية أخرى إلى تعريف الحرب بأنها انحراف عن الطبيعة البشرية، والسلام هو الانسجام بين مختلف الفئات الاجتماعيّة التي تتميّز بعدم العنف أو الصراع بين السلوكيّات، ولديها التحرر من الخوف من العنف. المفهوم السائد يعبّر عن عدم وجود العداوة والانتقام، ويوحي السلام أيضاً بالمحاولات الصادقة في المصالحة، مع وجود العلاقات الشخصيّة أو الدولية التي تلتئم بطريقة صحيّة وحديثة مع الازدهار في مسائل الرعاية الاجتماعيّة أو الاقتصاديّة، وتحقيق المساواة، والنظام السياسي في العمل الذي يخدم المصالح الحقيقية للجميع.

يضع قائد الشعب الكردستاني عبد الله أوجلان الحرب على رأس الكوارث الاجتماعية وخاصة في القرون الأربعة الأخيرة حيث تسببت بفقدان مئات الملايين من الضحايا، ويعرفها بأنها شكل من أشكال الإنتاج. ذلك أن الفتوحات هي موارد ربح وفير وهام، ففتح الأراضي الجديدة يعني إنتاجات فائضة أخرى. والدولة الأقوى هي الدولة الأفضل في حربها وفتحها. كما يشير إلى حرب الدفاع المشروع التي تخوضها الشعوب للدفاع عن نفسها ضد الاحتلال، حيث يشدد على أنه غالباً ما يكون دور العنف سلبياً ومدمراً، فيما عدا بعض الظروف التي يكون فيها محدداً لوجهة التطورات الاجتماعية، مثل شق الطريق إلى الحرية، والتصدي للاحتلال أو الغزو أو الاستعمار.

استجوب أحد الضباط الإيطاليين الثائر الليبي عمر المختار أثناء فترة اعتقاله عن سبب محاربته للقوات الإيطالية فأجاب: "لا شيء إلا طردكم من بلادي لأنكم مغتصبون، أما الحرب فهي فُرضت علينا". واستبعد السياسي البارز والزعيم الروحي للهند مهاتما غاندي خلال حركة استقلال الهند الحرب كخيار لشعوب بلاده ضد البريطانيين على الرغم من اجراءات الاحتلال القاسية وفضّل العصيان المدني، وبحسب غاندي فأن "كسب المعركة لا يكون بمقدار ما نقتل من خصومنا ولكن بمقدار ما نقتل في نفوسنا الرغبة في القتل".

الحرب اصطلاحاً:

تعرف الحرب بأنها نزاع منظم في أكثر الأحيان ينشب بين عدة أطراف متضادة المصالح. ويتميز بشكل عام بالعنف المتطرف، الفوضى الاجتماعية وإلحاق الدمار الاقتصادي بين الأطراف المتنازعة، وتستخدم فيها القوات المسلحة كل الوسائل لإلحاق الضرر والأذى بالطرف الآخر في الحرب سواء في قدراته العسكرية او مقدراته المدنية ويتم ذلك عن طريق التدمير المنظم والمخطط.

الحرب في تعريف المنظِّرين السياسيين والعسكريين مظهر من مظاهر السياسة، أو هي كما يقول الفيلسوف والمنظر العسكري الألماني كارل فون كلاوزفيتز استمرار للسياسة بوسائل أخرى، وأنها "عمل عنيف يقصد منه إكراه الخصم على الخضوع لإرادتنا". فالحرب على هذا الأساس أداة من أدوات السياسة، الغاية منها حماية مصالح الجهة المحاربة أو توسيع دائرة نفوذها. والحرب من وجهة النظر الرأسمالية ظاهرة اجتماعية معقدة ومتعددة الجوانب تتطلب حشد الموارد المادية والمعنوية. ويتعارض هذا الرأي إلى حد ما مع المفهوم الماركسي اللينيني القائل إن الحرب نتاج صراع الطبقات، فيما يخالف القائد عبد الله أوجلان تلك النظريات في فلسفة الأمة الديمقراطية، وخاصة تلك التي تعتبر الحرب مظاهر من مظاهر السياسة، فالسياسة بحسبه "تحمل البعد الأخلاقي بل ويتعداه أيضاً ومهمتها إيجاد أفضل الأعمال للمجتمع، وأن ثقافة العنف المهضومة تتغذى في المجتمع على الحروب". وهنا لا نعتقد بأن الحرب هي أفضل الأعمال بالنسبة للمجتمع، بل هي المسبب الأساسي لدماره، ويتفق معظم المنظرين مع هذا الرأي، لذا كان البحث دوماً عن الوسائل المناسبة لإيقاف الحرب وتحقيق السلام الشغل الشاغل لدعاة حقوق الإنسان.

أسباب الحرب:

ليس هناك أي سبب للحرب سوى فرض أيديولوجية محددة على أخرى، والوصول إلى السلطة وتوسيع النفوذ، وتحقيق الربح عن طريق إيجاد أسواق للسلع المصنَّعة وغيرها، والحصول على المواد الخام بأسعار زهيدة تتحكم فيها الدولة المستعمرة. فيما عدا ذلك تصنف في خانة الذرائع التي كثيراً ما تلجأ إليها القوى المتعطشة للحرب، كادعاءات الدفاع عن حقوق الإنسان، أو التحرر من الجهل وإدخال التطور في البلد المستهدف، وكان نابليون يتحدث عن قوام الحرب الثلاث: "المال

والمال والمال"، وهي حقيقة تجسّد مدى انحراف الجنس البشري عن خصائصه الاجتماعية. وكان بول بوت (رئيس وزراء كمبوديا) يخاطب شعبه: "أريدكم أن تعرفوا أن كل شيء فعلته، كان من أجل بلدي"، في الوقت الذي كانت المنظمات الحقوقية تتحدث عن وفاة أكثر من ثلاثة ملايين شخص بسبب الإعدام، العمل القسري، وسوء التغذية، والرعاية الطبية السيئة، خلال ثلاث سنوات من حكمه.
يقول الكاتب الساخر جورج برنارد شو إن "البريطانيين أمة تهمهم التجارة والأسواق التجارية، فهم عندما يريدون الاستيلاء على بعض البلاد يدّعون أنهم إنما يذهبون إلى هناك بغرض إشاعة المدنية والحضارة، ونشر النصرانية فيها، وأنهم يستعمرونها لأسباب إنسانية محضة وليس بغرض الاستعمار والاستحواذ عليها وفتح أسواقها لبضائعهم وسلعهم المصنَّعة".

تاريخ البشرية تاريخ حرب أم تاريخ سلام؟

عندما نشر الباحث والأستاذ الجامعي الأميركي انتوني ادولف كتابه الجديد "السلام، تاريخ العالم" عام 2009، بدا للكثير من النقاد أن نظرية ادولف أقرب إلى المثالية، على الرغم من أن تلك النظرية لم تنكر تفوق الحرب وأهميتها، وجدت أن السلام قد شارك أيضا بفعالية في صنع تاريخ العالم. ويستشهد الباحث بأحداث الفترة ما بين عام 1496 ق.م وحتى عام 1861 ميلادي، أي خلال فترة تمتد 3357 سنة كانت هناك 227 سنة عمّ فيها السلام مقابل 3140 سنة من الحروب والنزاعات الساخنة.
وعلى أساس الكم يبدو أن هناك هشاشة واضحة لدور السلام في تاريخ العالم بالقياس إلى فترات الحروب، ولكن دون انتصار الذين يميلون إلى المصالحة ودون الميل إلى التهدئة ما كان هناك أي تاريخ لكتابته، وأن تاريخ العالم هو تاريخ سلام بمقدار ما هو تاريخ حرب ولحقب السلام فيه يعود بقاء الإنسانية.
تعج صفحات كتب التاريخ المكتوبة بقصص الحرب وصور أبطالها وبطولاتهم، وكذلك المنجزات التي تحققت بفعل الحرب بحسب بعض الرؤى المتطرفة للحرب، وللوهلة الأولى نعتقد أنه بالفعل يمكن إرجاع تاريخ البشرية وتطورها إلى الحرب، وهنا عندما نتناول الحرب فأننا لا نتناول مدتها الزمنية فقط، بل تأثيرها ومدى توغلها في العمق الذهني للبشرية، فتلك الرؤى والتي تجسدها بشكل عملي مقولة

هتلر: "أولئك الذين يريدون أن يعيشوا دعهم يقاتلون وأولئك الذين لا يريدون القتال في عالم الصراع الأزلي لا يستحقون العيش"، تؤسس بشكل مباشر لنظريات الحرب وتطبيقاتها وتشرع لها.

في جميع مرافعاته، يقدم قائد الشعب الكردستاني عبد الله أوجلان رؤية مناقضة لنظريات الحرب في الغرب وحتى في بعض دوائر الشرق السياسية والعسكرية، ويعتبر أن تاريخ البشرية هو تاريخ سلام، وإن كان التاريخ في إحدى معانيه يعني التعاظم التراكمي للسلطة التي تمثل الحرب جوهره، إلا أنه يشير دوماً إلى حقيقة أن تاريخ ملايين السنين من سيادة النظام المشاعي للكلانات والقبائل البدائية والذي استند إلى السلام في معظم صيغ التعامل بين تلك المجموعات لم يكتب بعد ويعده التاريخ الأصلي. ويؤكد على الصلات الوطيدة التي تربط بين العنف والشدة، والمدنية والدولة. فبقدر ما يكون خطأ تفسير مراحل السلم بأنها نزوع كليّ نحو التطور الطبيعي، فمن الخطأ أيضاً تفسير مراحل الحرب بالقابلة المولّدة للمجتمع الجديد.

المفهوم الأخلاقي للحرب:

بحسب هذا المفهوم، فأن الحرب مرفوضة أخلاقياً وإنسانياً، وهي تتسبب في دمار واسع لكل المقومات المادية والمعنوية للبشرية، وليست حتمية أو ضرورية، وهي ليست أبدية. ولما كانت الحرب حدثاً عابراً فإن المجتمعات تسعى دوماً إلى تلافي الأسباب التي تؤدي إليها وإلى إيجاد البنية السياسية والاقتصادية التي توفر لها تحاشي الحرب.

ويرى بعض المؤرخين أن هناك صلة وثيقة بين الحرب والكساد الاقتصادي. إذ إن الكساد الاقتصادي يخلق للدولة وللفئات الحاكمة فيها مشكلات تحفزها إلى البحث عن سبل حلها، فتحاول أن تحمي نفسها على حساب دول وشعوب أخرى.

ومهما اختلفت أشكال الحروب وأسبابها فإن إيجاد المسوّغ الأخلاقي للشروع بها يبقى مطلب الراغبين فيها، وقد يبلور هذا المسوغ في محاولات إقناع الآخرين بعدالة القضية التي يخوضون الحرب من أجلها والدفاع عن مصالح الأمة ودرء الخطر عنها، وهم يسعون دائماً إلى التقليل من آلامها وأضرارها المحتملة ما أمكن. وليس من الضروري أن تكون تلك المسوغات حقيقية واضطرارية، ولكن المهم إقناع الآخرين بها ولو كانت كاذبة أو لا أساس لها من الصحة، وقد يلجأ

أنصار الحرب إلى اختلاق أفعال وتوفير بعض الشروط التي تدفع الناس إلى تصديق ما يزعمونه. في حين ترى أطراف كثيرة، لا تؤمن بمبدأ العنف، أنه مهما كانت المسوغات مقنعة فإن الحرب غير ملزمة، وأن الحرب مع تطور وسائلها وتقنياتها، ولاسيما في القرن العشرين والقرن الحالي، ارتفع ثمنها بتفاقم أعداد الضحايا نتيجة استعمال الأسلحة الشديدة الفاعلية العالية التدمير، وزادت أضرارها المادية إلى درجة كبيرة، وقد أدين العدوان بأنه جريمة دولية لأنه فعل أمة تسعى إلى تحقيق أغراضها السياسية بالقوة وعلى أرض أجنبية.

تطور الحرب:

قبل فجر المدنية، كانت الحرب عبارة عن غارات على نطاق صغير، فكانت تلك الغارات تشن بين المجموعات البشرية الصغيرة بهدف الاستحواذ على الغذاء والماء.

ولكن مع ظهور مفهوم الدولة أخذت النزاعات منحى آخر بفرض الاستعباد، بهدف استخدم الإنسان كعبد. ومن هنا نستطيع القول إن الحروب بمعناها الحقيقي ظهرت مع ظهور نظام الدولة منذ حوالي 5000 سنة مضت.

فالحروب بمعناها التقليدي كانت محدودة النطاق عندما كانت الأسلحة تقتصر على الرمح والقوس والنشاب، ثم تطورت وسائل الحرب مع العهد البرونزي، وانتشرت أكثر عند اكتشاف الحديد واستخدامه في صناعة السيوف، فأصبح بالإمكان تجهيز جيش كامل بالأسلحة المعدنية في وقت قصير، ثم جاء اكتشاف البارود ليزيد من فتك الأسلحة المتفجرة، وبالتالي ازدادت شراسة الحرب طرداً مع تطور وسائلها، حتى الوصول إلى الوسائل الحديثة كالأسلحة النووية.

وتقدمت الحروب في شراهتها وفتكها مع ازدياد احتكارات السلطة ورأس المال واتخذت أشكال شتى ومنها:

أ– الحرب المحدودة: حرب تقوم فيها الدول المتحاربة بتحديد الأسلحة التي تستخدمها، أو الأهداف التي تهاجمها، وأصبحت الحرب المحدودة تعني حديثاً عدم لجوء أي من أطراف الصراع إلى استخدام السلاح الذري. مثلاً كانت الحرب الكورية (1950-1953م) حرباً محدودة، ولكنها اتسمت بدموية استثنائية، فقد قتل فيها اكثر من 5 ملايين انسان اكثر من نصفهم من المدنيين شكلوا 10 بالمئة من مجموع سكان الكوريتين. وكانت نسبة الخسائر تلك اعلى من الخسائر المدنية

في الحرب العالمية الثانية وحرب فيتنام. كما قتل في الحرب نحو 40 الفا من العسكريين الأمريكيين وجرح فيها أكثر من 100 الف منهم.

ب– الحرب الشاملة: حرب تقوم فيها دولة ما باستخدام الشعب ومواردها وأسلحتها كافة. ويجبر المدنيون على المشاركة في هذه الحروب. والحربان العالميتان (الحرب العالمية الأولى 1914-1918، والحرب العالمية الثانية 1939-1945)، كانتا حربين شاملتين؛ فحتى المدنيون كانوا مشاركين فيها بما يفرض عليهم من أنشطة، مثل تأمين المؤون وصناعة الأسلحة. وقد أثرت على معظم دول العالم، فقد امتددت الحروب العالمية إلى عدة قارات واستمرت لعدة سنوات.

إن العديد من الدول التي حاربت في الحرب العالمية الأولى، شاركت أيضاً في الثانية، وإن لم يكن دائما على نفس الجانب.

ومع تنوع وسائل الحرب وغاياتها تطورت فنون الحرب أيضاً، وظهر متخصصون في فنون الحرب، وعرفتهم المدنية بالقادة العظام.

- وسهلت التكنولوجيا الحديثة نقل الجنود بسرعة وبأعداد كبيرة في الحروب العالمية. وكذلك وجود الاتصالات (مثل الراديو والبرق)، والنقل السريع (السفن البخارية والسكك الحديدية)، وحديثاً الإنترنت والاتصالات عن طريق الأقمار الاصطناعية جعل التنسيق والسرعة في العمل العسكري يتم بشكل أوسع.

- إلا أن النتائج المتمخضة عن تلك الحروب العالمية كانت كارثية من حيث عدد الضحايا والخسائر المادية.

فتسببت بموت نحو ما لا يقل عن 10ملايين جندي، وهو رقم يزيد عن عدد الذين ماتوا خلال المائة سنة السابقة للحرب، وجرح نحو 21 مليون رجل، ولا أحد يعلم عدد المدنيين الذين ماتوا بالضبط نتيجة المرض والجوع وعن الأسباب الأخرى المتعلقة بالحرب (كالاغتيالات والانتحار...)، ويعتقد أن عدد المدنيين الذين ماتوا كان يساوي عدد الموتى من الجنود.

أما الخسائر المادية، فقد كبدت الحرب العالمية الأولى مثلاً الأمم المتقاتلة نحو 337 بليون دولار أمريكي. حيث كانت الحرب تكلف 10 ملايين دولار كل ساعة، ناهيك عن الخراب الذي لحق بالمزارع والقرى والمدن والمصانع والجسور وقضبان السكك الحديدية.

في دراسة أجرتها المنظمة العالمية للصحة "OMS" عام 1952، اتضح أنّ عدد ضحايا الحروب منذ 3570 سنةً قبل الميلاد، قدُّر ب 3600 مليون قتيل.
- وفي النتيجة تبين إن تكاليف الحروب باهظة جداً بالنسبة للدول والأطراف المتحاربة، لذا كان لابد من اللجوء إلى وسائل أخرى أقل تكلفة لصالح دول المركز المهيمن وكما أسلفنا سابقاً لجأت إلى الحرب الخاصة.

أشهر تسع حروب من حيث عدد الضحايا

الحرب	تاريخها	اعداد الضحايا "بالمليون"
الحرب العالمية الثانية	1945–1939	60 إلى 84
الغزوات المنغولية	القرن 13	60
تمرد تايپنگ ضد الاسرة الحاكمة في الصين	1864–1850	40
الحرب العالمية الأولى	1918–1914	39
تمرد آن شي في الصين	763–755	36
الحرب الصينية اليابانية الثانية	1945–1937	20
غزوات تيمورلنك	1405–1370	20
ثورة دونگان في الصين	1877–1862	16
الحرب الأهلية الروسية والتدخل الخارجي المتعدد	1921-1918	13 مليون بدون ضحايا الحرب العالمية الأولى

أشهر ضحايا الحروب في الشرق الأوسط

الحرب	تاريخها	عدد الضحايا
مذبحة الأرمن على أيدي الأتراك العثمانيين	1915- 1916	مليون ونصف أرمني
أحداث الثورات الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي	1954 - 1962	أكثر من مليون جزائري
مجزرة الدولة التركية ضد الكرد في ولاية ديرسم	1937 - 1939	60 – 70 الف كردي
الحرب الفلسطينية – الاسرائيلية	منذ عام 1948	20 الف فلسطيني
مجزرة حلبجة على أيدي نظام صدام حسين	1988	5 الاف كردي
مذبحة السجناء السياسيين في إيران	1988	30 الف سجين وأهاليهم
حملة الأنفال على أيدي نظام صدام حسين	22 اذار إلى 30 آذار سنة 1988	182 ألف كردي
الحرب المستمرة في سورية، وجرائم القتل المتبادل بين النظام والمعارضة المسلحة	منذ 2011 إلى هذه اللحظة	أكثر من نصف مليون شخص من جميع الأطراف وأغلبها من المدنيين
حروب داعش	منذ عام 2012	أكثر من 50 ألف

أسباب عزوف القوى عن الحرب التقليدية "الساخنة":

أ: التكلفة العسكرية.

ب: تطور الأسلحة وتوفرها بأيدي الجميع.

ج: تطور المجتمع.

د: توفر أدوات للحرب أكثر نجاعة وأقل تكلفة "الحرب الخاصة".

الحماية الذاتية (الدفاع المشروع)

للحرب قرار للهجوم، وآخر لمقاومة الهجوم وهو ما نسميه الدفاع المشروع، ويجد معناه في ظروف الاحتلال فقط، ويسمى حالات الهروب منها بالاستسلام، لذا أن أكبر خطأ نرتكبه عند تحليل الحرب هو نسبها إلى الشعوب.

يشدد قائد الشعب الكردستاني عبد الله أوجلان في مجلد "الدفاع عن شعب" على أن خيار الشعوب يستدعي على الدوام الانحياز للتكامل الديمقراطي، ومهما فرض أصحاب النعرات القومية المفرطة العنف، فمن الضروري أن يكون الرد بأقل درجة من العنف، فبقدر ما يكون اللجوء إلى الانتفاضات والحروب قبل نضوج ظروفها وزمانها المناسبين أمراً خطيراً؛ فعدم اللجوء إليها مُحِط من القدر ومميت بنفس الدرجة من الخطورة، لدى انعدام كافة الخيارات الأخرى.

لذا كان العنف آخر الخيارات المتوفرة بأيدي الشعوب لرد حرب الغزو وتحطيم الإرادة والاستعمار، وسلب الخيرات، حيث تستخدم كافة وسائل وأساليب الحماية الذاتية، وقد تأخذ شكل حروب تحرير الأوطان من الاستعمار، أو تأخذ شكل حرب الأنصار، أي مواجهة وردع قوة كبيرة بقوة أصغر حجماً وأقل فتكاً ولكن بأساليب أكثر نجاعة، كالدفاع المشروع للشعب الفيتنامي وشعوب أمريكا الوسطى والجنوبية في مواجهة الاستبداد والاحتلال.

فالدفاع المشروع هو عمل مقدس عادل من حيث الأسباب وحق يجب ممارسته لتحقيق الحرية وحماية الكيان ضد كافة الاعتداءات، التي تستهدف القيم الحياتية مهما كانت الظروف التي يجري فيها ودون النظر إلى زمانها ومكانها. إن استخدام العنف في الدفاع المشروع يتم فقط عند مواجهة الهجمات التي تهدف النيل من المبادئ المادية والإيديولوجية للكيان الاجتماعي وفي مراحل تطور الحرية، وخاصة في لحظات التحول النوعي.

فاستخدام العنف ضمن هذا الإطار يكون مشروعاً، وكل شكل من أشكال العنف يتجاوز هذا التعريف سيؤدي إلى وضع غير عادل وخسائر غير ضرورية وإلى تحريفات جادة.

وستبحث عن وفاق السلام والديمقراطية مع كل دولة ذات علاقة، وذلك ضمن نهج الدفاع المشروع، وإذا لم تحصل على الرد أو كان هذا الرد من النوع الهجومي، فأنها ستضطر لمواصلة طريقها في وضع إسهاماتها السلمية والديمقراطية على

شكل الحرب المسلحة ضمن الإطار المرسوم لها، والتوحد ضمن الطراز الصحيح والدفاع عن الشعب، ويصح هذا الوضع ضد كافة الدول وكافة القوى ذات العلاقة.
في عام 2013 أعلنت مرتزقة "داعش" الحرب ضد شعوب الشمال السوري، حينها لم تكن الخيارات متوفرة أكثر من خيار ردّ الهجوم، وخاصة أن هذا التنظيم لا يعرف أي شيء آخر سوى الحرب والقتل، بل ويفتخر بعملياته الانتحارية التي تستهدف التجمعات المدنية، ويقوم بنشر صور وأفلام جرائمه في جزّ الأعناق وحرق ممن لا يسير وفق ضوابطه وقوانينه، حيث سجلت مدينة كري سبي تل أبيض، ومنبج، والرقة، وتل حميس والهول والشدادة جز رقاب المئات من المدنيين بحجج مختلفة من قبل المرتزقة. لذا كان لا بد من شعوب المنطقة ووحدات حماية الشعب YPG ومن ثم قوات سوريا الديمقراطية باعتبارهما القوات المعنية بحماية الشعوب الابتعاد عن الجدل المثار من قبل أطراف تحسب نفسها على "المعارضة" حول أحقية الشعوب في استخدام خيار الحرب ضد المرتزقة وخوضها ضدهم، سوى ذلك، لم يكن بالإمكان سوى تسليم حياة ملايين الناس لسيوف داعش أو الهروب. فظهر خيار الدفاع المشروع بشكله الأبرز في تلك الحرب التي خلصت حياة الملايين، واحتفظت بخصائصها الوطنية والأخلاقية والإنسانية. ولا تزال مستمرة لتدمير قواعد داعش على جميع الأرضي السورية بعد تحرير تل أبيض ومنبج والطبقة وقبلها سريه كانيه وتل حميس والشدادة والهول وصولاً إلى منبج والطبقة والرقة ودير الزور.
إن وضع الدفاع المشروع مختلف، فهو يتميز بالنظام وبالقوة التي من شأنها أن تعمل على تكامل السلام والديمقراطية مع كل الأمم، ويتم استخدام هذا الحق، بعد حساب أسلوبه في القيادة والتنظيم وتدريباته ذو الأفق الواسعة التي يقوم بتحضير جميع تجهيزاته، بحيث تكتمل هذه الخصائص بالوعي المدرك التي تسمح له بالرد على أي هجوم محتمل.
ولا يمكن لقوة الدفاع المشروع أن تكون قوة تؤدي إلى المجازر، لأن هذه القوة تحمي الشعب وتحافظ على أمنه وسلامته.
إن الوحدات التي تريد أن تتموقع ضمن الوطن على أساس الدفاع المشروع، مضطرة للانصياع لكافة الشروط والظروف، لأن نزعة الحرية لهذا النوع من

الوحدات ستضع نضال الشعب لأجل السلام والديمقراطية في موقف صعب جدا إذا ما خالفت طبيعتها الحرة.
ويشترط القائمون على الدفاع المشروع بذل كل الجهد لمنع الخسائر في صفوف المدنيين لدى الطرف الآخر، وتجنبهم في حال استخدامهم كدروع بشرية، وهذا ما يبرر تأخر الوصول إلى النتيجة المطلوبة في هكذا نوع من الحرب.

أنواع الحروب

نوع الحرب	الأسلوب المعتمد
الحرب العسكرية	الإبادة والتدمير
الحرب الاقتصادية	الحصار - التجويع
الحرب السياسية	التضليل - التمويه
الحرب الدبلوماسية	الخديعة - الوقيعة
الحرب الاستخباراتية	تجنيد العملاء - الجواسيس
الحرب الأهلية	الغوغاء – الدهماء
الحرب النفسية	تحطيم المعنويات - الإرادة
الحرب الأيديولوجية	زرع الأفكار والمبادئ
الحرب الإعلامية	التعتيم – التضليل – التضخيم والمبالغة

الحرب الخاصة

الماهية:

إذا ما عرفنا الحرب التقليدية بأنها استخدام منظم للمعدات العسكرية الصلبة المادية والتكتيكية، فأن الحرب الخاصة هي التي تهدف إلى تحقيق أهدافها عبر استخدام كل الوسائل المادية والمعنوية لقتل إرادة المجتمع أو الجهة المستهدفة بهدف استسلامها، وخلق اليأس والتشاؤم وانعدام الثقة في النفوس، إلى جانب التشويش وخلق الضبابية في الآراء والأفكار والمواقف، وتعميق التناقضات الثانوية والمصطنعة وتهميش التناقض الرئيسي وخلق الصراع الداخلي وتهميش المجتمعية، وكل ذلك لفرض نفوذها والربح الأعظمي. وذلك بتكلفة أقل، وبوسائل خاصة تتضمن العنف التي لا تقبل بها الأخلاق البشرية، وهي من الأسلحة مضمونة النتائج للجهات المتصارعة، وخاصة في حال غياب الوعي المجتمعي.

وتشمل الحرب الخاصة مجمل العمليات الإعلامية والنفسية والاستخباراتية، إضافة إلى الاقتصادية والسياسية، وهي أوسع وأشمل وأخطر من المفاهيم التقليدية لعمليات التأثير في النفس البشرية.

وتتجه الدول إلى استخدام تطبيقات الحرب الخاصة إيماناً منها بأن النصر العسكري لا يعني دوماً تحقيق نصر سياسي بل قد يؤدي إلى مقاومات وازدياد كراهية الشعوب لها، على غرار ما حدث أثناء حرب العراق وأفغانستان حيث كراهية الشعوب لأمريكا فضلاً عن إثارة الغضب لدى شعوب أميركا وأوروبا نفسها.

ظهورها: رغم أن الحرب الخاصة برزت خلال الحرب العالمية الثانية، واستخدمت بشكل كبير خلال الحرب الباردة في النصف الثاني من القرن العشرين، إلا أن استخدامها وممارساتها سبقت ذلك بكثير، وكانت تتم سابقاً عبر الرسم على اللوائح الطينية لصور الرعب كالحيوانات المفترسة بغية التخويف أو إظهار عظمة الفئة الحاكمة، وكذلك استخدام جسم المرأة للإثارة، إضافة إلى استخدام وسائل التخويف عبر بناء القلاع من جماجم البشر وتعليقها في أماكن بارزة، وكذلك الحصار كما كان يفعل جيش بابل، والاستعراضات العسكرية، فيما احتفظ الرومان بتميزهم عبر تدجين الشعوب بمشاهدة حلبة مصارعة الحيوانات المفترسة.

وخلال الحروب الاستعمارية، فسياسة "فرق تسد" الشهيرة المعروفة عن الاستعمار البريطاني، واستخدام العملاء كـ"لورنس العرب" و"غلوب باشا" بغرض إثارة العرب ضد الإمبراطورية العثمانية هي نفسها الوسائل التي تستعين بها دوائر الحرب الخاصة التابعة لقوى الهيمنة العالمية في يومنا هذا، كإنتاج شخصية الرئيس التركي رجب طيب أردوغان لاختراق الجسد العربي وإبعاد القضايا العربية عن أصحابها الأساسيين.

- وأول من قام بتأسيس دائرة الحرب الخاصة كمؤسسة رسمية هو الحلف الأطلسي (الناتو)، في سبيل التصدي للمد الشيوعي، وكبح جماح حركات تحرر الشعوب من نير الاستعمار الحديث، وإخماد القوى التي تهدد منافع الشركات الرأسمالية المنتشرة في كافة أرجاء العالم.

ثم انتشرت فروع هذه الدائرة في كافة الدول الأعضاء في الحلف الأطلسي بقيادة الولايات المتحدة وتمويل مباشر منها، تحت أسماء مختلفة، مثل الغلاديو في إيطاليا ثم أرغنكون في تركيا التي أسست "دائرة الحرب الخاصة" وفرق الموت في ستينات القرن الماضي.

وكرد على المعسكر الغربي تأسست دوائر مماثلة في معسكر الاشتراكية المشيدة ضمن بنية "حلف وارسو" مثل "السنتو" و "سايتو".

وتهدف إلى: تأسيس وترسيخ هيمنة احتكارات الرأسمال والسلطة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وثقافياً، ولهذا تقوم الرأسمالية والإمبريالية بنشر وبناء تنظيماتها في عموم العالم، ليس من أجل مرحلة معينة أو على بعد واحد، بل تقوم بجمع النتائج المستنبطة من الحروب السابقة التي تم خوضها على النطاق العالمي على مدى التاريخ، وعلى ضوئها تقوم بتحديد الأساليب والسبل التي تكفل نجاحها في فرض الهيمنة الجديدة للرأسمالية، ثم تقوم بأنشاء التنظيمات والوسائل اللازمة لذلك.

ظهور المصطلح:

لم يُعرف بالضبط متى ظهر مصطلح الحرب الخاصة إلى العلن، كما لا تسعفنا البحوث التاريخية بمزيد من المعلومات حول منبع المصطلح ومنطقة النشوء، إلا أن اجراءات الحرب الخاصة قديمة قِدم الحرب الساخنة كما أسلفنا سابقاً.

في منتصف القرن الماضي، احتفظ رئيس الوزراء البريطاني الراحل والذي قاد البلد في الحرب العالمية الثانية ونستون تشرشل بمجموعة وثائق تتعلق حول بعض المواضيع العسكرية والسياسية والاقتصادية المتعلقة بالحرب، وسميت فيما بعد بأوراق الحرب الخاصة، كما أسس غرفة خاصة في منزله لقيادة العمليات وسميت أيضاً بغرفة الحرب الخاصة.

في عام 1961 أسست تركيا "دائرة الحرب الخاصة" كإحدى مؤسسات الانقلاب العسكري، وتركزت مهماتها في عمليات الاغتيال للناشطين الثوريين والصحفيين والمعارضين، وكذلك قمع الانتفاضات والحركات الاحتجاجية ضد ارهاب الحكومة والجيش آنذاك، وبقيت هذه الدائرة خارج التغطية الإعلامية، إلا أن جرائمها طغت على المشهد التركي وخاصة المعارض.

كما استخدمت بعض الدول هذا المصطلح في إشارة إلى جرائم الدولة المعادية، كجرائم الحرب التي ارتكبت في يوغسلافيا في الفترة ما بين 1991-1995، حيث أطلقت عليها بعض وسائل الإعلام بإجراءات الحرب الخاصة في إشارة إلى الاغتيالات والمجازر الجماعية.

في تسعينات القرن الماضي أصبح هذا المصطلح دارجاً في أدبيات حزب العمال الكردستاني، وجرى استخدامه بشكل مكثف في إشارة إلى العمليات الخاصة للحكومات التركية المتعاقبة، ومن ضمنها الاغتيالات تحت مسمى "فاعل مجهول"، وتهجير السكان الكرد من قراهم ومدنهم في شمال كردستان، وكذلك سياسة التتريك وتشويه التراث الكردي، والحملات الإعلامية التضليلية وفرض حالة الطوارئ ضد الشعب الكردي، إضافة إلى العمليات النفسية ضد المقاومين الكرد والمعتقلين السياسيين من كوادر حزب العمال الكردستاني في السجون التركية وخاصة في الثمانينات.

في حوار له مع الصحفي التركي يالجين كوجوك عام 1995 يشير قائد الشعب الكردستاني عبد الله أوجلان إلى بعض محاولات الحرب الخاصة في تخدير

الشعب الكردي في استخدام علني للمصطلح وأدواته، حيث يقول "اود التطرق الى مسألة إبراهيم تاتليساس، تم منح الجائزة له في قسم الصوت في نفس العام الذي أعلن فيه حزبنا PKK. وأخذت شهرته تتصاعد تدريجياً. نعلم جيداً ان أوزال وجّه الدعوة إليه خلال عدة حفلات، وحتى ان أوزال ذهب بنفسه الى إحدى امسياته، ودعاه الى جانقايا وأرسله الى أوروبا والجمهوريات التركية، جعلوا من حفلاته بديلاً عن احتفالاتنا هناك. برأي ان إبراهيم تاتليساس كان اكثر الشخصيات التي تم السعي لاستخدامها في 12 أيلول. ينبغي تقيم وضعه مع الحرب الخاصة نوعاً ما. انه النموذج الذي رُغب في استخدامه بشكل كبير لتخدير الشعب و الشباب عبر موسيقا الآرابيسك التي تتداول في السوق".

وبعد ذلك، تفردت أكاديميات حزب العمال الكردستاني الفكرية في استخدام المصطلح والتدريب على سبل المواجهة الإيديولوجية والفكرية ضد أدواته وأساليبه.

متطلبات الحرب الخاصة:

الحرب الخاصة تتطلب أدوات ووحدات خاصة ووسائل خاصة تتناسب مع المهام الموكلة إليها، وتعمل بالتوازي مع القوى الأساسية التي تخوض الحرب أو الصراع وتخدم نفس الغرض أو الهدف المرسوم، بوسائل وأساليب تتعارض مع معايير الأخلاق والقواعد التي وضعتها البشرية. فالحرب الخاصة كغيرها من الحروب لا تعترف بالقوانين والقواعد البشرية، والعدو لديها هو الهدف الذي ترسمه الدائرة نفسها، ويمكن أن يكون الهدف كل من يخرج عن القوانين التي تسنها وتحددها الدائرة نفسها.

ما يميز الحرب الخاصة / الناعمة عن الحرب العسكرية "الساخنة":

1- لا يعلن عنها رسمياً، ويمكن التنصل منها.
2- لا تحتاج إلى ذرائع معقدة لتسويقها.
3- ميزانيتها غير ضخمة.
4- لا تقع أي خسائر بشرية في صفوف المهاجِم.
5- غالباً ما تستخدم الأدوات المدنية، الانترنت، الهاتف، الإعلام.
6- تتفرق الصفوف بمواجهتها، وتستنزف الطاقات.

7- تستخدم الآخرين المعجبين بها.
8- لا يوجد بعدها إعمار بسبب انهيار المفاهيم والقيم.
9- لا تسبقها أية اتصالات ديبلوماسية.
10- نتائج الحسم فيها أسرع.
11- لا تصطدم القوى المهاجمة بالمنظمات الدولية.
12- استعداداتها صامتة ومتدرجة.
13- لا تسجل وقائعها في ذاكرة التاريخ كالحروب العسكرية.
14- خسارتها لا تؤدي إلى تبعات سياسية.

أساليب الحرب الخاصة

إن الحرب الخاصة أحلت بالشعوب الآهات والهلاك وهي التي صهرت اللغات والثقافات، وهي التي جعلت من الإنسان كائناً مستهلكاً مبعثراً لكدح ونشاط وإنجازات المجتمع، بدلاً من أن يكون فرداً فعالاً ضامناً لسيرورة المجتمع. من خلال وسائلها الإعلامية والإرهابية والدعائية التي اتخذت من ثالوث (الجنس، الرياضة، الفن) وسيلة لسلب المجتمع وإفراغه من معنى وجوده. الدعاية ضد معتقدات الخصم، الإشاعة، بث الرعب، الخداع، افتعال الأزمات، إثارة القلق، إبراز التفوق المادي والتقني والعسكري، التقليل من قوة الخصم والعدو، التهديد والوعيد، الإغراء والإغواء والمناورات، الاستفادة من التناقضات والخلافات، الضغوطات الاقتصادية، إثارة مشاعر المكونات القومية والدينية، الاغتيالات، تسريب معلومات عسكرية وأمنية وسياسية حساسة عن العدو في الصحافة.

وكذلك تتضمن الانقلابات العسكرية، التي تكون بمثابة الغزو من الداخل مع توفر القوى الخارجية الداعمة والفوضى الداخلية، وهنا لا بد من التفريق بين الانقلابات والثورات الشعبية التي كثيراً ما يتم محاربتها من قبل القوى المهيمنة لأنها لا تخدم مصالحها في المنطقة المعنية.

وكذلك القوات الخاصة التي عادة ما تكون مستقلة عن القوات النظامية للدول وتكون عملياتها خاصة وموجهة، وهي مقدسة لدى جميع الدول وخاصة ذات الأنظمة الدكتاتورية، والكونترا كتلك التي شكلتها الدولة التركية لتشويه سمعة

مقاتلي حزب العمال الكردستاني لدى الرأي العام، حيث تعمل تلك العصابات على التشبه بقوات حزب العمال الكردستاني من حيث اللباس والمظهر وتقوم بأبشع الأفعال وإلصاقها بمقاتلي الحزب بغية إبعاد الشعب ومنعهم من الانضمام وتأييد نضالهم ضد الشوفينية التركية. وسجلت دوائر المعلومات عن تدريب أكثر من ستة آلاف شخص في أنقرة لتقمص شخصيات مقاتلي حزب العمال الكردستاني وتم ارسالهم إلى باكور كردستان وهم يجيدون حتى اللغة الكردية.

عمليات الاتصال التي تسبق الحرب الخاصة

تسبق عمليات الحرب الخاصة وترافقها عمليات اتصال وتواصل مكثفة يقوم بها أشخاص ذو كفاءة عالية في التحليل النفسي والفكري للمجتمع المستهدف، عبر رسائل أيديولوجية تخاطب النفس البشرية بأساليب مختلفة ومتنوعة، وتنقلها وسائل الاتصال المختلفة من الفضائيات والإذاعات، وصولاً إلى العملاء المجندين لنشر الإشاعات والأفكار المطلوب نشرها، ولا تهدأ لأصحابها البال إلا عند الوصول إلى نتائجها وتأمين ردة الفعل العكسية على رسائل المرسل.

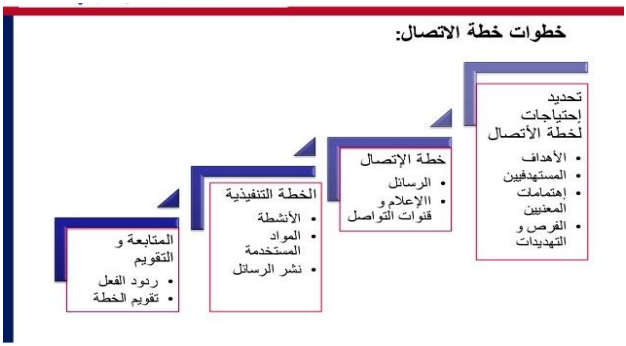

ويعتقد منظّرو الحرب الخاصة والذين يستخدمون وسائل الاتصال بكثافة أنه مهما فشلت خطط الاتصال المصممة للوصول إلى أهدافها، إلا أنها تكسب وتؤثر ولكن ليس بالدرجة المطلوبة.

استمالات عمليات الاتصال:

الاستمالة العاطفية: وتشمل إيجاد مشاعر ملائمة لدى المتلقي من خلال مخاطبة القيم والعواطف، أو من خلال وضعه في جو سعيد عند استقبال الرسالة، كأخبار اكتشاف دواء السرطان وما تعنيه بالنسبة للمرضى.

الاستمالة العقلية: وهى تستخدم المنطق والشواهد التجريبية لتأكيد الرسالة.

استمالة التخويف: وهى تخاطب غريزة الخوف عند المتلقي.

إن وكالات الأنباء الأربع AP, AFP, UPI, Reuters تعد من المصادر الإعلامية المسيطرة على تدفق الأنباء الخارجية لمعظم دول العالم. وأن الحجم الإجمالي للأنباء التي توزعها تلك الوكالات الرئيسية الأربع للأنباء في العالم يتمثل بحوالي 32.850.000 كلمة يومياً، بينما لا يزيد حجم الأنباء التي توزعها بعض وكالات الأنباء الأخرى في العالم عن 1.090.000 كلمة يومياً. وعند تحليل المضمون الإعلامي لما تنشره تلك الوكالات وخاصة فيما يتعلق بأخبار الشرق الأوسط يتبين بشكل واضح مدى التحكم في مجريات الأحداث بالمنطقة من الناحية الإعلامية، سيما تلك المتعلق بأخبار الحروب المفروضة على شعوبها، وما تقدمه تلك الشعوب في سبيل ردّ تلك الحروب. وهنا يبرز دور الحرب الخاصة التي تعتمد بدرجة أساسية على عمليات الاتصال المفروضة من جانب واحد بغية فرض توجه معين على أطراف أخرى.

أدوات الحرب الخاصة

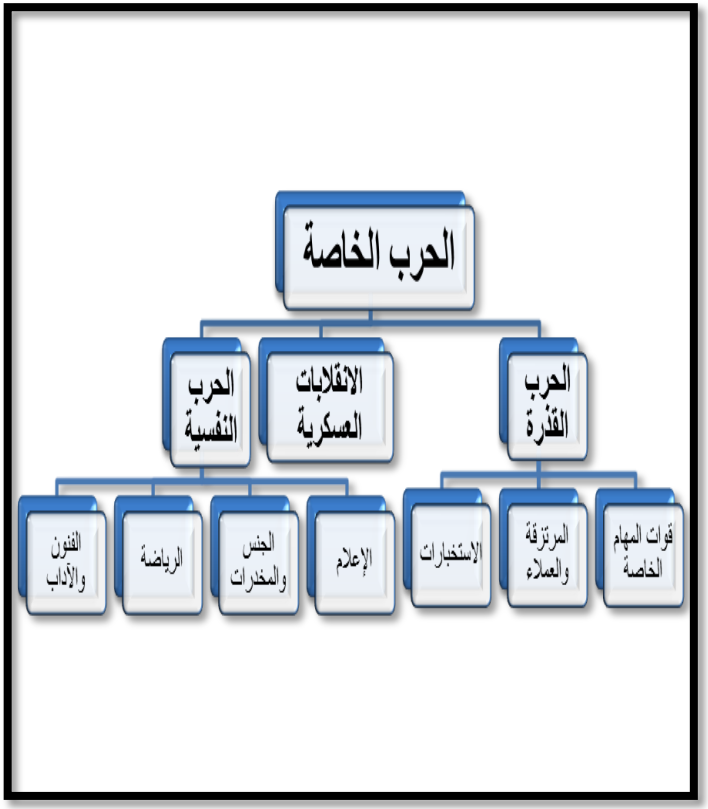

أدوات الحرب الخاصة

ثالوث الاستغلال (الجنس-الرياضة-الفن)

يتفرد قائد الشعب الكردستاني عبد الله أوجلان بتحليل هذا الثالوث المميت في حياة الشعوب بعد استغلاله من قبل قوى الهيمنة العالمية، وهو – أي الثالوث- بحسب أوجلان إحدى أهم المرتكزات التي تنطلق منها الرأسمالية في سبيل التوغل في خلايا المجتمع وتفتيتها ومن ثم إعادة تجميدها بعد إفراغها من محتواها الأخلاقي والاجتماعي والثقافي، وفيما يلي جملة من تحليلات القائد عبد الله أوجلان بصدد هذا الثالوث.

"عن طريقِ الثالوثِ الصناعي: صناعةِ الجنس، صناعةِ الرياضة، وصناعةِ الفن والثقافة، يَتُمُّ قصفُ الذكاءَين العاطفي والتحليلي بشكلٍ متوالٍ ومتداخلٍ، لِشَلِّ تأثيرهما كلياً عبر حملاتِ الدعايةِ الإعلامية المتواصلةِ والكثيفة، فيَكتَمِل بذلك غزوُ ذهنيةِ المجتمعِ المتفرج.

بالمستطاعِ القول أنّ الاستغلالَ الجنسيَّ مِن أهمِّ وسائلِ النظام في بسطِ هيمنتِه.

وبتقييمٍ فظٍّ يمكننا القولُ أنه، وبتصنيعِ هذا الثالوثِ (الجنس، الثقافة والفن، الرياضة)، يَكونُ فَنُّ الحكمِ قد بَلَغَ ذروتَه. ومن غيرِ المحالِ إنشاءُ حكمِ رأسِ المالِ العالميِّ أو سلطةِ الدولةِ القومية، ما لَم تُصَنَّع هذه الميادينُ الثلاثة. أَعُودُ وأُشَدِّدُ على أني لا أَقُومُ بِذَمِّ وانتقادِ الجنسِ أو الثقافةِ أو الرياضةِ كظواهرَ قائمةٍ بذاتها. بل أنتقدُ تمييعَ وتصنيعَ هذه الميادينِ الحياتيةِ والحيوية في النشوءِ الاجتماعي وتأمينِ ديمومته.

فثلاثي "الفن والرياضة والجنس" المخدِّر، جزء لا يتجزأ من آلية السلطة العامة تلك. إذ يقوم هذا الثلاثي بإفراغ مضامين ما بقي في الفرد من سمات، لتحويله إلى حثالة لا جدوى منها – بكل معنى الكلمة – ورميه جانباً من بعدها.

أدت السياساتُ المتعلقة بالجنس، والتي طَبَّقَتها الدولةُ القومية داخلَ الأسرة وخارجَها على السواء، إلى شذوذِ السلطة والسيادةِ بكلِّ ما للكلمةِ من معانٍ. إذ تتحول المرأةُ إلى سلعةٍ جنسية، ويصبح الرجلُ أداةً للسلطةِ والسيادةِ الجنسية. وهم بذلك لا يَجُرّون أنفسَهم والمجتمعَ إلى الأزمة والتفكك الأخلاقي وحسب، بل ويصبحون هم والمجتمع ضحيةَ حربِ السلطة والسيادة.

طُوِّرَت النزعةُ الجنسانيةُ واستُخدِمَت بالأغلب كعنصرٍ أيديولوجيٍّ تاريخياً في عهدِ الليبرالية. فالليبراليةُ المستلِمَةُ إرثَ المجتمعِ الجنسانيّ، لَم تَكتَفِ بتصييرِ المرأة عامِلاً مجانياً في المنزلِ فقط. بل واستَولَت عليها أكثر بتبضيعِها وعرضِها في السوق كموضوعٍ جنسيّ. وبينما كان الكدحُ فقط مُبَضَّعاً لدى الرجل، باتت المرأةُ بضاعةً بكلّ جسدِها وروحها. هكذا كان يُنشَأُ أخطرُ أشكالِ العبوديةِ في حقيقةِ الأمر. ذلك أن "زوجةَ الزوج" تُشَكِّلُ موضوعاً للاستغلالِ المحدود، ولو أنها ليست صفةً حسنة. لكن التَّبَضُّعَ بكلّ شخصيتِها، مفادُه التحولَ إلى عبدٍ أسوأ من العبوديةِ لفرعون. فالانفتاحُ على العبوديةِ للجميع أخطر أضعافاً مضاعفةً من العبوديةِ لدولةٍ أو شخصٍ واحد. هذا هو الفخُّ الذي نَصَبَته الحداثةُ للمرأة. فالمرأةُ المنفتحةُ على الحريةِ ظاهراً، كانت ساقطةً إلى مستوى أرذَلِ أدواتِ الاستغلال وأَحَطِّها. فالمرأةُ أداةُ الاستغلالِ الأساسيةُ، بدءاً من أداتيتِها الإعلامية إلى أداتيتِها الجنسيةِ والإباحية. يمكنني القول بكلّ سهولة أن المرأة أُقحِمَت تحت أثقلِ عبءٍ في تَحَمُّلِ الرأسماليةِ واستمرارها.

إذا ما هَزَزتَ أيقونات النزعات التعصبية القومية والدينية والجنسية والرياضية والفنية، بإمكانك توجيهَ المجتمعِ – عفواً الرعاع – والجماهير نحوَ أيّ هدفٍ تشاء. إن الغزوَ الذهني أساسُ التطور الذي يجعل المجتمعَ منفتحاً على الرأسمال المالي العالمي الراهن، بما يَعجزُ عن فعله أيُّ عنفٍ كان.

كانت المدنُ سابقاً الساحاتِ التي تُكتَشَف فيها الحقائقُ وتصاغ فيها الفلسفة. أما ما هو قائمٌ في مدنِ الصناعوية المنهارة، فليس سوى المراعي التي يتحقق فيها التحولُ إلى قطيعٍ رعاعٍ من خلالِ إفراغِ ثالوثِ الجنس والرياضة والفن من جوهره كلياً.

تضع الرأسماليةُ الفرقَ الأكبر بالنسبة لمفهوم الجنسية في النظام، بحيث يكاد لا يبقى أي عضو في المرأة إلا ويُبَضَّع. وهي تقوم بزخرفته بغطاء من الفن، عبر الآداب والروايات. لكن المرأة تُقحَم في وضعية تجتر فيها النصيب الأعظمي من وطأة عبء النظام الثقيلة، كآلية أساسية في هذه الفنون. فبينما يُحدَّد الأجر لكل عمل، أياً كان؛ نجد أن أكثر الأعمال وطأة، أي الحمل، تنشئة الطفل، ومختلف أنواع العمل المنزلية؛ تكون بلا أجر. بل ولا أجر لأن تكون المرأة عبدة شهوات

الرجل الجنسية. فحتى الأجر المتعاطى في بيوت الدعارة، لا يقابله إبداء أية قيمة للمرأة في المنازل الخاصة".

الجنس

فيما يبدو أن موضوع الجنس سيصبح عنوان لمرحلة الصراع المقبلة ووسيلة أساسية ستبنى عليها السياسات الموجهة للمنطقة، ففي بروتوكولات حكماء صهيون التي نشرت لأول مرة في روسيا عام 1901 يظهر مدى الاهتمام بموضوع الانحلال الأخلاقي ومحاولة استغلال موضوع الجنس في تطبيق الخطط المقترحة: "يجب أن نعملَ لتنهارَ الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا، إن فرويد منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس، لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار أخلاقه".

فممارسة الجنس التي تعتبر غريزة طبيعية لدى كل المخلوقات، وظيفتها استمرارية الحياة والنوع البشري، وهي وظيفة حيوية مقدسة، ولكن المجتمعية المنحرفة المتمثلة في الرأسمالية جعلت من هذه الوظيفة الغريزية ميداناً للتجارة وكسب المال، ووسيلة لحربها الخاصة لتحريف المجتمعات والأجيال. مثلاً عند الدعاية لأي شيء من منتجات الرأسمالية يتم إرفاقها بصورة فتاة شبه عارية مستخدمين في ذلك أكثر الآلات الحديثة للتأثير سلباً على الغريزة الإنسانية، كما لم يعد خافياً على أحد كثافة الأفلام الإباحية وكثرة القنوات التي تقوم ببثها ليل نهار.

الفكرة الأساسية في ترويج الجنس هي كيفية هزيمة مجتمعاً أخلاقياً بدون الدخول في الحرب الساخنة معه.

"عملية الجنس حرفت عن طبيعة مسارها، أو بالأحرى جردت من وظيفتها البيولوجيا الرامية لتأمين سيرورة الحياة والجنس البشري، لتتحول إلى وظيفة فاعلة في تحقيق الإكثار اللامحدود لسلطة الرجولية المهيمنة وتأمين انتشارها اللامحدود في الميدانين الاجتماعي والسياسي".

الدعارة كمفهوم آخر لعملية الجنس اللاأخلاقية:

تعتبر الدعارة من "المهن الجنسية القديمة" في العالم. كانت تمارس بين سيدٍ و"عبيده" كملكية خاصة، وتطورت إلى أن أصبحت مهنة عالمية تُمارس بكثرة ضمن قوانين تحمي غالباً بائعات وبائعي الهوى. لكن خلف سوق الدعارة الهائل يكمن عالمٌ من العنف والاستغلال والهلاك، وعملية إتجار واسعة بالجنس تروح ضحيتها غالباً النساء والأطفال.

مواقع الإنترنت كأسهل وسيلة مجانية متاحة لاستعراض ومشاهدة أفلام الجنس:

بغية الوصول إلى أهدافها، وفرت القوى الرأسمالية طرق أسهل وأكثر متعة ومجانية لمتابعة أفلام الجنس، والادمان عليها. بالاستعانة بأشهر مواقع تحليل زيارات صفحات الإنترنت لمعرفة أكثر الدول دخولاً الى أحد أشهر المواقع الإباحية تبين تصدر الولايات المتحدة لعدد الزيارات الى هذه المواقع تليها إيران ثم الإمارات ومصر والبحرين والكويت بالمرتبة السابعة تليها قطر بالمركز العاشر والسعودية بالمركز الحادي عشر علما بأن هناك رقابه صارمة وحجب للمواقع الإباحية في كل من الكويت والسعودية البلد الذي يتصدر قائمة الدول الأكثر حجبا للمواقع.

فإن الإحصائيات المنشورة على الإنترنت نفسها تقول "إن الإنترنت يختزن ثلاثمائة مليون(300) فلماً اباحيا؛ منها مائتان وخمسون مليون صُنعت في الولايات المتحدة الأمريكية، وأن معظم مشاهدي هذه الأفلام تتراوح اعمارهم ما بين الثانية عشر الى السابعة عشر سنة (12 – 17 سنة)؛ وأن اول عشرة دول في العالم تُشاهد فيها هذه الافلام؛ منها ستة دول اسلامية!.

يبلغ عدد المواقع الإباحية على شبكه الإنترنت 4.2 مليون صفحة. وتشترك تلك المواقع بصفة واحدة، هي صعوبة معرفة مالكيها الحقيقيين، فهي مملوكة من شبكة كبيرة من الأشخاص الذين لا يرغبون بالكشف عن هويتهم.

ذكرت أحد التقارير الأمريكية في عام 2001 أن العقيدة القتالية القادمة لن تعتمد على المدفعية والطائرة والدبابة بل سيكون "الجنس والانحلال عناصر الحرب القادمة".

أساليب الحرب الخاصة لترويج الجنس المفرط:

1- ربط الجنس بالحرية، وكذلك الجنس بالرجولة، وغالباً ما يتم تشبيه الرجل الذي يعاني من البرود الجنسي بالمرأة. في المجتمعات الشرقية يتم توبيخ الذكر الذي لا يمارس الجنس بأنه ليس برجل.
2- جعل ممارسة الجنس على رأس أولويات الشباب، ولو بشكل غير رسمي، وبذلك تستهدف سنّ الدفاع المشروع للشعوب، وتمنعهم من الحصول على حياة جنسية مدنية مقبولة اجتماعياً.
3- معظم مواقع الإباحية مجانية، وتدفع بزوارها إلى الادمان عليها عبر التفاعل، والتأثير في سلوكهم من زيادة في العنف وعدم الاكتراث لمصائب الآخرين وتقبل لجرائم الاغتصاب.
4- الإثارة وليس الشبع، الأفلام الإباحية أشبه بالوجبات السريعة الخالية من المغذّيات والممزوجة بمواد كيميائية ومواد اضافية تطيّب المذاق، والتي يداوم الشخص على طلبها. وبذلك تخطط تلك الدوائر إلى تحويل حياة رواد الجنس إلى مجرد سعي لإشباع الرغبة الجنسية بوسائل غير أخلاقية وبعيدة عن مبادئ المجتمع.
5- الجنس وسيلة للإيقاع بالشخصيات الهامة، فها هي وزيرة الخارجية الإسرائيلية السابقة تسيبي ليفني، تكشف عن ممارستها الجنس، خلال عملها بجهاز الاستخبارات الإسرائيلية (الموساد)، مع شخصيات عربية، من أجل توريطهم في فضائح جنسية، وابتزازهم لتقديم معلومات مهمة وتنازلات سياسية. ومن أحد أبرز مهمات الموساد التي جرى توظيف النساء فيها هي عمليات العام 1987؛ حيث قام "مردخاي فعنونو" المهندس النووي الاسرائيلي في مفاعل ديمونا ببيع بعض أسرار الترسانة النووية الاسرائيلية لصحيفة "صنداي تايمز". و قامت حينها إحدى الجاسوسات الاسرائيليات و تدعى سيندي باستدارج فعنونو من خلال إقامة علاقة معه. ليتم بعدها اعتقاله وإعادته إلى اسرائيل. تطلق عبارة مصيدة العسل "Honey Trap"على المهمات الخاصة التي تقوم

بها الجاسوسات الاسرائيليات. حيث تقوم الجاسوسات خلال هذه المهمات بالتجسس على الأجهزة الأمنية من خلال التقرب من الهدف وفي بعض الأحيان قد ينفذن عمليات اغتيال.

على صعيد تجسيد الجنس في الأفلام ولصقها بالشعوب، عرضت السينما الأوروبية والأمريكية المئات من الأفلام التي تصور شعوب الشرق الأوسط وكأنها مكبوتة جنسياً وتبحث عن مكان للشبع. ففي فيلم "الهدية" الذي أنتجه البريطاني "روبرت غولد سميث" يظهر عدد من أمراء العرب الذين يصطحبون عشرات من نسائهم المحجبات إلى باريس، حيث ينطلق الأمراء في بعثرة ملايينهم لاصطياد "العاهرات" ومنهن بطلة الفيلم اليهودية، وفي نفس الوقت يغلقون أبواب غرف الجناح الضخم في الفندق على نسائهم "الحريم"، ولا يسمحون لهن بالخروج من غرفهن.

في إسرائيل، أكدت اجهزة المخابرات الإسرائيلية ان المجندات في الموساد الإسرائيلي نجحن على مدار الاعوام الماضية في تنفيذ عمليات عسكرية مهمة بينها اغتيال القيادي الفلسطيني حسن سلامة، وسرقة أسرار السفارة الإيرانية في قبرص، و مكاتب حزب الله في سويسرا. الوسيلة الوحيدة لإسقاط العملاء هي الجنس حيث تقوم المجندات بإغراء العملاء ثم ممارسة الرذيلة معهم ويقوم أفراد الموساد بتصويرهم في اوضاع فاضحة ويتم تهديدهم بها في حال محاولة رفض الأوامر ويطلق عليهن اسم سلاح "النساء للتجسس".

من الناحية الاقتصادية:

تتصدر الصين قائمة العائدات من صناعة أفلام الجنس في العالم، فتحقق 27 مليار دولار سنوياً، ما يشكل 28% من إجمالي العائدات في العالم. أما النسبة المتبقية فتقوم بإنتاجها أمريكا، كندا، الفيليبين، تايوان، ألمانيا، فنلندا، روسيا، البرازيل وهولندا. وجميعها ليست في قائمة الدول الأكثر استهلاكاً لتلك الأفلام، إنما تصدره للشعوب والثقافات الأخرى الأقل انفتاحاً على الجنس كالشعوب العربية، الهندية، الفارسية، الباكستانية، التركية وغيرها.

أكاذيب الإباحية

تروّج دوائر صناعة الأفلام الإباحية وغرف الدعاية للمخططين لها بأن الإباحية أفضل وسيلة لتعلّم الجنس، فمع انتشار شعارات من قبيل "تعلم الجنس"، "كيف تتصرف مع زوجك أو زوجتك"، تصبح الحياة الأخلاقية للمجتمع رهينة لتعليمات ودروس مدارس الانحلال الأخلاقي والاجتماعي لمعامل صناعة الأفلام الجنسية.

بينما في الحقيقة، لا يمكن تعلّم الجنس من تلك الأفلام بل تعلّم الانحراف الجنسي والتفكك العائلي، وخاصة عندما تخاطب فئة كفئة الشباب التي تعتبر القوة الديناميكية للمجتمع، فمع استسلام هذه الفئة لتلك الدعايات يكون المجتمع قد فقد أهم الآليات الدفاعية لديه.

وعلى الرغم من شمولية الرسالة الدعائية للأفلام الإباحية لكافة فئات المجتمع إلا أن للمرأة كما للشباب النصيب الأكبر والوافر من حملة الاستهداف الأخلاقي للإباحية، فالإباحية ولكي تروّج لصناعتها تطلق العديد من الأكاذيب وخاصة حول المرأة، وفيما يلي نعرض عدد من تلك الأكاذيب:

الكذبة "1": النساء درجة أقل في البشر:

تطلق مجلة (Playboy) وهي مجلة إباحية أمريكية أسسها هيو هيفنر (Hugh Hefner) صدر العدد الأول منها في عام 1953. وتعتبر من أكبر المجلات الإباحية الجنسية، إسم أرانب على النساء ليشيروا إلى النساء كحيوانات صغيرة جذابة وجميلة ليسوا إلا رفاق للهو بهن وكأنهن مجرد ألعاب. في حين تطلق عليهن مجلة (Penthouse) إسم الحيوانات الأليفة. تشير الإباحية إلى أن النساء على أنهن حيوانات أو ألعاب وتظهر المشاهد الإباحية جسد المرأة أو الأعضاء الجنسية ولا تظهر الوجه أبداً. و الفكرة هنا هي إنتهاك حقيقة أن النساء هم بشر يملكون أفكاراً وعواطف.

الكذبة "2": النساء "رياضة":

تظهر الإباحية الجنس على أنه لعبة وفي أي لعبة عليك أن تفوز وتسجل نقاطاً. الرجال الذين يؤمنون بهذه الكذبة يحبون التحدث عن النساء كنقاط يحرزونها، ويحكمون على رجولتهم بناء على عدد النساء اللواتي يمكنهم الحصول عليهن،

بإعتقادهم أن كل إمرأة يحصلون عليها هي بمثابة إنتصار جديد لهم و تزيد من رجولتهم.

الكذبة "3": النساء "تُمتلك":

جميعنا قد رأينا السيارات التي تعرض للبيع حيث يتم التسويق لها عن طريق عرض السيارة ومعها فتاة جذابة مستلقية عليها وتكون الغاية التي لا يُعلن عنها من هذه الدعاية هي "إشتر واحدة واحصل على الإثنتين معاً". تصوّر الإباحية النساء على أنهن بضاعة يمكن شرائها حيث تُعرض المجلات الإباحية في المحلات بطريقة تضمن أن ينظر إليها المارّة ويروا الفتيات العاريات فلا عجب أن يظن بعض الفتيان أنهم إن أنفقوا بعض المال في خروجهم مع الفتاة فهذا يعطيهم الحق أن يمارسوا الجنس فالإباحية تخبرنا أن النساء يمكن شرائهن.

الكذبة "4": إن قيمة المرأة تعتمد على جاذبية جسدها:

إن النساء الأقل جاذبية مهملات في الإباحية ويطلق عليهن إسم "الكلاب أو الحيتان أو الخنازير" أو حتى أسماء أبشع من ذلك لأنهن لا يناسبن معايير الإباحية. لا تهتم فالإباحية بعقل المرأة أو شخصيتها بل فقط بجسدها.

الكذبة "5": النساء يحبون الإغتصاب:

"عندما تقول لك لا فهي تعني نعم". إن الإباحية تعلم الرجال إستغلال المرأة وسوء معاملتها والإستمتاع في إيذائها للحصول على المتعة.

الكذبة "6": النساء يجب أن يتعرضن للإهانة:

الإباحية عادة مليئة بأقوال الكراهية تجاه المرأة، فهي تَعرض النساء وهن يتعرضن للإهانة والإحتقار والتعذيب بطرق كثيرة وبشعة ويتوسلن من أجل المزيد. هل تُظهر هذه المعاملة أي نوع من الإحترام تجاه المرأة؟ أو أي حب؟ أم هو الحقد والكراهية التي تروّج لها الأباحية تجاه المرأة؟

الكذبة "7": الأطفال يجب أن يمارسوا الجنس:

إن أحد أكبر مصائب الإباحية مبيعاً هي تلك التي تقلّد "الأطفال" فيقومون بعرض فتيات وهن يرتدين ملابس الأطفال ويربطون شعورهن ويلبسون أحذية الفتيات الصغيرات ويمسكون الألعاب وهذا إشارة إلى أن الجنس مع الأطفال هو أمر عادي مما يجعل الشخص الذي يشاهد هذه الإباحية ينظر إلى الأطفال بطريقة جنسية. قد تظن أن أحدًا لا يشاهد أفلاماً إباحيةً تستغل ظهور الأطفال في مشاهد

جنسية، غير أن تلك الأعمال -للأسف- أصبحت من أسرع الأعمال المتنامية عبر الإنترنت. تتضمنُ جرائمُ استغلال الأطفال إباحيًا تحميلَ وجمعَ وتوزيعَ مواد الإباحة التي يظهر فيها الأطفال. كما تتضمن مشاهد للاعتداء على الأطفال. وهي شديدة الخطورة لأنها تتسبب في تقبُّل الطفل واستعداده للاستغلال الجنسي له واعتبار الاستغلال الجنسي شيئًا طبيعيًا.. سواء للطفل الذي تم بالفعل استغلاله بتلك الطريقة أو للطفل الذي قد يشاهد تلك المشاهد الإباحية بالصدفة.

الكذبة "8": الجنس "غير القانوني" مسلي ويجلب المرح:

الإباحية تستخدم أدوات خطيرة وغريبة، والهدف من ذلك أن الجنس إن لم يكن غريباً فهو ليس ممتعاً.

الكذبة "9": الدعارة أمر مبهر:

تظهر الإباحية الدعارة بصورة مثيرة. في الحقيقة أن الكثير من الفتيات اللواتي يظهرن في الصور أو الأفلام الإباحية هن نساء مشردات ومعظمهن قد تعرضن للإغتصاب أو للإستغلال الجنسي ومعظمهن مصابات بأمراض جنسية خطيرة ومعظمهن يمتن صغاراً في السن و يتناولن المخدرات.

النتيجة:

تجمع الإباحية مبالغ طائلة من خلال هؤلاء النساء المدمرات والشباب حيث يدفع الشباب الذين وقعوا في فخ الإباحية مبالغ كبيرة لرؤية وشراء موادها.

ما هي الأفكار التي تضعها الإباحية في العقول؟ إذا استمرت الرأسمالية في إدخال هذه المشاهد السيئة فإن التفكير سوف يصبح ملوثاً جداً ومن ثم مواجهة مشاكل عديدة. إن أحد أهم أجزاء البيئة العقلية هي الأفكار الصحيحة والصحية حول ماهية الإنسان جنسياً، فإذا تشوهت الصورة الصحيحة فهذا يعني خلل في مجال خطير يتعلق بـ " من هو الإنسان".

صلاح الجنس والاستخبارات السورية "ساحة المرجة في دمشق"

ترتبط ساحة المرجة في الذاكرة السورية بحادثة إعدام جمال باشا السفاح العثماني شنقاً حتى الموت لمجموعة كبيرة من نخبة من رجالات العلم والفكر والسياسة عام 1915 بعد اتهامهم في محاكمة صورية بالتعاون مع فرنسا التي كانت تعادي

الدولة العثمانية آنذاك، حيث أطلق السوريون عليها بعد هذه الحادثة تسمية ساحة الشهداء حيث كانت شاهدة على أفظع جريمة ترتكب بحق السوريين.
في تلك الساحة التي تقع بالقرب منها مقرات وزارة الداخلية السورية يختلط العمل المخابراتي مع الترويج للجنس، حيث اختفت في الفترة الأخيرة الدلالة الرمزية للمكان التي كان من المفروض أن يُلعن فيها جرائم الأتراك، لتصبغ ذاكرة السوريين بما هو أسوأ من تلك الجرائم وألا هو تجارة الجنس. ففي أزقات المكان وفنادقها التي لا تزال تحمل أسماء الوحدة العربية والمقاومة ضد الاحتلال ينتشر عناصر المخابرات السورية و"القوادين" المتنكرين بمهن عديدة كتلميع الأحذية أو العمل على سيارات الاجرة للإيقاع بالشباب الذين غالباً لا يستطيعون الإفلات من شباك هؤلاء، وخاصة مع الاغراءات التي تقدم لهم. فبعد لحظات من الإيقاع بالضحية لا بد من اعتقالها بالجرم المشهود من قبل عناصر المخابرات، ومن ثم فرض العمل الاستخباراتي عليها، أو الابتزاز المادي، لتتحول بعد ذلك من ضحية مارقة إلى ألعوبة دائمة بأيدي عناصر المخابرات.
وفي تحقيق نشره موقع الجمل المميز تحدث أيضا عن تورط أشخاص مسؤولين في أعمال شبكتي دعارة مارستا نشاطهما في دمشق وريفها على مدار أكثر من عشر سنوات. وكشفت التحقيقات صحة هذا الأمر. وقضية الفتاة ناريمان حجازي التي اختطفت وأرغمت على ممارسة الدعارة، والتي ظهرت على التلفزيون السوري وتناقلت أغلب وسائل الإعلام والمواقع الإلكترونية أخبارها. والتي أكدت فيه أمام القضاء في القصر العدلي بدمشق تورط رجال من مستويات مسؤولة مختلفة.. وقدمت للقضاء قائمة منهم تضم أكثر من ثلاثين متورط في شبكات دعارة وخطف أطفال.
في منطقة الربوة حيث أكثر من 20 ملهاً ليلياً، توثق الاستخبارات السورية أسماء وصور الخليجيين الذين يزورون سورية بحثاً عن الجنس، وعادة ما يعرض عليهم كتالوج صور للفتيات.
في دمشق لوحدها هناك أكثر من 40 ألف دار دعارة حسب تصريح للدكتور طيب تيزيني، 1000- 4500 شقة متوزعة في دمشق وريفها يتم استئجارها تحت البند السياحي لسياح عرب، وتروج أوساط في النظام السوري بأن "الدعارة" والتي خففت الصحف السورية تسميتها إلى "الأفعال المنافية للحشمة" تدر على سوريا

ملايين الدولارات، وتذهب كلها إلى جيوب الاستخبارات السورية وأزلامها. في رواية أخرى روجتها بعض المواقع المعارضة لنظام الأسد أكدت على أن أسواق الجنس في دمشق لا تزال تفرض على زبائنها التعامل بالليرة السورية، وهي المهنة الوحيدة التي ساعدت على صمود الليرة مقابل الدولار.
وقعت سورية على بروتوكول تعديل اتفاقية قمع الإتجار بالنساء والأطفال المبرمة في جنيف في 1921/9/30 وذلك في 1947/11/17 كما انضمت لاتفاقية قمع الإتجار بالأشخاص واستغلال بغاء الغير (نيويورك 1950/3/12 والتي دخلت حيز التنفيذ عام1951 وذلك عام 1959 كما حدد القانون السوري عقوبات لاستغلال الطفل جنسيا ولاستغلال الآخرين وتسهيل الدعارة. والملاحظ عدم تطبيق الكثير من بنود القانون السوري ولا الاتفاقيات الدولية المصدقة من سوريا ويدعم ذلك وجود الاستغلال الجنسي للأطفال والسياحة الجنسية واستغلال العراقيات والسوريات والروسيات وغيرهم من خلال شبكات منظمة وبغطاء قانوني أحيانا.

سلاح الجنس لفرض الاستسلام في الأزمة السورية:

استخدم النظام البعثي عدة وسائل لفرض الاستسلام على أطراف "المعارضة" السورية وكان من ضمنها تسريب الأفلام الإباحية لعدد من مسؤولي "المعارضة" أو التهديد بنشرها.
فنشر التلفزيون الرسمي السوري التابع للنظام وعدد من القنوات المؤيدة له عشرات التقارير الإعلامية التي يتهم فيها أطراف المعارضة السورية بممارسة الجنس بطرق غير رسمية، واستند إلى عدة قصص مصورة للتشهير بمعارضيه، فيما اعتبرت المعارضة تسجيلات النظام بأنها شائعات ومركبة وتهدف إلى تشويه سمعة مقاتليها. ففي تقرير لشركة FireEye الأمريكية المتخصصة بأمن الشبكة الإلكترونية يؤكد أن مقاتلين من المعارضة السورية تعرضوا للقرصنة وسرقت خططهم العسكرية عن طريق نساء قمن بإغوائهم على الإنترنت، دون أن يتم تحديد الجهة التي حصلت على المعلومات.
بدأت القصة مع عبد الرزاق طلاس، قائد كتائب الفاروق التي تصدّت بقوة لجيش النظام حين هاجم حمص. تم تسريب فيديو يظهر فيه في وضعيّة مخلّة بالآداب.

ضُبط بالجرم المشهود. منذ ذلك الحين راحت تتوالى سلسلة من الفضائح الجنسية التي تطال رموزاً للمعارضة السورية.
في أحد الفيديوهات، يظهر قائد كتائب الفاروق عبد الرزاق طلاس بين الأطفال السوريين. يحمل بعضهم ويرفعهم وهم يبتسمون له. في صور عدّة، يظهر وهو يصلّي مرتدياً لباسه العسكري. الملازم الأول المنشق عن الجيش السوري النظامي كان يسير على طريق النجومية. نال إعجاب الكثيرين ومنهم فتيات من مؤيدات المعارضة السورية.
ولكن فجأة تغيّر المشهد. تم تسريب فيديو له في وضع مخل يجمعه، عبر برنامج "سكايب"، مع مراسلة لقناة عربية.
حاول البعض الدفاع عنه قائلاً إن الفيديو ليس صحيحاً وأن من يظهر فيه هو شبيه له صوّرته المخابرات السورية بهدف المس بسمعة طلاس. هو نفسه كاد يصدّق المدافعين! اتهم الصين باستخدام تقنيات حديثة لفبركة الفيلم!
في أغسطس 2012 انشق عدد من رفاق طلاس وشكلوا "كتيبة عائشة أم المؤمنين في الرستن وتلبيسة". قالوا في بيانهم: "نتحفظ عن ذكر السبب الذي أصبح معظمكم يعرفه حيث يقول الله تعالى في كتابه الكريم: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ. والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون".
السجال لم يستمر طويلاً. انكشفت الحقيقة. للحفاظ على ماء الوجه أعلنت كتائب الفاروق، في 6 أكتوبر 2012، "أنها قد تعرضت لعملية ابتزاز حقيرة من النظام المجرم بعد أن استطاعت أجهزة استخباراته اختراق محادثات سكايب خاصة بالملازم أول عبد الرزاق طلاس؛ إذ قامت أجهزة الاستخبارات الأسدية بنشر بعض هذه التسجيلات، وإرسال بعضها مما هو أشد وأخزى لموقع الكتائب بمراسلة خاصة تطلب فيها مواقف سياسية من الكتائب ومشاركة بالحوارات مقابل عدم النشر مع مغريات خسيسة". الكتائب أعلنت أن "هيئة الرقابة الداخلية والهيئة الشرعية (تأكدت) من صحة هذه التسجيلات المسربة" وقررت تنحيته عن أي منصب ضمن كتائب الفاروق في سورية".
في 21 فبراير 2012، انشق العقيد عبد العزيز كنعان عن الجيش السوري. محاطاً بمجموعة من المسلّحين، تلا بيان انشقاقه وقال فيه: "المجد للشهداء،

والحرية للمعتقلين، والنصر لشعبنا الصادق الأبي. أنا العقيد المظلي أركان عبد العزيز كنعان، من مرتبات القوات الخاصة الفوج 454، أعلن انشقاقي عن وزارة الدفاع وعن نظام الأسد المجرم... وما النصر إلا من عند الله". ما إن فرغ من كلامه حتى علت هتافات "الله أكبر". كانت الثورة تحتفل بكل انشقاق لصاحب رتبة عسكرية عالية.

لم تدم هيبة كنعان طويلاً. قبل أن تهدأ فضيحة طلاس دوّت فضيحة ثانية طالته. مرّة جديدة، كان الحق على التواصل عبر "سكايب"! ظهر في الفيديو عارياً تماماً ومستلقياً على تخت مغطى بشرشف أبيض، على رأسه سمّاعات. سقط العقيد الذي بدا خجولاً بحسب الفيديو!

تحوّل كنعان من عقيد شجاع إلى مادة للسخرية. "العقيد يظهر واضحاً في الصورة وهو يقوم بإدارة العمليات ضد النظام السوري"، قال أحد ناشري الفيديو. "القائد المجاهد عبد العزيز كنعان قائد المجلس العسكري في ريف اللاذقية وعضو القيادة العليا لأركان الجيش الحر أثناء قيادته إحدى المعارك واستخدامه قاذف الأر بي جي"، علّق آخر!

في مقابلة أجرتها معه صحيفة دايلي تلغراف Daily Telegraph، قال رجل الأعمال السوري فراس طلاس، إبن وزير الدفاع الأسبق مصطفى طلاس، إنه سيضع شركاته وأرباحها في خدمة الثورة السورية بهدف المساعدة على بناء مجتمع ديمقراطي. "سأمنح سوريا كل ما منحتني إيّاه".

ولكن قرار طلاس الخروج من سوريا والخروج كمعارض متميّز عن تشكيلات معارضة الخارج لم يعجب كثيرين. تم نشر فيديوهات تصوّره في وضعيات ماجنة. في أحد هذه الفيديوهات، يظهر وهو يعبث مع بائعتي هوى تمارسان السحاق قبل أن تمارس إحداهما الجنس معه. وفي فيديو آخر، أكثر فضائحية، يظهر وهو يمارس الجنس مع امرأة قيل أنها زوجة شريكه. في أحد المشاهد تظهر الامرأة وهي تدوس على رقبته!

بما أن الفضائح التي انتشرت ألحقت أذى كبيراً بمن تناولتهم، فإن الفضائح الجنسية صارت أهم أركان الحرب الإلكترونية على المعارضة السورية. تم تداول حديث عن فيديو يجمع أحمد حمادي، القيادي في لواء التوحيد الناشط في منطقة حلب، مع سيّدة قيل إنها مؤيدة للمعارضة.

بعد حمادي، جاء دور أبو جعفر المغربل الملقب بالحمصي. نشرت صور جنسية فاضحة له تجمعه بفتاة قيل إنها ناشطة سورية. وتم تداول شائعة عن قيام أبو الحسن، أحد أركان قيادة المجلس العسكري للجيش الحر في اللاذقية بممارسة الجنس مع ناشطة سورية متزوجة إسمها سلام.
تم كذلك تداول شائعة أخرى تتحدث عن ظهور طارق الدغيم النعيمي الملقب بـ"شاعر الثورة" في فيديو وهو يمارس الجنس مع "مجاهدة نكاح" قاصر. مرّة جديدة لا دليل.
في تموز 2012، استهدفت شائعة "بلبل الثورة"، عبد الباسط ساروت. ساروت يعرفه السوريون كلاعب كرة قدم (حارس مرمى). في بداية الانتفاضة، كان ينشد الأغاني الثورية في التجمعات السلمية فسطع نجمه. في ما بعد ظهر في حي الخالدية في حمص حاملاً "آر بي جي" ومنتقداً من ترك أرض المعركة ولجأ إلى تركيا. تم تداول صور غير واضحة له قيل إنها ملتقطة بواسطة "ويب كاميرا" وتجمعه افتراضياً مع فتاة ترقص له وأن "كتيبة عشاق الأسد" قد نجحت في قرصنتها. "ثورتكم تبدأ بالكلام وتنتهي بالرقص العاري أمام الكاميرا". قال أحدهم مستهزئاً بما اشتهر به ساروت من مطالبة للمتظاهرين بالتكبير في المظاهرات . وعدت "الكتيبة" بأنها ستنشر لاحقاً فيديو يوثق ما ادعته ولكنها لم تنشر أي شيء. القصة كلها مشكوك في أمرها.
امتعض طلاس من التشهير به. تقدّم بشكوى بواسطة شركة Digital Millennium Copyright Act ضد موقع "الخبر برس" الذي نشر الأفلام وطالبه بإزالتها وبهذا أكّد أنه هو الشخص الذي يظهر فيها.

حرب المخدرات أخطر الحروب التي استهدفت السوريين:

تعد ظاهرة تعاطي الحشيش وانتشارها بين السوريين من أخطر الظواهر التي خلفتها الحرب في النسيج الاجتماعي السوري اليوم، وتلاحقه حتى في تركيا التي هرب إليها جراء الحرب. حيث تفيد إحصائيات غير رسمية بأن الشباب السوريين هم الأكثر تعاطياً للحشيش في تركيا بحسب موقع صدى الشام.
أصابع الاتهام توجه للنظام الذي عادة ما ينشر المخدرات بشكل عام، مع توفر بيئة خصبة للاستهلاك، بيئة الضغوط النفسية والألم واللاجدوى والبطالة، والقتل

والدمار. وكذلك إلى المجموعات المسلحة وداعش التي تستغل هذه النبتة لتوفير البيئة المثالية لتطويع الشباب في صفوفها.

بتاريخ 23-10- 2012، أطلقت وحدات حماية الشعب YPG في كوباني حملة لإزالة نبتة الحشيشة من قرى المنطقة، واستمرت الحملة أكثر من شهرين وشملت 365 قرية ومزرعة في كوباني، حينها كانت مجموعات من "الجيش الحر" المدعومة من قبل تركيا وجبهة النصرة تستعدان للقيام بحملة عسكرية للسيطرة على المنطقة. كانت دوافع زراعة الحشيشة في تلك المنطقة بالتحديد، فضلاً عن الدوافع التجارية، فأن الأسباب الإيديولوجية والسياسية هي التي تمحورت التأكيدات حولها وخاصة أن المخطط التركي في إفساد المجتمع وفرض الاستسلام عليه معهود عليه في كردستان والمنطقة.

فبعد أكثر من خمسة أعوام على تلك الحملة لا يمكننا إلا أن نتوقع حجم الكارثة التي كانت ستحل بالمجتمع لو كُتب لزراعة تلك النبتة الخطيرة النجاح.

بعدها بأقل من عام، أي في الشهر السادس من عام 2013، أصدرت قوات الآسايش في كوباني بياناً إلى الرأي العام حول تعرض مجموعة من أفرادها لهجوم مسلح في قرية تل غزال جنوب كوباني أثناء قيامهم بحملة لاقتلاع ما تبقى من نبتة الحشيشة وتعقب مروجيها. بيان الآسايش أشار الأشخاص المرتبطين بحزب آزادي (مصطفى جمعة) والبارتي (عبد الحكيم بشار) الذين كانوا يقفون ضد هذه الحملة ويعملون على نشر الإشاعات لإعاقة الحملة، من جانبه أصدر حزب الوحدة آنذاك بيانا بحسب وكالة فرات للأنباء حول قرارهم القاضي بفصل أي عضو يتم التأكد من زراعته لنبتة الحشيش، وطُبق القرار بشكل فوري على المدعو حسن عطي الذي كان عضوا في الحزب قبل أن ينضم إلى حزب البارتي برئاسة عبد الحكيم بشار.

بعض المصادر أشارت إلى أمراء الحرب، وبعض ضباط الاستخبارات التركية بالوقوف وراء تمويل زراعة وإنتاج الحشيش حيث اعترف بعض من قام بزراعة الحشيش بأنه حصل وبشكل مجاني على بذور النبتة عن طريق ضباط في الاستخبارات التركية. وانتشرت تلك الزراعة في معظم مناطق الشمال السوري وخاصة تلك التي كانت واقعة تحت سيطرة داعش وبقايا الجيش الحر بدءاً من ريف الرقة، إلى ريف حلب، وصولاً إلى ريف إدلب في ظل وجود شريط حدودي

طويل، يساعد على تهريب المنتجات إلى خارج سوريا عبر تركيا، أو حتى توزيعها في الداخل السوري.

إدارة الآساييش في عفرين بدورها قامت حينها، أي في عام 2013 بمتابعة ملف تجار الحشيش ومزارعيه وعملائهم في المنطقة الذين قاموا بتحديد المناطق التي ستتم زراعتها ـوكمية البذار التي سيشترونهاـ والفنيين الذين سيتم استقدامهم من تركيا للإشراف على عملية الزراعة في أراضي المنطقة وخصوصاً في القرى الحدودية منها، حيث يتم زراعتها في الحقول والبساتين التي سيتم تحويلها وفق مشروعهم من زراعة الزيتون والخضراوات (على سبيل المثال لا الحصر) إلى القنب الهندي.

وعن أهداف زراعة تلك النبتة التي تصنف ضمن المخدرات، حذرت منظمات المجتمع المدني أنه فضلاً عن استهداف النفس البشرية وتدميرها وتخريب عقول الشباب، تهدد زراعتها الأمن الغذائي في المنطقة وخاصة أنها تُزرع على حساب زراعة القمح والخضار في المنطقة، وكذلك تقسيم المجتمع ونشر الجريمة، والتمهيد للرذيلة التي كثيراً ما تنشأ أسواقها في مناطق بيع المخدرات، وأجمعت الدراسات والبحوث العلمية والاجتماعية أن الشخص المدمن على تعاطي المخدرات لا يتمتع أبداً بعلاقات اجتماعية أو نفسية أو جنسية سوية مع غيره، إذ يؤثر ذلك على قدرته على التواصل بشكل سليم ومستمر مع من حوله وقدرة الطرف الآخر على الوثوق به.

في شهر نيسان عام 2017، ألقت قوات الآساييش في قامشلو القبض على 52 شخصا بينهم 6 نساء، بتهمة الإتجار بالمخدرات، كما ضبطت كمية من المواد المخدرة بالإضافة إلى عدد من الأسلحة. وكانت القيادة العامة لتلك القوات قد أصدرت احصائية رسمية في عام 2016 كشفت فيه بشكل رسمي عن نتائج حملتها لمكافحة ومتابعة ملفات المخدرات، وبحسب بيان الآساييش فأنها صادرت (6228) من الحبوب المخدرة، و (13763) ظرف حبوب، و35 ظرف هيروين و(2613) غراماً من الهيروين، بالإضافة لـ(124) كيلو غراماً للحشيش والمئات من شتلات الحشيش ضمن عام 2016.

وتكشف الاحصائية مدى خطورة تلك المواد في حال نجاح توغلها في المجتمع، وخاصة من الناحية الأخلاقية التي كثيراً ما تعول عليها الأطراف المعادية للسيطرة على المجتمع الهدف.

في بداية 2013 قام داعش بزراعة الحشيشة في منطقة حريتان ضمن مزارع محمية لا يستطيع أحد الوصول إليها، وأيضاً في قباسين في الريف الشرقيّ لحلب، حيث يقوم بإرسالها إلى تركيا قبل أن تعاد مغلفة إلى سوريا مرة أخرى.

إلى جانب الحشيشة، انتشرت في مناطق داعش والمجموعات المسلحة ظاهرة تعاطي حبوب الكبتاغون في حين يتم منع التدخين، حيث نشرت وكالة رويترز ومجلة تايم، تحقيقان منفصلان بهذا الشأن، ركزتا من خلالهما على أن التجارة بمادة الكبتاغون المصنع في سوريا، بلغت إيراداتها ملايين الدولارات داخل سوريا العام الماضي، وأن المقاتلين من الجانبين "النظام والمعارضة" يلجؤون لتعاطي الكبتاغون لمساعدتهم على مواصلة القتال. تجارة هذه الحبوب جزء لا يتجزأ من عملية تمويل المعارك في سوريا، بحسب تقرير مكتب الأمم المتحدة لمكافحة المخدرات والجريمة.

وكان موقع سيرنيوز السوري نشر تقريراً عن ظاهرة تعاطي المخدرات عام 2007، واستند إلى أرقام واحصائيات رسمية والتي غالباً ما تخفي الأرقام الصحيحة لهذه الظاهرة كما ظاهرة "الدعارة". وبحسب الموقع فأن:

عدد المتعاطين والتجار في المحافظات عام 2006 حسب العد التنازلي

دمشق 1434 متعاطي و 332 تاجر ____ ريف دمشق 896 متعاطي و106 تاجر ومروج .

في حلب 605 متعاطين و 320 تاجر ____ في حمص 267 متعاطي و 277 تاجر ومروج .

اللاذقية 403 متعاطي و 83 تاجر وموج ____ حماه 102 متعاطي و49 تاجر .

دير الزور 41 متعاطي و 21 تاجر ومروج ____ درعا 35 متعاطي و 22 تاجر .

الرقة والحسكة 10 متعاطين وتجار ____ السويداء 7 متعاطين و تاجرين .

طرطوس 5 متعاطين ____ القنيطرة 4 متعاطين ____ وفي إدلب متعاطي واحد.

تؤكد الاحصائية السابقة أن ظاهرة تعاطي المخدرات ومادة الحشيشة والكبتاغون كانت موجودة حتى قبل الحرب السورية، في ظل اتهامات لعناصر الاستخبارات السورية بترويج هذه المواد ونشرها لأهداف تجارية وسياسية وخاصة في المجمعات التي كثيراً ما كانت تبتعد عن الانخراط في تأييد النظام.

الرياضة

هي ممارسة صحية جيدة للحفاظ على سلامة البدن والذهن عندما يمارسها الإنسان بذاته، ولكن الحداثة الرأسمالية جعلت منها وسيلة لتخدير المجتمع وميداناً لكسب الأموال، بحيث أصبحت نسبة كبيرة من المجتمع تجلس أمام التلفاز لمتابعة مباريات كرة القدم مؤيداً أو مشجعاً لفريق لا يعلم عنه إلا اسمه أو للاعبين الأغلى ثمناً في العالم لم يلتق بهم، بل عرفه من الدعاية الإعلامية التي تبثها وسائل الحداثة، دون أن يقوم بأي نوع من الرياضة.

فبينما تكون الرياضة وسيلة تربوية تصب في خدمة بناء المجتمع القويم السليم، نرى أنها اختزلت إلى أداة لترويج مجد الدولة القومية. حيث تحصرها السلطة ضمن ثنائية النصر أو الهزيمة، فتحولها إلى أداة قتالية، وكأنها تخوض غمار حرب ضروس. ويعبر أحد المثقفين المصريين عن ذلك بكلام جميل فيقول لا أدري لماذا تهتاج أمة لهزيمة رياضية ولا تهتز لها شعرة لهزائمها الحضارية والاجتماعية!

الرياضة بطبيعتها ظاهرة من ظواهر المجتمع ومن أساسيات بنائه ولا يمكن الاستغناء عنها، لذا لم تفلت هي أيضاً كما الظواهر الاجتماعية الأخرى من الاستغلال والتوجيه وخاصة في الحرب الخاصة التي تشن على الشعوب. ومع فصل الرياضة عن مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأساسية كالأسرة والمدرسة وبيئة الأصدقاء وحصرها في مؤسسات الإعلام عن طريق المشاهدة والتفاعل الافتراضي تكون الحرب الخاصة قد دجنت المجتمع ووجهته إلى حيث تريد، كاستمرار لخطط الطبقات الفوقية في القرون الماضية التي حاولت استغلال الرياضة وحصرها في بيئتها الخاصة.

تعد الألعاب الرياضية متغيّرًا وسيطًا يلعب دوراً مزدوجاً ذي بعدين. البعد الأول هو أنها انعكاس للقيم والنظم الاجتماعية السائدة. ومن ثم فلا يمكن النظر للألعاب الرياضية كممارسات بدنية محايدة تهدف إلى تحقيق المتعة للمشاركين فيها والمتفرجين عليها، فهي نشاطات ومؤسسات تعكس قيم المجتمع واتجاهاته وعقائده. أما البعد الثاني فينظر إلى الألعاب الرياضية كأداة سياسية تُستخدم لتحقيق وظائف متعددة في المجتمع. ومن ثم، فالألعاب الرياضية تعد متغيّرًا مستقلًا يُحقق وظائف سياسية سواء بالنسبة للحكومات، أو الحكام.

في تحليل مهمة الرياضة لقائد الشعب الكردستاني عبد الله أوجلان:

منذ البدايةِ والألاعيبُ الرياضيةُ قد اكتَسَبَت وظيفتَها في المجتمعاتِ بِكَونِها لعبة الاستعدادِ والتأهبِ للمشاركةِ في الحياةِ بنجاح. إنها تؤدي دورَها كضربٍ من ضروبِ التعوُّد على المجتمعية وتكييفها معها. ونلاحظ أنّ الرياضةَ قد بدأ تصنيعُها بعدَ تفسخِ واهتراءِ الإمبراطوريةِ الرومانية على وجهِ الخصوص. وهذا هو شأنُ مؤسسة المُصارَعةِ والمُجالَدة.

وقد فَرَضَت الرأسماليةُ التحامَ الرياضةِ بالسلطة منذ البدايةِ (عبر احترافها)، وهدمِ جوهرِها الهاوي، وبالتالي تَصنيعِها. إنها ميدانٌ تخديريٌّ مُبَضَّعٌ هام. وبدلاً من أنْ تَكونَ مجالاً للمشاركةِ في المجتمعِ على أساسِ المعنوياتِ العالية والقوة الجسديةِ المتينة، أصبحَت ميداناً لجنيِ المال، وإثارةِ المنافسةِ بتهورٍ طائشٍ في سبيلِ ذلك، وبالتالي، صارَ المجتمعُ في وضعِ المتفرجِ السلبي. لقد استشرَت ثقافةُ حَلَبةِ الصراع (الرميُ بالإنسان لقمةً سائغةً في فمِ الأُسُود، وجناياتُ المُجالِدين) واستفحلَت في جميعِ حقولِ الرياضة. أما تحطيمُ الرقمِ القياسي، والتصفيق، فهما التصوران السائدان فيها. وأنْ تَكُونَ منتمياً لفريقٍ ما، أصبحَ أهمَّ بكثير من الانتماء إلى دينٍ أو فلسفة. كذا الأمرُ بالنسبةِ للانحيازِ إلى فريقٍ ما، حيث أصبحَ مَرَضاً متفشياً. وهكذا يَكُونُ الحكامُ قد بَلَغوا وسيلةً فعالةً أخرى من وسائلِ التحكم السهل. وعلى سبيل المثال، أيُّ دينٍ أو فلسفةٍ يمكنها تأديةُ الدورِ الذي تؤديه كرةُ القدمِ بالنسبةِ إلى الحكام؟

وبتقييمٍ فظٍّ يمكننا القولُ أنه، وبتصنيعِ هذا الثالوثِ (الجنس، الفن، الرياضة)، يَكونُ فَنُّ الحكمِ قد بَلَغَ ذروتَه. ومن غيرِ المحالِ إنشاءُ حكمِ رأسِ المالِ العالميّ أو سلطةِ الدولةِ القومية، ما لَم تُصَنَّع هذه الميادينُ الثلاثة. أَعُودُ وأُشَدِّدُ على أني لا أَقُومُ بِذَمِّ

وانتقادِ الجنسِ أو الفن أو الرياضةِ كظواهرَ قائمةٍ بذاتها. بل أنتقدُ تمييعَ وتصنيعَ هذه الميادينِ الحياتيةِ والحيوية في النشوءِ الاجتماعي وتأمينِ ديمومته.

لقد تَحَوّلَت وظيفةُ الرياضة والفن أيضاً إلى مؤسساتٍ عميلةٍ مسخَّرةٍ في خدمةِ الدولة القومية لِشَنّ أعتى أشكالِ الحرب على المجتمع. ونخص بالذكر البرامجَ الثقافية والرياضية المعتمدةَ على الصرعةِ والاستثارة، والتي تُستخدَم لهذا الغرض على أوسعِ نطاق. إنّ إفراغَ ميادينِ ثالوثِ الجنس والرياضة والفن من محتواها بشكلٍ مقصودٍ وممنهجٍ على يدِ رأسِ المال العالمي، وتحويلَها إلى مؤسساتٍ اجتماعيةٍ عميلةٍ متواطئة؛ قد أفسحَ المجالَ لتصييرها حركاتِ حربٍ ضروسٍ مسلَّطةٍ على المجتمع. لا ريب أننا لا نَرمي من خلالِ سردِ هذا التفسير إلى إدانةِ الجوهرِ الأصلي لوجودِ أنشطةِ الميادين الجنسية والرياضية والفنية. وعلى النقيض، فمِن أولى مهامِ الحضارة الديمقراطية هي تسخير هذه الميادين لخدمةِ المجتمع حِرصاً على سلامته، وذلك تأسيساً على إيلائها قيمةً أخلاقية عظمى.

فبينما تَكُون الرياضةُ وسيلةً تربويةً تَصُبُّ في خدمةِ بناءِ المجتمعِ القويم السليم، نرى أنها اختُزِلَت إلى أداةٍ لترويجِ شرفِ ومجدِ الدولة القومية. حيث تَحصرها السلطةُ ضمن نطاقِ ثنائيةِ النصر أو الهزيمة، فتُحَوّلها إلى أداةِ حربٍ بِيَدِها، وكأنها تخوض غمارَ حربٍ ضروس. ونخص بالذكر رياضةَ كرةِ القدم، التي تَستخدِمها الدولُ القومية لهذا الغرض كاحتكارٍ للسلطة. لقد أضحت الرياضةُ مُتَدَوّلةً قوموية، وساحةَ حربٍ طاحنةٍ معلَنةٍ تجاه المجتمع.

الرياضة والصراع الطبقي:

لقد برزت الرياضة في شكلها الرسمي مع بداية ظهور الطبقة الأرستقراطية في القرن (17) والتي شكلت ظروفها وقت فراغ هائل. وكانت ممارسة الرياضة بالنسبة لهذه الطبقة احد الحلول لشغل وقت الفراغ وبالتدريج أصبحت الرياضة جزءاً من أسلوب عيش الطبقات العليا.

ولقد ظهرت القوانين وقواعد اللعب عندما بدأت المباريات تجمع الطبقة الأرستقراطية الإنجليزية والطبقات الأدنى فظهر دور القوانين والقواعد واللوائح بعد أن وجدت طبقة النبلاء نفسها لا تستطيع ملاحقة أداء الطبقة الكادحة والتي كانت بحكم أعمالها تفوقهم من حيث القوة البدنية والمهارات الحركية. ولعل العامل

الأبرز لانتشار ممارسة الرياضة هو تزايد أوقات الفراغ لدى مختلف الطبقات بفعل تقلص أوقات العمل الاعتماد المتزايد على الآلة.
ولقد تعددت الرياضات واختلفت الميولات لممارسة الرياضة وكان اختيار رياضة بعينها له دلالات ومؤثرات اجتماعية. وأصبح للرياضة تصنيفا طبقيا داخليا خاصا بها، يتم فيه توزيع الرياضات توزيعاً مشابها إلى حد بعيد للتصنيف الطبقي في المجتمع.
فاختيار ممارسة نوع معين من الرياضات، غالباً ما يكون حسب الانتماء الاجتماعي وله علاقة سببية بالعوامل الاجتماعية الثقافية وبالظروف الاقتصادية.
وقد أظهرت الدراسات أن هناك رياضات خاصة بالطبقات الدنيا ورياضات خاصة بالطبقات المتوسطة وأخرى تميز الطبقات العليا.
ونعتقد أن الجدول التالي يوضح الممارسة الرياضية لدى طبقات المجتمع ولو بشكل نسبي ولكن ظاهر:

الطبقة	الرياضة	الخصائص
الطبقة الدنيا	ـ الركبي ـ كرة القدم ـ كرة اليد ـ سباق الدراجات ـ الملاكمة ـ المصارعة-الرومانية ـ سباقات الجري المتوسطة والطويلة ـ رفع الأثقال ـ الجمباز ـكمال الأجسام ـ رمي الجلة ـ المطرقة	ـ رياضات تعتمد على الاندفاع البدني والقوه البدنية . ـ رياضات طاقية (تعتمد على الجهد) غير مكلفة ـ نسبة حدوث الإصابات مرتفعه والاحتكاك مرتفع .
الطبقة المتوسطة	كرة السلة والسباحة والطائرة والهوكي وسلاح الشيش ـ سباق الحواجز ـ القفز بالزانة ـ الجو دو ...	ـ رياضات تتميز بعدم الاحتكاك . ـ وجود مسافة جسدية . ـ رياضات فنية ـ نسبة حدوث الإصابات متوسطة

الطبقة العليا	ـ التنس الأرضي ـ القولف ـ الرماية ـ السلاح ـ الفروسية	رياضات ينعدم فيها الاحتكاك . ـ مكلفه ومرتفعة الثمن، ذات رسومات باهظة ـ تمارس في النوادي الخاصة ـ رياضات عائلية متوارثة ـ نسبة حدوث الإصابات منخفضة

الألعاب الرياضية والدولة

العلاقة بين الألعاب الرياضيّة والدولة علاقة وطيدة وموغلةً في القِدَمْ وتدل على عمق التفاعل بين المؤسسات الاجتماعيّة في الدولة. فدول المدينة الإغريقية استخدمت النشاطات الرياضية كوسيلة لتحسين لياقة مواطنيها من أجل الاستعداد لخوض الحروب ولإظهار تفوق الدولة وعظمتها من خلال التنافس الرياضي بين دول المدينة. وفي العهد الروماني استخدمت الألعاب الرياضيّة، كذلك، من أجل اللياقة الحربيّة وفي السنوات اللاحقة أصبحت المنافسات الرياضية جزءًا من مخطط يهدف إلى السيطرة على الجماهير. ورغم أن دور الألعاب الرياضية انحسر من حيث الأهمية في المجتمعات اللاحقة، إلا أن بروز القومية منذ نهاية القرن الثامن عشر أعاد أهمية الألعاب الرياضيّة كعامل مساعد على تحقيق الوحدة الوطنية، ومنذ ذلك الوقت والألعاب الرياضيّة والسياسية تتفاعلان في المجتمع.

وهناك عدة عوامل تدعو إلى القول بأن الألعاب الرياضية والسياسة توأمان لا ينفصلان:

- أولًا، يمثل الرياضيون في العادة مؤسسات اجتماعية معيّنة كالمدرسة، أو النادي أو الحي أو الدولة ويتنافسون مع ممثلي مؤسسات مشابهة وينعكس الفوز أو الخسارة على المؤسسة ذاتها ويظهر ذلك جليًا من واقع المنافسات الدوليّة التي يفسر فيها الفوز على أنه انعكاس لكفاءة النظام السياسي ولقوة الدولة ومتانة اقتصادها وقدرتها العسكرية.

• وتظهر العلاقة القوية بين الألعاب الرياضية والدولة، أيضًا، من تدخل الحكومات لفرض إرادتها من خلال القوانين والأنظمة والممارسات السياسيّة التي تسعى من خلالها لتشجيع أو الحد من نشاطات ومنافسات رياضيّة معيّنة. فكرة القدم، مثلًا، كانت رياضة محرّمة في إنجلترا في العصور الوسطى، وفي عهد إدوارد الرابع أصبحت رياضة الرماية إجبارية في أيام الأعياد. وفي الدول الاشتراكية تمنع الدولة بعض الألعاب الرياضيّة كالملاكمة التي كانت محرّمة في الصين في عهد ماوتسي تونغ.

• كما تتدخل بعض أجهزة الدولة في تحديد عدد من النشاطات ذات العلاقة بالألعاب الرياضيّة مما يمكنها من التأثير على النشاطات الرياضيّة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. ففي الولايات المتحدة الأمريكية، مثلًا، يتدخل الكونجرس لتحديد الجهة المخوّلة صلاحيّة حصر الأعضاء المشاركين في الألعاب الأولمبية. ويستثني الكونجرس، كذلك، بعض الألعاب الرياضيّة من بعض القوانين، ويقرر أيًّا من النشاطات الرياضية يعرض أو يمنع من العرض على شاشة التلفاز المحلي. وتقرر المحاكم ما إذا كانت النشاطات الرياضيّة مستثناة من القوانين المضادة للاحتكار. وتتدخل وزارة الخارجية بالسماح أو المنع للنوادي الرياضية بالسفر لدول معيّنة، وهكذا.

• كما يسهم إصدار السياسات العامة للدولة على النشاطات الرياضيّة، مثل التأثير على القيم والمعتقدات الفرديّة والاجتماعيّة، ومن ثم على السلوك السياسي للمواطنين، مثل تبني فكرة «المشاركة» في كندا، وذلك بالتأكيد على أن الألعاب الرياضيّة تمثل جزءًا مهمًا من المشاركة في بناء المجتمع. أو فكرة «الألعاب الرياضيّة للجميع» في أوروبا. أو السيطرة اقتصاديًا واجتماعيًا على الألعاب الرياضية وتوجيهها عن طريق الأنظمة واللوائح المتعلقة بالأمان، أو العنف، أو البث التلفزيوني، أو استخدام الألعاب الرياضيّة لتعزيز السياسات الاجتماعية كالتفرقة العنصرية مثلًا.

وتستخدم الألعاب الرياضيّة، كذلك، كوسيلة دعائية للنظام السياسي كما حدث في الألعاب الأولمبية في عام 1936م في ألمانيا، حيث استغل هتلر المناسبة الرياضيّة للدعاية لنظامه السياسي. ورغم أن هتلر كان قد بدأ التدخل في الثورة الأسبانية في صيف 1936م، وظهرت نواياه التوسعية تجاه النمسا وتشيكوسلوفاكيا إلا أن

الترحيب والاستحسان اللذين قوبلتا به الألعاب الأولمبية التي نظّمتها ألمانيا أسهمت في تضليل الدول الأوروبية الأخرى، وجعلتها تغفل التهديد النازي لها، وذلك لأن المناسبة الرياضيّة أسهمت في تغيير الانطباع العام عن النظام الشمولي الألماني وذلك نظرًا لما لمسه المشاركون من حسن تنظيم واستعداد وبعكس ما كان متوقعًا مما ساعد على تخفيف العداء لهتلر وتعزيز التوجه السياسي البريطاني والفرنسي نحو سياسة الاسترضاء.

الألعاب الرياضية كميدان للتصريف السياسي

تلعب الأنشطة الرياضيّة دورًا كأداة للتصريف السياسي ومن ثم تسهم في ضبط السلوك الاجتماعي وتوجيهه نحو الاهتمام بقضايا غير سياسيّة مما يسهم في تحقيق الاستقرار الاجتماعي. ويقصد «بالتصريف السياسي» إخراج المشاعر السياسيّة الكامنة والمكبوتة لدى الجماهير في أشكال غير سياسيّة. وقد أشار عالما الاجتماع جيرث وميلز إلى أن تجمهر المشاهدين ومتعة متابعة المباريات تخدم الهدف غير المعلن المتمثل في توجيه عواطف الأفراد وضبط سلوكهم بتفريغ النزعة العدائية عن طريق التشجيع والهتاف للفريق. وقد أكد بعض علماء النفس أن الألعاب الرياضيّة وما يصاحبها من صراخ وهتاف تصبح وسيلة ناجحة لعلاج التوتر والإجهاد ووسيلة ناجحة للقضاء على الاكتئاب وأداة لإفراغ النزعة العدوانيّة، ومن ثم يجب تشجيعها كأداة للتنفيس عن النفس وضبط النزعة العدوانيّة للأفراد. ولذلك «لن يكون غريبًا أن يكتب الأطباء قريبًا في روشتات العلاج مشاهدة كرة القدم قبل الأكل وبعده». إن تفشي الظاهرة بهذا الشكل وما يكتب حول دور الألعاب الرياضيّة «الإيجابي» اجتماعيًّا يستخدم للتضليل وذلك بإظهار أنها نشاط إيجابي محايد يهدف إلى بناء المجتمع وتحقيق التماسك الاجتماعي في حين تظهر الممارسات المتكررة أن الألعاب الرياضيّة نشاطًا مسيسًا يستخدم كأداة لصرف أنظار الشعوب وإلهائها عن المشكلات الاجتماعية الملحّة. وحين تقوم المؤسسة الرياضيّة بالنظر إلى قدرتها على الضبط الاجتماعي، حيث تدعم الفئة الحاكمة تغلغل المؤسسة الرياضيّة كوسيلة للتنفيس الجماعي، فإنه يمكن القول إن الشريحة الأكبر في المجتمع يصرف نظرها عن طريق الانشغال بمتابعة الألعاب الرياضيّة، عن المشكلات الاجتماعية المهمة.

وقد ذكر روبرت ليبست أن الاعتقاد السائد بأن الألعاب الرياضيّة أداة الوحدة الوطنيّة وتوحيد المشاعر الاجتماعية، يستخدم لصرف أنظارِنَا وعواطفنَا وتنشئتنا لتقبل المعتقدات والقيم السائدة.

كما تمثِّل الاحتفالات المصاحبة للنصر في المباريات فرصة للتفريغ السياسي يُعبِّر فيها الشعب عن «كبت» كامن من القيود السياسية المفروضة عليه خاصةً في ظل غياب القنوات الرسميّة للتعبير السياسي. ومن ثم فإن الانتصارات الرياضيّة تمثِّل فرصة مناسبة للجماهير للتعبير عن رأيها سواء بالتأييد أو التنديد، ووسيلة تستخدمها الحكومات التسلطيّة على وجه الخصوص لصرف الأنظار عن المشكلات الداخليّة فهي تمثِّل فرصة مناسبة لانشغال الناس ولذلك فالمدرسة الماركسية تؤكد أن الألعاب الرياضيّة في إطارها البرجوازي ليست إلا «أفيون الشعوب»، وأنها وسيلة لصرف أنظار الشعب عن المشكلات الاجتماعية والسياسية السائدة من ناحية، وللإبقاء على الوضع الراهن عن طريق الإلهاء الاجتماعي.

أما فيما يتعلق بالبعد الثاني المتعلق بِقَوْلَبَةْ الوعي السياسي للمتفرجين فمن الواضح أن جمهور المتفرجين يتلقى بوعي أو بدون وعي رسائل وانطباعات سياسيّة معيّنة أثناء مشاهدة المباريات. حيث يشار، مثلًا، إلى أن حضور القائد السياسي المباراة يعد تشريفًا وتكريمًا للألعاب الرياضيّة ويدل على مدى اهتمامه، رغم مشاغله، بأبنائه الرياضيين. وقد يعمد المعلقون الرياضيون إلى إعطاء أرقام وإحصاءات عن إنجاز حكومة القائد في مجال الألعاب الرياضيّة مما يكسب القائد شعبية، أو الإشارة إلى أن التقدم الرياضي الذي تشهده الملاعب ما كان ليتم لولا دعم متناهٍ من القائد للنشاطات الرياضيّة. كما يستخدم السياسيون المناسبات الرياضيّة لأدلجة المشاهدين وتغذيتهم بالأطر العقائدية للدولة.

الألعاب الرياضية والعنف السياسي

الألعاب الرياضية، بطبيعتها، عملية تنافسية آنية، أي أنها تتضمن بالضرورة عملية كسب وخسارة، وتضع الاعتبارين وجهًا لوجه بحيث يجب «هزيمة» الفريق الآخر. وبهذا المعنى فالألعاب الرياضية تثير مشاعر العداء والكراهيّة للطرف الآخر ليس فقط بين اللاعبين ولكن أيضًا بين الجمهور المشاهد. وعند حد معيّن من التنافس الرياضي يتحول هذا التنافس إلى «تعصب» جماهيري يؤدي

في بعض الأحيان إلى درجات من العنف السياسي. وقد تعمد الدولة إلى تشجيع التحيّز الرياضي كأداة لتحويل أنظار الشعب عن المشكلات الاجتماعية وتفريغ الكبت الاجتماعي والسياسي في الصراعات الرياضيّة بدلًا من إثارة القلاقل السياسية. ولكن تزايد حدة التعصب الرياضي قد يؤدي إلى الإضرار بالوحدة الاجتماعية خاصةً حين يرتبط التعصب الرياضي بالتعصب الإقليمي والانطباعات العدائية بين الأقاليم. وكلما ازدادت درجة التوتر، كلما أصبح من المتعذر قبول قرارات الحكم، وكلما ازداد احتمال تصور اللعبة الخشنة كحركة متعمدة تهدف إلى إيذاء نجوم الفريق الآخر، وكلما زاد احتمال تدخل المشاهدين في المباراة بالنزول للملعب وتزايد السرقات في الشوارع.

كما أنه من المتوقع أن تسهم الألعاب الرياضيّة في زيادة حدة التوتر الاجتماعي وحدوث ظاهرة العنف حين يلتقي أفراد ينتمون إلى شرائح اجتماعية مختلفة أو أقاليم متباينة في منافسات رياضيّة. ومن ثم تصبح الألعاب الرياضيّة عاملًا معظمًا للأزمات الاجتماعيّة الداخليّة في الدولة. وحين يزداد إحساس الجماعة بتميّزها عن غيرها من الجماعات في الثقافة أو العرق يزداد التأكيد على إبراز هوية الجماعة عن طريق الألعاب الرياضيّة، مما يزيد من احتمال بروز العنف الاجتماعي، وكلما كانت الدولة تعاني من مشكلات اندماجية ازداد تأثير الألعاب الرياضيّة السلبي على وحدة الدولة وتماسكها.

ومما يدل على انعكاس التنافر الاجتماعي على ظاهرة العنف في الألعاب الرياضيّة ما حدث في نهاية عام 1962م في مدينة واشنطن (العاصمة الأمريكية) حيث التقت مدرسة سان جونز الخاصة ذات الأغلبية البيضاء مع مدرسة الشرق الثانوية ذات الأغلبية السوداء وانتهى اللقاء بفوز سان جونز مما أدى إلى اشتباك الجمهور وجرح مالا يقل عن 500 شخص. وقد يرتبط الصراع العرقي الاجتماعي الناتج عن العوامل السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة بالنشاط الرياضي على المستوى الدولي. وأبرز دليل على ذلك «حرب الكرة» بين السلفادور والهندوراس في عام 1969م. ففي السنوات السابقة للحرب هاجر قرابة 30000 شخص من دولة السلفادور الصناعيّة المكتظة بالسكان إلى دولة هندوراس الزراعية القليلة السكان، بصورة غير قانونية مما زاد من حقد شعب هندوراس تجاه السلفادور. وقد مثلت هذه المشكلات؛ إضافة إلى نزاع حدودي بين

الدولتين، العمود الفقري لأحداث الشغب التي صاحبت مباريات كرة القدم بين الدولتين في يونيو 1969م. فبعد نهاية المباراة الأخيرة تدهورت العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين، وزحفت جيوش السلفادور على حدود الهندوراس متذرّعةً بإشاعة قتل جماعي للمواطنين السلفادوريين في الهندوراس.
ومن الأمثلة المعاصرة للعنف الناشئ عن الألعاب الرياضيّة القتال الذي دار بين المشجعين الإنجليز والمشجعين الإيطاليين في استاد هاسل في بلجيكا عام 1986م وأدى إلى سقوط حوالي 25 قتيل من الطرفين، مما حدا بالاتحاد الدولي لكرة القدم إلى اتخاذ قرار يحظر اشتراك الأندية الإنجليزية في المنافسات الأوروبية لمدة عامين. وفي إيطاليا، كذلك، تسهم الألعاب الرياضيّة في تعظيم الصراع بين الجماعات، ففي إحدى مباريات كرة القدم عام 1957م انفجر نزاع عنيف بين مدينتي باري وتورينو أسفر عن خسائر جمَّةً في الممتلكات. كما تدخلت الشرطة الفيدرالية لوقف أحداث الشغب حين نشب نزاع بين مدينتي قصيري (Kaseri) وسيفاز (Sivas) في تركيا بعد مباراة كرة قدم في عام 1967م. وقد أسفرت أحداث الشغب عن قتل 42 شخصًا وجرح 600 آخرين. وفي الولايات المتحدة تزايد الاهتمام بأحداث العنف بين لاعبي الهوكي في السنوات الأخيرة. وفي بريطانيا يصاحب العنف عادة وبشكل مباشر مباريات كرة القدم. وقد زاد الاهتمام بمتابعة العنف في مباريات كرة القدم الإنجليزية منذ عام 1961م حيث شهدت الملاعب الرياضيّة جنوحًا نحو العنف المنظم بين المشاهدين إما بهدف تعطيل مباراة يعتقد مشاهدوها أن فريقهم سيخسرها، أو بشغل حارس المرمى عن مراقبة الملعب، أو بحوادث السرقة في الحافلات والقطارات ونهب المنازل أثناء المباراة. وقد دفع تفاقم العنف الجهات المعنيّة عام 1969م للتحقيق في الظاهرة بغية وضع الحلول المناسبة لها، وشهدت السبعينات من القرن الحالي عدة محاولات واقتراحات للحد من ظاهرة العنف الكروي منها الدعوة إلى الاستعانة ببعض فرق الشرطة المدربة في مكافحة الشغب، وتعميق ولاء النشء للأندية الرياضيّة، وتشديد الرقابة على المحلات والمنازل أثناء المباريات وغير ذلك. وقد عمدت إيطاليا في دورة كأس العالم لعام 1990م، لحسم الشغب الذي يثار في الملاعب، إلى تعيين قاضٍ في الملعب للفصل الفوري في جرائم الشغب وجعلت حكمه

بالطرد من إيطاليا أو الحبس أو الغرامة أو البراءة مُلْزِمًا ونهائيًّا حيث يتم تنفيذ الحكم فورًا.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل العنف المصاحب للألعاب الرياضيّة انعكاس بصفة مستمرة للمشكلات الاجتماعية؟ أم أنه نتيجة لطبيعة الألعاب الرياضيّة؟

وللإجابة على هذا السؤال، هناك تصوران محددان في هذا الصدد:

التصور الأول

إن الألعاب الرياضيّة لها طبيعة تنافسيّة ومن ثم تثير بطبعها احتمالات الصراع والعنف بين اللاعبين والمشاهدين ويظهر هذا العنف في حالات محددة منها:

أولًا. أن تكون نتيجة المباراة حاسمة لموقف إحدى الفرق، ويترتب على تلك النتيجة خسارة كبرى لبطولة معيّنة.

ثانيًا. يظهر العنف في الأغلب من الفريق أو الجمهور المشاهد الخاسر للمباراة.

التصور الثاني

إن العنف المصاحب للألعاب الرياضية لا علاقة له بتلك الألعاب، وأن الألعاب ليست إلا «مناسبة» لظهور العنف «الباطن» في شكل «علني» نظرًا لوجود قهر وظلم اجتماعي على المشاهدين يعبرون عنه في المناسبات الرياضية المختلفة.

والحقيقة إن العنف المصاحب للألعاب الرياضيّة قد يعكس أزمة اجتماعية عامة تدل على الأحوال المتدهورة للمجتمع وقد يمثل بالنسبة للجمهور وسيلة للتعبير عن السخط الاجتماعي وعدم الرضا بالوضع الراهن فقد ازداد العنف الكروي في بريطانيا عام 1972م عندما أناخ الكساد العلمي على الاقتصاد البريطاني ولكن ليس كل العنف المصاحب للألعاب الرياضيّة نتيجة لأزمة اجتماعية معيّنة، وظهور العنف قد لا يرتبط بالاستبداد السياسي ليمثل وسيلة وللتعبير عن القهر الاجتماعي وذلك لأنه يظهر في دول لا تتميز بالاستبداد.

الرياضة وتجارة الجسد

قد يكون النظام الرأسمالي نجح في رهانات كثيرة في هذا العصر، غير ان الذي لا سبيل الى الشك فيه هو انه نجح في تحويل الجسد - الذي قدسته الأديان والحضارات القديمة - الى مجرد مادة للاستهلاك التجاري.
فتذهب العملية التجارية الرياضية إلى إدخال الفاعلين الرياضيين في نظام بورصة خاص: كل نجم رياضي يتحول الى قيمة تجارية خاضعة للمزايدة - السرية والعلنية - بين الاندية (أو الشركات التجارية الرياضية) وحين يستقر المزاد على رقم (وغالباً ما يكون بملايين الدولارات) يفوز النادي بحق التعاقد مع اللاعب وناديه، وحق احتكار خبرته. أما حين يعلو سهم هذا اللاعب في الملاعب، وفي بورصة القيم الرياضية، فقد يبلغ الأمر حد إعادته النظر في العقد الموقع ولو كلفه ذلك شراء "حريته" بأضعاف المبلغ المدفوع له، وهو ما يتم - طبعاً - على خلفية عروض مالية اكثر إغراء من أندية أخرى. يجري ذلك من دون احراج اخلاقي (خيانة فريقه مثلا)، فمنطق السوق لا يعرف إلا شيئاً واحداً: اخضاع الخبرة الرياضية لعمليات البيع والشراء.
لنقل - إذاً- إن هذه التجارة المربحة هي تجارة الجسد. ليس في الرياضيين ما يغري إلا أجسادهم وطاقة هذه الأجساد على إنتاج المتعة لدى المتلقي أو المستهلك. ولا يناظر هذه التجارة ربحية إلا تجارة الجسد في السينما، حيث صناعة الأفلام الجنسية هي الأعلى ربحاً في العالم المعاصر، وحين جسد المرأة (الممثلة) قيمة تجارية عالية يجري عليها التنافس. والأمر نفسه منطبق على تجارة الجسد في حالة عارضات الأزياء، حيث تعلو أو تهبط قيمة الزي المعروض بحسب قيمة الجسد العارض... إلخ.

الاستثمار في الرياضة، وميزانيات تفوق ميزانيات الدول:

لقد أصبحت الرياضة الآن مصدر دخل هائلا في العالم كله وتجارة كرة القدم على وجه الخصوص فقد حدث فيها تغيرات هائلة على مر الزمن، ففي عام 1928 قام أمين الصندوق للاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) ويدعى هيرش، وأعلن أن الاتحاد الدولي لديه عجز في الميزانية قدره ستة آلاف فرنك سويسري فلنتصور ذلك، أما الآن فإن مداخيل الاتحاد الدولي لكرة القدم تفوق مداخيل كثير من الدول وأصبح يعطي إعانة سنوية لكل دولة من أعضائه تزيد على ملايين عدة من الدولارات

علماً أن عدد أعضائه 208 دول، أي أن الاتحاد الدولي يعطي مساعدات تصل إلى أرقام لا يمكن أن يصدقها الإنسان العادي مليون دولار سنوياً، وذلك لتطوير كرة القدم وهذا يعكس مدى حجم ونجاح اقتصاد كرة القدم في العصر الحديث التي أصبحت تتحدث بلغة أرقام خرافية في كثير من الأحيان.

شهد العقد الماضي تطورات هيكلية في صناعة لعبة كرة القدم، حيث ارتفعت أجور البث التليفزيوني المباشر، وأسعار تذاكر المباريات، وأسعار اللاعبين، ومبيعات الإعلانات التجارية، وغيرها من الإيرادات بصورة غير مسبوقة، وبمعدلات تفوق معدلات التضخم العالمي بمرات عدة. ذلك أن مسابقات كرة القدم التي كانت تبث فيما سبق بصورة مجانية، بما في ذلك كأس العالم، لم تعد اليوم كذلك، وهي متاحة في معظم الأحوال لمن يدفع. فقد اقتحمت القنوات التجارية والقنوات الرياضية المتخصصة مجال الصناعة، وأصبحت مجال البث الأساسي للعبة إلى المستهلك النهائي في جميع أنحاء العالم، مستفيدة من التطور التقني في مجال الإرسال التليفزيوني عبر الأقمار الصناعية.

أمثلة:

أرباح قياسية لشركة "أديداس" الالمانية في 2016

أعلنت شركة التجهيزات الرياضية الالمانية "أديداس" تحقيق أرباح قياسية فاقت المليار دولار في عام 2016 الذي شهد إقامة دورة الالعاب الاولمبية في ريو دي جانيرو وكأس اوروبا في كرة القدم، وانعكست هذه النتائج التي فاقت التوقعات، على أداء أسهم الشركة في البورصة، اذ حققت مكاسب بأكثر من سبعة بالمئة، واعتبر الرئيس التنفيذي للشركة كاسبر رورستد ان 2016 كان "عاما استثنائيا" للشركة التي حققت نموا بأكثر من عشرة بالمئة في معظم مناطق العالم التي تنشط فيها.

واوضحت الشركة التي تتخذ من اقليم بافاريا مقرا لها، ان أرباحها الصافية ارتفعت بنسبة 60,5 بالمئة العام الماضي مقارنة مع العام الذي سبقه، لتبلغ 1,02 مليار يورو (1,07 مليار دولار)، وهي المرة الاولى تتخطى أرباح الشركة عتبة المليار دولار، وهو رقم فاق توقعاتها الخاصة وتلك التي قام بها المحللون الاقتصاديون، وارتفعت عائدات الشركة 14 بالمئة لتبلغ 19,3 مليار يورو.

كأس اوروبا وفرت لفرنسا 1,22 مليار يورو من الدخل الاقتصادي:

وفرت استضافة كأس اوروبا 2016 لكرة القدم التي كلفت فرنسا رسميا اقل من 200 مليون يورو، دخلا اقتصاديا بلغ 1,22 مليار يورو، بحسب ارقام نشرتها وزارة الرياضة، واثار انفاق الاموال العامة لاستضافة البطولة جدلا، مع اعتراض الكثيرين على مضاعفة كلفة الاجراءات الامنية الى 24 مليون يورو في ظل التهديدات الارهابية التي كانت تواجهها البلاد. كما أنفقت الدولة 160 مليون يورو بين 2011 و2016 على بناء الملاعب وتجديدها، استعدادا للحدث الذي اقيم بين حزيران/يونيو وتموز/يوليو، بينما غطت صناديق خاصة والاتحاد الاوروبي التكاليف الباقية.

الا ان النهائيات وفرت دخلا اقتصاديا بلغ 1,22 مليار دولار، أكان من خلال السياحة او الانفاق المرتبط مباشرة بتنظيم البطولة، بحسب بيانات اعدها مركز القانون والاقتصاد الرياضي في جامعة ليموج وهيئة كينيو الاستشارية، واخذت عملية الاحتساب في الاعتبار، الخسائر المحتملة في قطاع السياحة نظرا لاحجام سياح محتملين عن القدوم الى فرنسا لتجنب البطولة، اضافة الى الاموال العامة التي كان يمكن انفاقها في مجالات اخرى، في حال عدم استخدامها على الملاعب.

واظهرت الارقام ان معدل الانفاق لكل زائر قدم الى فرنسا خصيصا للبطولة، بلغ 154 يورو يوميا، آل معظمها الى كلفة الاقامة وتناول الطعام، وان هؤلاء امضوا ما معدله 7,9 ايام في البلاد، وبلغت ايرادات السياحة بحسب الدراسة 625,8 مليون يورو، الى ذلك، انفق الاتحاد الاوروبي لكرة القدم 360 مليون يورو على تنظيم البطولة، وبلغت مساهمة المنتخبات الـ 24، 34,9 مليون يورو، وانفق الاشخاص المعتمدون في البطولة 34,8 مليون يورو، والرعاة 22,6 مليون يورو، كما حصلت الدولة على 70 مليون يورو من الضرائب على القيمة المضافة، وكان المركز الجامعي نفسه توقع في كانون الثاني/يناير تحقيق البطولة عائدات بقيمة 1,26 مليار يورو، اي 0,1 % من الناتج المحلي الفرنسي.

عام 1987، احتفلت وسائل الإعلام السورية بفوز المنتخب السوري ببطولة كرة القدم في دورة ألعاب البحر المتوسط العاشرة في اللاذقية والتي كلفت سورية 300 مليون دولار أميركي كان من الممكن أن تساعد البلاد في الوقت الذي عانت من الانكماش الاقتصادي.

الفن

الفن أو الفنون هي نتاج إبداعي إنساني، وتعتبر لونا من الثقافة الإنسانية، لأنها تعبيرٌ عن الذاتية، وليس تعبيرا عن حاجة الإنسان لمتطلبات حياته رغم أن بعض العلماء يعتبرون الفن ضرورة حياتية للإنسان كالماء والطعام.

ويُعتبرُ الفنُّ نتاجًا إبداعيّاً للإنسان حيث يشكّل فيه الموادَّ لتعبّر عن فكره، أو يترجم أحاسيسه، أو ما يراه من صور، وأشكال يجسدها في أعماله. من خلال الموسيقا والأدب، وحتى السينما، حاليا تستخدم كلمة (فن) لتدلّ على أعمال إبداعيةٍ تخضع للحاسة العامة كفن الرقص، أو الموسيقى، أو الغناء، أو الكتابة، أو التأليف، أو التلحين وهذه تعبيرٌ عن الموهبة الإبداعية في العديد من المهارات الفنية، والبشر بدؤوا في ممارسة الفنون منذ 30 ألف سنة. وكان الرسم يتكون من أشكال الحيوانات، وعلامات تجريدية رمزية فوق جدران الكهوف. ومنذ آلاف السنين كان البشر يتحلّون بالزينة، والمجوهرات، والأصباغ.

الفن هو التّعبير الجماليّ عن فكرة أو ذوق معيّن، و هو ميدان جدّ واسع و ثريّ مثل الرّسم، المسرح، الطّبخ، السّينما، الموسيقى، فن العمارة، فنون التلوين، التصميم... إلخ، فكلّ هذه فنون لها ميادينها الخاصّة بها، وهناك من يعرّف الفنّ بكونه النّشاط الإنسانيّ الذي يحمل دلالات الوجدان والإحساس والشّعور. (بصمة النّفس الإنسانيّة). لكنه لم يسلم من أن يكون إحدى وسائل الحرب الخاصة لتخريب ذهنية الإنسان، وإبعاده عن قضاياه الأساسية وهموم مجتمعه. والأهم أنها تهيئ الأرضية اللازمة لتقبل أو لتجذير الفكر الرأسمالي وأنماط الحياة التي تقتضيها المصلحة الرأسمالية.

أحكمت الدولة والاحتكارات الخاصة قبضتها على الفن وحولتها إلى ثاني ساحة حرب اجتماعية، وقد لعبت ثقافة الصرعة والاستثارة الشعبية وثقافة الأرابيسك بصورة خاصة دوراً مؤثراً في أسر المجتمع، تحت يافطة ثقافة اللهو والسمر، وبواسطة جيش من النجوم اللامعين (التي يروج له الإعلام) يؤسر المجتمع بفنه، وهكذا يحط من شأن الفن الأصيل بإبعادها الثقافة الشعبية عن وظيفتها الأساسية المتميزة بها على مدى آلاف السنين.

ولكن الحداثة بإمكانياتها الدعائية وصناعتها الفنية جعلت الفن وسيلة للربح وكسب المال، وتستخدمها وسيلة لتخدير الإنسان بإبعاده عن هموم مجتمعه، بترسيخ الفردانية والأنانية تحت اسم الليبرالية التي هي إيديولوجية الرأسمالية.
وكمثال للتوضيح، يشير قائد الشعب الكردستاني عبد الله أوجلان إلى أن فيلم "سيد الخواتم – عودة المَلِك"، والذي حاز على إحدى عشرة جائزة أوسكار، يتلخص مضمونه في إضاعة الخاتم (رمز السلطة). فهو تَصَوُّر منتَظَر لذهنية السلطة المهيمنة تعبر عن فكره الأيديولوجي في ضرورية السلطة وديمومتها.
ويضيف إنها مرحلة تكوين البراديغمائيات الجديدة، ويبدو أن الذهنية التحكمية تستعد لذلك. إنهم أناس دهاة، إذ يدركون يقيناً أنه ما من قوة ستبقى على حالها، في حال ظهور الوجه الحقيقي والخفي للسلطة الكلاسيكية.
كما توقف خلال مسيرته الفكرية والسياسية مطولاً على مسألة الفن ودوره في المجتمع، ووجه في أكثر من مناسبة إلى إحياء الفن الأصيل لشعوب الشرق الأوسط، فبحسبه أن "الإنسانُ يَخلُقُ كوناً خاصاً به عبر الفن. ولا يمكن استمرار المجتمع إلا عن طريق الابتكارات والإبداعات القائمة في الميادين الأساسية، كالصوتيات، الرسوم، والمعمار. هل يمكن تَصَوُّر مجتمعٍ بلا موسيقا، بلا آداب، أو بلا عَمَار؟ كلُّ الإبداعاتِ المتواجدة في هذه الميادين تندرج معانيها في الميتافيزيقيا. وهي ضرورةٌ لا مفر منها لتأمينِ استمراريةِ المجتمع. فالفن يلبي احتياجاتِ الإنسان في الجماليات كتصورٍ ميتافيزيقي كلياً. فكيفما يُولي الإنسانُ المعانيَ للسلوكيات الأخلاقية عبر ترجيحه بين الفاضل – الرذيل، فكذلك يُضفي المعانيَ على السلوكيات الفنية عبر حُكمِ الجميل – القبيح".
ويذكر في تحليلاته حول الأدب والفن الثوري أن "بدون الفن لا نستطيع التحدث عن وجود المجتمعات. بالتالي يعتبر الفن وسيلة لا يمكن الاستغناء عنه في التطور والتحول الاجتماعي، خاصة عدم تحليل تقرب الإنسان مواجهة الطبيعة بشكل علمي وسياسي وعدم تغذية الروح تماماً بالإشباع المادي يؤدي الى شكل إشباع مغاير أي الفن، بهذا المعنى فإن الفن يؤمن احتياجات الروح كأساس له وبنفس الوقت له علاقة بالفكر أيضاً.
لكن يمكن القول بكل سهولة بأن الفن يعبر عن ساحة خاصة. بالكثير من الأشكال المتنوعة التي تأخذ شكل متطلبات روحية تظهر أمامنا كإنتاج للفن وتحقق بدورها

الإشباع المعنوي، إنتاج النظام يؤثر أحياناً على الفن، وكذلك الأحداث السياسية تبني ارتباطاتها عن قرب مع الفن. لكن لا نستطيع القول عن هذه الأشياء جميعاً بأنها تعبر عن الفن. يتم الحديث عن الفن أيضاً من نواحي أخرى كالاقتصاد والسياسة، الكثير من الإيديولوجيات المتنوعة تتقرب من الفن أيضاً، الشيء الذي يجب ان يفهم هنا هو ان الفن يتأثر من العوامل الأخرى للمجتمع بقوة ولكن لا يتوحد معها ولا يصبح كظل لها، الفن يجعل من نفسه حاجة حيوية لا يمكن الاستغناء عنه.

يمكن القول أن جميع الوسائل والطرق التي تستخدم في تشكيل الاحتياجات الإنسانية تدخل في إطار الفن. فالواقعة التي نقول عنها الصوت الجميل، المناظر الخلابة للعين أو الشعر الذي يخاطب روح الإنسان يقيّم على أنه فن. يمكن ان تستمر حياة الإنسان إن لم تتواجد هذه الأشياء أيضاً ولكن ستكون حياة مجردة. ففي كل نظرة يوجد فرق بين الجمال والقبح مطلقاً، كما في كل تقرب لروح الإنسان هناك ما يعجبه أو لا يعجبه. وهناك السلوك الصحيح والخاطئ. لو تطور مجتمع وبالتالي الفرد لأي درجة ـ خاصة عندما تظهر مسألة تأثير الفن ـ يصبح بذلك القدر تعبيراً عن تقدمه في هذا الجانب أيضاً. فالشخص الذي بقي متأخراً في أشكال الفن أو تابع أعمال الفن الرجعي يقال عنهم متخلفين، الشخصية التي لا تملك التعمق الروحي وعديمة الغنى والتي لا تتأثر بالموسيقى، المناظر، والكثير من أشكال الفن المختلفة، والتي لا تصل الى الفرق بين الفن والتعمق الروحي، تعتبر شرايينها الحياتية فارغة. بالتالي إن دور الفن الاجتماعي لا جدل فيه، لان العيش دون فن هو كالعيش في مستوى الحيوانات. وهذا يدل على إلغاء الحدود بين حياة الإنسان والحيوان، ولا يمكن قبول حياة كهذه.

بهذا المعنى، في كل فترة من التطور الاجتماعي أو في مرحلة القفزة النوعية يتم تحديد مسار تطور الفن أيضاً، مع العلم ان مراحل تكون البنية التحية والفوقية الاجتماعية المهمة، تتوضح بجهود الفن في نفس الوقت. كل تشكل فوقي وتحتي في البنية الاجتماعية يتطور في المستوى الفني أولاً، يؤثر ويتأثر به في نفس الوقت. مثلما تحضر المراحل الثورية بالفن، كذلك الفن يتأثر بنسبة مهمة بتلك المراحل لبلوغ اشكاله النوعية والقوية. بهذا المعنى يعتبر الفن بمثابة نفس واسع في مواجهة صعوبات الحياة، يعني انه يعمل على تخطي كافة العراقيل التي تضيق

روح الإنسان. إنه عدم الاكتفاء بما هو موجود أو بما هو قديم. ومعنى عدم اكتفائه يعني كسب القوة وهكذا يمكن تعريف الثورة الفنية.

عند الحديث عن وطن الكرد ومجتمعه، فإن هذا التعريف العام للفن، الذي يمكن ذكره، أثر سلبياً عليه الى حد كبير لوصول المجتمع في ظروف الإقطاعية والاحتلال الى مستوى لا يستطيع فيه حتى التنفس. والتقدم بذلك أثر على الفن بشكل كبير أيضاً. لكن المهم هنا هو أننا نرى أن الشعوب على الرغم من أنها تلاقي صعوبة في تكوين بنيتها الفوقية وعلاقتها وقوتها، فبمقدورها ولو بشكل محدود إحياء نفسها بالفن وستستمر في التعبير عن هويتها من خلاله. فكل هذا، وإن كان محدوداً، يدل على قوة الفن الذي ربما يكون آخر مقومة يفقدها ويخسرها المجتمع.

الغرب ونظرته إلى الشرق من خلال الفنون:

تبالغ الفنون الغربية الرئيسية في الاستعلاء على الشرق، وخاصة فيما يتعلق بإسهاماته الفنية، فيما تأخذ منحى آخر عندما تقوم بإبراز الشخصية الشرقية بشكل عام، حيث تقتصر على تعريفه كقاتل أو متخلف، أو غير قابل للتطور، وعادة ما تخلط بين فعل بعض الأفراد العنيف والمجتمع الذي ينتمون إليه.

1- النظرة الذاتية الخالصة التي تنم عن عنصرية دفينة وكأن العالم يوجد فقط عندما يعرفه الوعي الأوروبي، بما يتضمنه ذلك من إنكار للتاريخ الحضاري للشعوب غير الأوروبية وكأنها كانت حضارات ما قبل التاريخ وبالتالي إنكار لفنون هذه الشعوب.

2- أن هذه الكشوف هي بداية الاستعمار التقليدي القديم الذي امتد ليحيط بالعالم القديم بحراَ حول أفريقيا جنوباً وإلى الهند شرقاً وأمريكا غرباً، هذا الخروج يتضمن بداية القضاء علي الثقافات المحلية بعد تعلمها وجمع أكبر قدر من المعلومات عنها ثم زرع الثقافة الأوروبية محلها كثقافة بديلة ووحيدة ممثلة للثقافة العالمية.

3- قسمة الشعوب إلى حضارية وبدائية أو متقدمة ومتخلفة أو صناعية وزراعية أو عقلية وأسطورية أو موضوعية وذاتية، وقد وجدت كل هذه التقسيمات صياغاتها المتطرفة في النظريات العنصرية.

وقد أثرت هذه المفاهيم تأثيراً كبيراً في تقييم الفنون الشرقية وتقديرها، ووضعها في ترتيب تطوري مستمد من تلك المفاهيم، فأصبح تراث الفن بالنسبة للناقد والفنان الأوروبي وحتى بالنسبة للإنسان العادي يكاد يقتصر علي تراث عصر النهضة والقرنين التاليين له بالإضافة لبعض الآثار الرومانية، ولذلك لم يكن بوسع الناقد أو الفنان الأوروبي أن يستجيب لأي فن آخر خارج هذا النطاق.
من هنا كان الغرب يتناول الفنون الشرقية وفنون الحضارات القديمة أجمعها ليس بما تتضمنه من قيم لها معاييرها الخاصة المستمدة من تلك الحضارات، بل بقياس هذه الفنون بالمعايير الأوروبية لكي تبقي العلاقة بها علاقة تبعية لا تخرج عن نموذجهم الغربي الأوحد.
وقد حالت النظرة الغربية للعالم المتمركزة حول ذاتها دون تفطن المختصين الأوروبيين، لفترة طويلة، إلى وجود نظرة جمالية للفنون الشرقية تفسرها في ضوء الضرورات الروحية والتاريخية الخاصة بها، مما أدي إلى الوقوع في الكثير من الملابسات والأخطاء في فهمها وتقييمها.

الفن الهابط، موجة جديدة وتدخل موجه:

تعددت تعريفات الفن الهابط، ومن هذه التعريفات:
أولا: يربط بعض الباحثين بين مفهوم الفن الهابط أو المبتذل في الثقافة الغربية والمفردة ذات الأصل الالماني التي أصبحت مصطلح عالمي "كيتش" (kitsch أو kitch)، والتي يفيد معناها اللغوي "التقاط الفضلات من الشارع.
هذه الموجة الجديدة من الموسيقى والغناء تمثل تعديا سافرا على الفن وعلى رسالته النبيلة. فهي بدل أن تسمو بالإنسان تنحدر به إلى أدنى المراتب عندما تثير غرائزه تتخذ من العراء والإثارة وسيلة لشد الانتباه إليها تحت مسمى الحداثة.
-هذا "الفن العصري" كما يحلو للمعجبين به أن ينعتوه، قد حاد بالإنسان وخاصة بشباب اليوم وحوله إلى شباب مائع، محدود التفكير والثقافة ينفق وقته في جمع صور الفنانين والمغنين.
- لم تعلم هذه الموجة شباب اليوم إلا التسيب والانحراف وشغلتهم عن واقعهم وعلقتهم بأوهام زائفة فصاروا يحلمون بالشهرة والنجومية و الثروة ويرون في الفن طريقا سهلا إليها.

-الأغاني المصورة التي غزت الفضائيات اليوم لا تكف عن الاعتداء على الحياة الاجتماعية وعلى القيم بمشاهد مخجلة أشباه فنانين وفنانات يعرضون أجسادهم دون أدنى حياء أمام الجمهور ويؤدون أغاني مفرغة من كل محتوى سعيا وراء النجومية والثراء.

- تحول الفن اليوم إلى سلعة تباع وتشترى ومثل بالنسبة إلى تجار الفن وسيلة للإثراء حتى وان كان ذلك على حساب قيمنا وأخلاقنا وإلا بم نفسر ظهور فتيات أشباه عاريات على قنوات تبث برامجها من دول شرق أوسطية كانت ولا تزال تدعي الحفاظ على هوية المنطقة ومقوماتها الأخلاقية.

-الفن الزائف الهابط، الذي يقوم على الصخب، ومهاجمة الأُذن والعقل والوجدان بالصوت العالي، ويعتمد على الإيقاع السري، والإثارة الحسية، ويحاول التعويض عن خواء المعنى بالإغراء، وتغطية الافتقار إلى الإبداع من خلال الاستعراض وتزيين الصورة، والمبالغة في الحركة والضجيج والأضواء.

وكذلك يحمل كل دلالات الخفة والسطحية، مستنداً إلى ما تتيحه الوسائل الحديثة من سرعة في الانتقال، أن هذا النمط من الفن – إن كان أصلاً فناً – يُسهم في تعويد النشء على قِصَرِ النَفَسِ، وسطحية الفكر، وضحالة الشعور، وتفاهة الاهتمامات، على نحو لا يتناسب مع حاجات المجتمعات التي لا زالت تعاني التأخّر العلمي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي، وتحتاج إلى كثير من الوعي والفكر والجهد والعلم لكي تتقدم.

وإذا كانت العولمة بما تتيحه من تعدد في الخيارات، وزخم في وسائل الاتصال، قد أسهمت في رواج هذا الفن الزائف الهابط، وشيوعه وانتشاره، واستقطاب الأطفال والفتيان والشباب إليه، فإن العولمة ذاتها هي التي تنذرنا بأنه لن يكون في المستقبل مكان إلا للأقدر، والأعلى كفاءة، والأكثر إبداعاً وتميّزاً. وكل ذلك يحتاج إلى فكر وعلم وتعلّم وعمل، وتدريب مستمر، وجهد متواصل، وسعي دائب نحو الإنتاج، وهذا ما لا يتواءم مع الخفة والسطحية وقصر النفس وسرعة الملل، فالتجارب العلمية في المختبرات، والبحوث في الميدان وبين المراجع، وتحقيق الإنجاز والجودة والتميز، ليس كمثل التنقل السريع بين المحطات الفضائية، أو مواقع الانترنت، وليس كإرسال الرسائل الخلوية أو الالكترونية السريعة وتلقيها، وهو

ليس في خفة أغاني الفن الهابط وموسيقاه وصوره وحركاته، إنما هو جدية وصبر وتعب واستغراق.
ولعل من أسوأ آثار الفن الزائف الهابط في تربية النشء أن يغدو من يؤدون ذلك الفن ويمثلونه رموزاً، بمثابة مرجعيات، وربما قدوة، وتصبح سِيَرُهم، وأخبارهم، ومظاهرهم، وفضائحهم (وما أكثرها)، وخلافاتهم (وما أغزرها)، مادة إعلامية، وموضوعاً للقاءات تلفزيونية وتحقيقات صحفية ومداولات انترنتية، وتصير نزاعاتهم الممتدة المتشعبة مجال نقاش وتجاذب وأخذ ورد، وتغدو تلك الجوانب أهم من كل فن حقيقي وفكر عميق وأدب رفيع وعلم مفيد، فهؤلاء (نجوم) في عرف الإعلام، وفي عرف المهتمين بهم.
-يتحمل المتفرج مسؤولية رواج هذا الفن لان الاقبال عليه يخدم مصالح مروجيه. والانسان الواعي بنبل رسالة الفن وبواجب حمايته من هذه المظاهر المتدنية يقاطعه ولا يقبل عليه.
وكمثال حيّ وواضح، لا تخفي الاستراتيجية السياسية الأمريكية بعض أفكارها وخططها المتعلقة بالتعامل الدولي والعلاقات الدولية مع شعوب العالم. فهي تعتقد دائماً أن من حقها تسويق ثقافتها وموديلاتها الحياتية إلى الآخرين تحت ستار (تلاقح الثقافات الإنسانية) و(حق الإنسان في الحصول على المعلومات). بل إن صناع القرار السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية يشيرون صراحة إلى ضرورة تسويق (ثقافة المتعة الأمريكية) إلى شعوب العالم بقصد تكريس مفهوم (أمركة العالم).
ويشير بريجنسكي في كتابه بين عصرين إلى ضرورة خوض المعركة الأيديولوجية على كل الساحات بدءاً من حقوق الإنسان وصولاً إلى تصدير نمط الحياة الأمريكي (الجينز والديسكو والعلوم والتكنولوجيا والعادات الأمريكية) وذلك من خلال استثمار تكنولوجيا الاتصال، والاستفادة القصوى من ريادية أمريكا في مجال نظام الاتصالات وشبكات المعلومات ذلك لأن 65% تقريباً من الاتصالات في كل العالم تصدر في هذا البلد . وأنها أكثر نشاطاً في تعزيز نظام الاتصالات العالمي عن طريق الأقمار الصناعية، كما أنها الرائدة في تطوير شبكة المعلومات على النطاق العالمي.

إن ظاهرة الهيمنة الاتصالية ترتبط بشكل مباشر بأنشطة الحكومة الأمريكية على الصعيد الدولي بالتعاون مع الشركات متعددة الجنسيات، وإن الظروف الخاصة التي سمحت للحكومة الأمريكية بالدخول بحرية إلى عقول الناس، أينما كانوا في العالم، ترجع إلى هذا الحضور الصناعي والاتصالي المتمكن للشركات الأمريكية على الصعيد الدولي، وهو الحضور الذي يتزايد يومياً من خلال بناء محكم من الدعم المشترك للمصلحة الذاتية . ويمكن تثبيت بعض ملامح النموذج الأمريكي في المادة الإعلامية:

1- الغلو في اللامنطقية، وإلغاء العقل في فهم الأشياء والعلاقات والأحداث ويتمثل ذلك في مجموعة أفلام (الرجل الآلي) و (المرأة الآلية) وأفلام الفضاء والصحون الطائرة والرعب.

2- الترويج للعنف والوحشية والقتل كما في معظم أفلام الغرب الأمريكي.

3- الترويج للحياة الأمريكية من خلال المظاهر الاستهلاكية والعادات والتقاليد، وإبراز الجوانب المرفهة لحياة الإنسان الأمريكي .

4- النزول بالمرأة عن مستواها الإنساني، وجعلها سلعة، واقترانها بلذات ونزوات الرجال والانحراف بالأسرة عن غاياتها وأهدافها الاجتماعية .

5- نشر أفلام العنف والجنس لتهديم ذاتية الشباب وطاقاتهم بما يجعلهم غير قادرين على التكيف مع الواقع .

وبشكل عام فإن الاتجاه الدولي للغزو الإعلامي ولظاهرة تدفق المعلومات يؤكد احتمالية زيادة فرص عملية الاختراق الأمريكي لدول العالم في ظل الهيمنة الدولية الواحدة، وسيطرة الاحتكارات الإعلامية الأمريكية على تدفق المعلومات والأنباء والإنتاج التلفازي والسينمائي ما سيعمق ظاهرة الغزو والهيمنة ويكرس الخطة الأمريكية المتمثلة باستراتيجية تدمير الثقافات الوطنية و إحلال (الثقافة الأمريكية) وتحويلها إلى ثقافة عالمية وتمهيداً لتكريس الاحتلال السياسي والاقتصادي.

الفن في الحضارة الديمقراطية

الفن هو موهبة إبداع للإنسان. فكلمة الفن هي دلالة على المهارات المستخدمة لإنتاج أشياء تحمل قيمة جمالية والفن مهارة – حرفة – خبرة – إبداع – حدس

هو الساحة الأساسية التي يتم فيها التعبير عن الثقافة بقدر ما تكون الروح، العواطف، الفكر، حرا بقدر ما يكون الفن حرا أي للقيام بفن حر يتطلب القيام بتحرير الروح والفكر أولا ومن ثم القيام بالفن الحر.

واليوم عندما ننظر إلى حقيقة المجتمعات نراها تتوجه نحو الانهيار لأن الأنظمة الحاكمة وبكل وعي تقوم بنصب الفخاخ أمام المجتمع وذلك باستهداف جوهر المجتمعات، بإبعاد المجتمع عن الأخلاق والسياسة أي ترك المجتمع بدون إرادة واللعب بمعتقدات المجتمع ومقدساته، فالدين والإيمان الذي يعتبر من أحد الروابط الأساسية للمجتمع يتم استخدامه من قبل الأنظمة الحاكمة كوسيلة لتخدير المجتمعات والتحكم بها وهذا ما يظهر بشكل واضح في يومنا الراهن وأكبر مثال على ذلك هو قيام الحداثة الرأسمالية وبشكل علني باستخدام الإسلام ضد المسلمين ولكن ومع الأسف وتحت اسم الإسلام يقوم تنظيم داعش الإرهابي بارتكاب أبشع أنواع الجرائم الإنسانية في القرن الواحد والعشرين.

والمصيدة الأخرى التي علينا تجنب الوقوع فيها هي قيام الحداثة الرأسمالية بالقضاء على وحدة المجتمع الطبيعة، وذلك بتجزئة حقيقة المجتمعات وتفكيكها كما ذكرنا في الأعلى بان الفن يمثل روح المجتمع لذا فإن الفن الحقيقي هو الفن الذي يطور أخلاق المجتمع لأن الفنان هو عين ولسان حال المجتمع والمثقف هو من يحمي قيم المجتمع ويقوم بإحياء تراث مجتمعه القديم أي إن العمل الفني والثقافي الذي يقوم به الفنان والمثقف يكتسب معناه بقدر ما يخدم ويطور مجتمعيته.

والفنان الذي يعيش خارج حقيقة مجتمعه فإنه حتما سيعيش الانسداد في مسيرته الفنية، وحتى يتمكن من إنقاذ نفسه عليه القيام بتطوير ذاته من الناحية الذهنية والروحية والنضال ضد القوالب الجامدة المكتسبة والتي تشكل عائقا أساسيا أمام تطور الفنان وبالتالي ضد تطور المجتمعات.

فالفنان الحقيقي هو شخص مبدع ومتمكن من أدواته الفنية يسخرها لخدمة مجتمعه ويمتلك الوعي والقدرة الأخلاقية ليستخدم كل إمكاناته في تطوير المجتمع أو يقدم قراءة صادقة للواقع وينشرها في مجتمعه والفن هي عملية القيام ببناء الجديد لذا عندما نقوم بتقييم ذاتنا علينا التقرب حسب هذه المعايير ماهي الذهنية التي نقوم بتطوير الفن على أساسها؟ وهل الفن الذي نقوم به يدخل في خدمة الشعب؟

وبالأحرى هل يقوم بتطوير المجتمع أم لا؟ هل نقوم بعرض الموجود؟ أم نبني معه الجديد؟

والفن والفنان هو من مقدسات المجتمعات والمجتمع منذ القديم يعطي القيمة للفنانين الشعبيين ولكن ومع الأسف فان الحداثة الرأسمالية تقوم باستخدام الفن والفنان كوسيلة لإسقاط الفرد وربط المجتمع بذاته وتخديره وتركه بدون حراك إلا إن المجتمع الكردي ورغم الإبادة العرقية والثقافية التي مربها بقي صامدا ومرتبطا بثقافته وتراب وطنه المقدس.

حتى نتمكن من القيام بقفزة نوعية والقيام بنشاطات صحيحة وجدية علينا إنقاذ أنفسنا من التكرار الذي يخلق الانسداد أي إننا نتأرجح بين البراديغما القديمة والبراديغما الجديدة أي بين الفكر الرأسمالي والفكر الديمقراطي فإذا كنا نقوم بتقييم الذهنية على أساس إنها تمثل الروح والنظام مثل جسد وهذا يعني بأن أي انسداد في الروح يؤثر بشكل مباشر على الجسد أيضا أي إن الانسداد الذي نعيشه هو في الذهنية أي في الفكر والروح وهذا ما يمنعنا من القيام بالخلق والإبداع والقيام بالتطورات التي تخلق معها التغيير في المجتمع لذا علينا ان نسأل أنفسنا ما هو مدى تأثير ثقافة الأنظمة الحاكمة على مجتمعاتنا ؟ وخاصة الثقافة الرأسمالية التي تعتمد على الليبرالية من ناحية أسلوب وطراز الحياة، الملبس، المأكل، العلاقات..

ومن ناحية أخرى حتى نتمكن من الانفتاح أمام الجديد علينا التوقف على النقد الفني الذي لم يتطور بعد وحتى إنه غير موجود وهذا ما يؤثر على النتاجات الفنية التي تظهر وتنعكس على شاشات التلفزيون لأننا لا نفتح أبوابنا أمام الانتقادات ونرضى بالموجود فإننا كمشاهدين عندما ننظر إلى فيديو كليب على سبيل المثال علينا أن ننتبه إلى هذه النقطة، ماهي العاطفة التي تخلقه فينا هذا الفيديو كليب؟ هل نشعر بالألم والمأساة أمام واقعنا الموجود؟ أم إنه يخلق معنا روح المقاومة والعصيان أمام الموجود؟ هل نعرض الموجود أم نخلق معه الجديد؟ لذا على كل فنان أن يسال نفسه، ما هو الدور المنوط لي؟ وهل قمت بهذا الدور الطليعي في بناء المجتمع الديمقراطي الحر أم لا؟ وخاصة نحن في مرحلة الإنشاء الديمقراطي، فالمهمة التي تقع على عاتق كل فنان هو تطوير الأسلوبالفني للحضارة الديمقراطية، وخاصة لأن الفن لم يلعب دوره بشكل فعال في هذه

الأعوام الأخيرة في هذا المجال وهذا ممكن ببذل جهود حثيثة، ويتطلب على كل فنان أن يقوم في البداية تطوير ذاته من جميع النواحي أي أن يبني نفسه ويبني معه التنظيم الفني وبهذه الوسيلة بإمكاننا إنقاذ المجتمع من تحت براثين الإبادة الثقافية وذلك بتطوير الفعاليات الثقافية والفنية جنبا إلى جنب أي من الناحية العملية والنظرية معا والتعمق أكثر وترسيخها عن طريق النتاجات الفنية التي ستأخذ فيها المرأة دورها بشكل فعال وعن طريق فن المرأة سنتمكن من تطوير وتنظيم فعاليات الثقافة والفن بلون وجوهر المرأة الطبيعي أي بثقافة الأم النيوليتية سنتمكن من النضال ضد الحداثة الرأسمالية لبناء المجتمعية الأولى لإنشاء النظام الديمقراطي.

وكنتيجة فإننا على دراية بأن الحداثة الرأسمالية تقوم بإبعاد الإنسان عن جوهره وتضعه في وضع معادي لمجتمعه وإذا كنا نناضل من أجل الوصول إلى إنشاء نظام الكونفدرالية الديمقراطية وإذا كنا فعلا نريد القضاء على تأثيرات نظام الدولة الذي قام بزرع روح العبودية في الفرد، لذا علينا أن نبدأ أولا من ذاتنا ومن ثم المجتمع وإن المجتمع الذي نريد بناءه سيقوم بتدريب ذاته بذاته. هنا تظهر أهمية بناء الأكاديميات التدريبية للتوقف على الذهنية الدولتية وضمن الأكاديميات سنتمكن من القيام بالثورة الذهنية وبناء الإنسان الحر الذي سيقوم بإنشاء المجتمع الديمقراطي الحر، أي إن بناء الأكاديميات في مثل هذه المرحلة التاريخية ضرورة حياتية لابد منها ولتكن من أولويات مهامنا الأساسية.

أساليب الحرب الخاصة

1- قطع أي جسر مع القديم: وتنضج بتغييب العقل وهي تتم ب:

أ- ابتعاد الإنسان عن تاريخه، لا يعرف من أين أتى وإلى أين يذهب.

ب- ابتعاد الإنسان عن قيمه، التشتت والضياع.

ت- الافتخار بالتقليد.

ث- عدم التفكير بشكل مستقل.

ج- ابتعاده عن بيئته، باعتبار هناك صلة بين فكر الانسان والبيئة المنتمي إليها.

2- استخدام مثيرات العنف بشكل مستمر وممنهج:

كمثال حرب داعش:

أ- حرب الرموز /دينية – نفسية/.
ب- مثيرات العنف /موسيقى الرعب – أصوات السيوف – المتفجرات/.
صور الرعب ومشاهد قطع الرؤوس وحرق الأشخاص وهم أحياء.

3- التركيز على النواحي التدميرية /نفسية التدمير دون البناء/.
4- هي كقنبلة موقوتة تطارد هدفها وفرص الهروب منها دون الوعي معدومة وتترك في الذاكرة قنابل موقوتة صالحة للانفجار في أي وقت كمشاهد العنف للأطفال في التلفاز والألعاب الإلكترونية.
5- محو الذاكرة وخاصة المجازر التي ارتكبها المستعمرون بحق الشعوب، وجعلها عادية، وإقناع الشعوب بأنها لن تتكرر، على الرغم من أنهم يخططون لارتكابها مرة أخرى.
6- تدمير القيم الاجتماعية للمجتمع وتسميتها بالمثاليات والوطنيات.
7- تحطيم إرادة الشعوب وجعلهم مشاهدين، لا مشاركين فعليين في إدارة أوطانهم: عامة الجمهور على درجة من الغباء لا تمكنهم من فهم الأشياء، وإذا ما حاولوا المشاركة في إدارة أمورهم فهم يتسببون في خلق المشاكل، لذا يبدو الأمر لا أخلاقياً إذا سمحنا لهم فعل ذلك.

الحرب الخاصة ومهمة إنشاء المجتمع الطفل:

نشر عالم اللسانيات والمفكر الأمريكي نعوم تشومسكي وثيقة هامة تحت عنوان "الأسلحة الصامتة لخوض حرب هادئة" والتي يعود تاريخها إلى أيار 1979 وتم العثور عليها سنة 1986 عن طريق الصدفة، تتضمن ملخصاً لعشرة استراتيجيات للتحكم بالشعوب وترويضها لخدمة القوى والأطراف التي توجّه أدوات حربها الخاصة وتطبقها بشكل مرن أو خشن.

إحدى أهم الاستراتيجيات التي أوردتها الوثيقة هي استراتيجية "مخاطبة الجمهور على أنهم أطفال"، والتي تنطلق من إدراك مثيرات الطفل كفئة عمرية تتميز بسلوك يؤسس إما للتمرد القابل للانحراف إن لم يتم توجيهه بالطريقة الصحيحة، أو للشعور بالذنب والضعف في المبادرة والاستسلام بأسلوب يفرض على الطفل أن يحبو نحو المثيرات السلبية لو توفرت لديه الظروف خارج نطاق المراقبة والتوجيه السليم.

وفي هذا، تستفيد الحرب الخاصة من دراسة سلوكيات الطفل "السلبية" ليتم تطبيقها على المجتمع بأكمله، بالضغط للمرة الأولى، وبالمسايرة والإقناع الطوعي المستند إلى الإيحاء نحو الهدف المراد تطبيقه في المرة الثانية، وفي كلتا الحالتين يتحول المجتمع بعد سلسلة من العمليات النفسية التي من الصعوبة مواجهتها من قبل "المجتمع الطفل" إلى تطبيق نظرية "التخلية والتحلية" التي يترك فيها بعض عاداته الجيدة على حساب التحلي ببعض العادات والسلوكيات الجديدة المُراد تطبيقها من قبل الحرب الخاصة.

- إذاً، ما هو المجتمع الطفل؟

هو المجتمع الذي يتقمص شخصية الطفل في تصرفاته وأسلوب حياته، حيث يتأقلم بسهولة مع كل شيء جديد بغض النظر عن فائدته أو ضرره، ويفرط في اللهو بينما يبتعد عن الالتزام والمسؤولية، وهو اتكالي لدرجة التقزز، كما من السهولة بالنسبة له تقمص الشخصيات الغريبة، وهو شديد التقليد، متردد في اتخاذ القرار حيناً، ومتهوراً أحياناً أخرى، أي ليس لديه طريقة جيدة للاختيار والقرار، مخالِف لكل شيء، وطالب لكل شيء، استهلاكي وليس لديه القدرة على التمييز بين الجيد والرديء، سريع الانفعال والنسيان، ليس لديه ما يؤرق فكره سوى الأشياء البسيطة، أما الأشياء والأفكار الكبيرة فيعتبرها عمل لمن هم أكبر منه، كما يتميز المجتمع الطفل بكثرة الحركة وعدم الاستقرار من دون فائدة، معجب بشخصيته في سياق غروري غير مطلوب.

كما يتغير مزاجه بشكل متكرر وليس لديه القدرة على التحكم في انفعالاته، وعديم الثقة بنفسه، ودائم الشكوى.

- لماذا المجتمع الطفل؟

بطبيعة الحال عندما تنجح الحرب الخاصة في تحويل المجتمع إلى طفولي فأن مستوى مقاومته للدخيل والغريب سيضعف ويقل، وبطريقة أخرى سيقوم بتبني سيكولوجيا جديدة تخدم مصالح القوى التي وجهت أجهزتها الهجومية المرنة ضده، وبالتالي ترتفع نسبة نجاح آليات التحكم فيه. كذلك أن المجتمع الطفولي فارغ المحتوى الثقافي والفكري، ويبحث عن ما يملأ ذاك الفراغ حيث تستجيب قوى الهيمنة بسرعة لدوافعه تلك بعدما تتمكن من السيطرة على عقله وعواطفه، إلى جانب ذلك فأن المجتمع الطفل إن قُدّر له أن يكبر فأن أول ما سيتخلص منه هو

عاداته وتقاليده ونمط التربية بحجة أنها كانت متخلفة، وهو ما نطلق عليه الانحلال الثقافي والأخلاقي، كما أن المجتمع الطفل سريع الاستجابة لدعاية عدم جدوى المقاومة ويستسلم بسهولة، وينضبط بسرعة في حال توفر عوامل الضغط.

- أساليب الحرب الخاصة في تغذية ميول المجتمع الطفل:

تلجأ الحرب الخاصة إلى سلسلة من التطبيقات التي تستهدف التحكم بالمشاعر الداخلية للشعوب بحيث تنعكس فيما بعد على التصرفات الخارجية الإرادية، وهي تبحث دوماً عن ما يثير دافعية تلك الشعوب استناداً إلى دراسة الحاجات والدوافع والانطلاق منها لوضع الخطط المناسبة للتحكم في القيم "السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية.."، والميول، وسلوكيات واتجاهات المجتمع المستهدف المعرفية والوجدانية.

بشكل عام، تلجأ الحرب الخاصة إلى ثلاثة أساليب أساسية لصناعة المجتمع الطفل، وتبقى الأساليب الأخرى مجرد تفرعات عنها، وتلك الأساليب هي:

1- تفشي النزعة الاستهلاكية للقيم المادية والمعنوية: حبّ الشراء من أجل التباهي وليس للحاجة أو الضرورة، وكذلك بالنسبة للقيم المعنوية، الافتخار بالتقليد كمعيار افتراضي على التقدم والانفتاح، حيث تعمد الشركات الاخطبوطية إلى توفير كل ما يحتاجه المجتمع أو تلك التي لم يكن بحاجتها وتشجعه على اقتنائها، تماماً كالطفل الذي لا بد أن يستبدل لباسه القديمة بأخرى جديدة حتى لو لم تكن القديمة مهترئة.

2- صناعة البيئة الثقافية والاجتماعية للخوف: حيث يعاد صياغة الفرد بعد تغذيته بكم هائل من الرسائل الإعلامية عن طريق بث أفلام الرعب، وكذلك نشرات الأخبار التي تتضمن بمعظمها على معلومات ووقائع تتعلق بالأحداث والوقائع المحرضة للعنف كالحروب، وكذلك عن طريق بث مئات الأفلام التي تتنبأ بنهاية العالم، الأمر الذي يدفع بالمجتمع إلى الولاء الأعمى تماماً كالطفل الذي يكاد فعل أيّ شيء مقابل التخلص من العقاب من والده، وبما أن تدني المستوى المعرفي ظاهر في المجتمع الطفل فأن بيئة الخوف سرعان ما تتحول إلى مصدر اكتئاب دائم تؤثر على قدرة الفرد على الابداع والمساهمة في بناء مجتمعه.

بحسب كتب "سيكولوجيا الانسان المقهور" فأن ثقافة الخوف لا تسمح بنشوء علاقات سويّة بين أفراد المجتمع، فكل شيء يتعرض للتشوية بل لليبوسة والجفاف والموت، وأن منظومة القيم الانسانية تتمزق على نحو متسلسل، فلا حوار، ولا

حب، ولا إبداع، ولا عاطفة، فثقافة الخوف تسوق الجميع نحو الأسر الجماعي لمركز القوة المتحكّمة لتملي عليهم طريقة في التفكير وقيماً للتبني، وصولاً الى الحلول في جوف المستبد ـ المركز، الذي يستنسخ خلاياه السرطانية في بنية المجتمع ليخلقه على صورته.

بينما يعتقد الكاتب الأمريكي جلانسنر بان البشر ينفعلون بالخوف أكثر من الود، ويعلق قائلاً بأن إثاره الخوف لدى أفراد المجتمع يضمن ولائهم بصورة أسهل بكثير من محاولة العمل على استقطاب تأييد المواطنين.

3- تشجيع عدم احترام التاريخ، واعتباره مصدر للجهل وليس للفهم والوعي، وكذلك عدم تقدير الكبار وإنكار مآثرهم بدل تخليدها، والتزاحم على التخلص من القديم "المتخلف" والتوجه للجديد "العصري"، والعبث بكلّ شيء يخصّ الترابط الاجتماعي باختلاق قصص وهمية عن محاولات الآخرين للسيطرة والتفوق باستخدام وسائل العنف.

استراتيجيات الحرب الخاصة

تعرّف الاستراتيجية بأنها خطة طويلة الأمد تتضمن الأفعال، والأساليب التي تسعى إلى تحقيق الأهداف المخطط لها، مع الأخذ بعين الاعتبار كافة العوامل التي تؤثر على إمكانية حدوثها، أو تطبيقها بشكل فعلي. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار العوامل والأدوات التي تستخدمها الحرب الخاصة ككل متكامل بغية الوصول إلى أهدافها، فأننا لا يمكننا اعتبار الحرب الخاصة ذاتها سوى إحدى أهم استراتيجيات الأنظمة لتثبيت مفاهيمها وسلطتها، ويتفرع عنها عدة أدوات تستغل قيم المجتمع لدرجة يستحيل علينا معرفة ما هو للمجتمع وما هو ضده.

وكانت الهيمنة بتفرعاتها الثقافية، الاجتماعية، والاقتصادية... من أهم استراتيجيات الحرب الخاصة، والتي تستخدم بدورها الإعلام، وحرب المعلومات، والتجويع وغيرها للتغلغل في خلايا المجتمع الدقيقة دون مقاومة ترتقي لمستوى الهجمات التي تشنها تلك الأدوات، ويلعب في ذلك عدة عوامل سنتعرض لها فيما يلي:

مفهوم الهيمنة:

هي الإجبار والسيطرة على المجتمعات التي نعيش فيها والتي تقوم بها قوى الهيمنة التي تمتلك المال وأدوات الحرب العسكرية والثقافية وتخولها للهجوم على المجتمع المستهدف بعد تشتيته وزرع العملاء فيه.

الهيمنة الرأسمالية في فلسفة أوجلان

بمقدورنا تعريف الهيمنةِ الرأسمالية بأنها مرضُ السرطان الاجتماعي، لا من باب التشبيه وحسب، بل وانطلاقاً من حقيقتها وواقعها. بالتالي، لا يمكن اعتبارها قدراً محتوماً كسائر الأقدار. ينبغي تقييم الرأسمالية كأضعفِ نظامٍ سلطويٍّ مهيمن. ما يلزم هنا هو عيشُ المجتمعية بشكلٍ قديرٍ وصحيح، حتى ولو بَقِيَت في شخصٍ واحدٍ فقط. فما اعتِيدَ عملهُ على مَرّ التاريخ هو استخدامُ الأسلحة عينها في مواجهةِ "الرجل القوي" أو "المهيمن". لكنّ العينيةَ والمثاليةَ في المفهوم والعملِ ستُوَلِّدُ المُشابِه. وهذا ما يحصل حقاً، حيث وُلِدت نماذجٌ عديدة من روما لدى محاربة روما. بل إنّ مدينةَ أوروك الأقدمَ والأكثر أصالةً لا تفتأ تُوَلِّد ذاتها حتى اليوم في هيئة "العراق الجديد". فالتغييرُ ضئيلٌ جداً، والتكرارُ كثيرٌ جداً.

من المهم عدم تضخيمِ الهيمنة أيضاً. فبقدر ما لم تَستَسِغ المجتمعاتُ السلطةَ والاستغلالَ والقمع، ولم تَقبَلها طوعاً، فهي لم تُصبح في المرحلة التي لا تطيق العيشَ بدونها. هذا ومن المهم الخلاص من مفاهيم من قَبِيل "المجتمعِ الحديث العهد"، و "أشكالِ المجتمع" المتعاقبة والمتباينة؛ ذلك أنها مصطلحاتٌ جوفاء. فالمجتمعاتُ تتطور، باعتبارها نمط وجودِ النوع البشري، ولكن على منوالٍ متشابهٍ ومتقارب. فإذا كانت عينُ العشق عمياء، فقد يؤدي إلى أكثرِ الحالات سفالةً، وإلى أحطِّ درجاتِ الجهل. وهو كذلك سواءً في عشقِ السلطة، أو عشقِ الجنس. أما إذا كان مفعماً بالمعاني النبيلة، فهو قَيِّمٌ كـ"النيرفانا"، ويعني الفناءَ في سبيل الله، والانصهارَ في الحقيقةِ والاندماجَ بها. إنه يعني الوصولَ إلى وضعيةِ أنا الحق، وسيادةِ المجتمع العادل الحر. أي أنه حالةُ الديمقراطيةِ التامة.

وإذا كانت الهيمنةُ الرأسمالية وطيدةً لهذه الدرجة، فالسببُ الرئيسي وراء ذلك يكمن في التسابقِ نحو العبودية الطوعية الناجمة عنها. فهل من عاملٍ واحدٍ فقط يمكنه اليوم معارضةَ ارتفاعِ الأجور؟ الوضع محزنٌ ومؤلم حقاً.

الهيمنة الجنسية كإحدى أهم أدوات السلطة:

بالمستطاعِ القول أنّ الاستغلالَ الجنسيَّ مِن أهمِّ وسائلِ النظام في بسطِ هيمنتِه. فهو لَم يَقتصر على تبضيعِه وتصييرِه صناعةً عملاقةً، بل وقامَ بتمييعِ ألوهيةِ فالوس الهندية في المجتمع، وحوَّلها إلى دينِ الهيمنةِ الجنسانيةِ الرجوليةِ، بحيث تُضارعها أربعين مرة. ونخصُّ بالذكرِ مكانةَ هذه المؤشّراتِ الدينيةِ الجديدةِ لدى كلّ رَجُلٍ باعتبارِها حجر الزاوية في الفنون، وعلى رأسِها الآداب؛ لِتَتَحَوَّلَ إلى أدواتِ تخديرٍ بكلّ معنى الكلمة. وكأنّ المخدراتِ الكيميائيةَ أصبحَت صِفراً على الشمالِ مَقابلَ دينِ الجنسانيةِ الجديدِ ذاك. وتَحَوَّلَ كلُّ أفرادِ المجتمع إلى مخلوقاتٍ شاذّةٍ جنسياً عن طريقِ حملاتِ الدعايةِ الإعلامية (التي لا تَقتَصِرُ على الدعاياتِ المألوفةِ عادةً). الجميعُ يُستَخدَم دون أيّ تمييزٍ بين شابٍّ أو عجوزٍ أو حتى طفل. أما المرأةُ فَصُيّرَت موضوعاً Nesne جنسياً هو الأكثر تطوراً، حيث حُكِمَ عليها بذهنيةٍ، وكأنها لن تساويَ قرشاً واحداً، إنْ لم تُذَكِّر كلُّ ذرةٍ فيها بالجنس. وتَحَوَّلَت بؤرةُ العائلةِ المقدسةِ إلى صومعةٍ جنسية. ولم يَتَبَقَّ من الأمِّ والإلهةِ المقدسةِ سوى "زوجات شمطاوات" لا فائدةَ تُرجى منهن، قابعات في زوايا مهملة. إنه وضعٌ مؤلمٌ ومؤسفٌ حقاً. أما تَصييرُ المرأةِ أداةً جنسانيةً تماماً مع التلقيحِ الاصطناعي، فقد بَلَغَ بالمرحلة ذروتَها.

الهيمنة الثقافية:

وهي سيطرة الطبقة الحاكمة على مجتمع متنوع ثقافياً، مناورةً ثقافة ذلك المجتمع، المعتقدات، تفسيرات، تصورات، القيم والأعراف، بحيث تفرض وجهة نظر هذه الطبقة وتصبح المعيار الاجتماعي المقبول؛ أي الأيديولوجية السائدة التي تعتبر صالحة لكل مكان وزمان، وتبرر الوضع الراهن الاجتماعي، السياسي والاقتصادي وكأنه الوضع الطبيعي والحتمي، الأزلي ومفيد للجميع بدلا عن كونه بنية اجتماعية مصطنعة لا يستفيد منها سوى الطبقة الحاكمة.

كما جربت بالتوازي مع الهيمنة الثقافية أساليب أخرى تختص بالثقافة وهي الإبادة الثقافية، ويعتبر أوجلان أن اختباراتُ الإبادةِ الثقافيةِ هي ثاني أسلوبٍ في الإبادة، فغالباً ما تُطَبَّقُ على الشعوبِ والجماعاتِ الأثنيةِ والمجموعاتِ العقائديةِ التي هي في وضعٍ واهنٍ ومتخلفٍ نسبةً إلى ثقافةِ الدولةِ القوميةِ والنخبةِ الحاكمة. وبالإبادةِ

الثقافيةِ كآليةٍ أساسية، يُرامُ إلى تحقيقِ التصفيةِ التامةِ لتلك الشعوبِ والمجموعاتِ الأثنيةِ والدينيةِ ضمن بوتقةِ ثقافةِ ولغةِ النخبةِ الحاكمةِ والدولةِ القومية، ويُسعى إلى القضاءِ على وجودِها بإقحامِها في مِكبَسِ كافةِ أنواعِ المؤسساتِ الاجتماعية، وعلى رأسِها المؤسساتُ التعليمية. الإبادةُ الثقافيةُ شكلٌ من التطهيرِ العِرقيّ أكثر مخاضاً نسبةً إلى الإبادةِ الجسدية، وتمتدُّ على سياقٍ طويلِ الأَمَد. والنتائجُ التي تُفرزُها أفظَعُ مما عليه الإبادةُ الجسدية، وتُكافِئُ أكبرَ أنواعِ الفواجعِ مما قد يَشهدُه شعبٌ – أو جماعةٌ ما– في الحياة. ذلك أنّ الإرغامَ على التخلي عن وجودِه وهويتِه وعن جميعِ المُقَوّماتِ الثقافيةِ الماديةِ والمعنويةِ الكائنةِ في طبيعةِ مجتمعِه، إنما يُعادِلُ الصَّلبَ الجماهيريَّ الممتدَّ على مرحلةٍ طويلةِ المدى. يستحيلُ الحديثُ هنا عن العيشِ في سبيلِ القيمِ الثقافيةِ المُعَرَّضةِ للإبادة، بل لا يُمكنُ الحديثُ سوى عن التأوُّهِ والأنين. فالألمُ الأصليُّ الذي تتسببُ به الحداثةُ الرأسماليةُ لكلِّ الشعوبِ والطبقاتِ المسحوقةِ والمتروكةِ عاطلةً عن العملِ بُغيةَ تحقيقِها ربحَها الأعظميّ، لا ينبعُ من استغلالِها إياها مادياً وحسب؛ بل هو ألمٌ يُجتَرُّ بسببِ صَلبِ جميعِ قِيَمِها الثقافيةِ الأخرى. ذلك أنّ الاحتضارَ على الصليبِ هو الحقيقةُ التي تَشهدُها كافةُ القيمِ الثقافيةِ الماديةِ والمعنويةِ الخارجةِ عن الثقافةِ الرسميةِ للدولةِ القومية. وبالأصل، يستحيلُ تحويلُ البشريةِ والبيئةِ الأيكولوجيةِ إلى مصدرٍ للاستهلاك، ويستحيلُ تعريضُها للنَّفاذ فيما خَلا ذلك من أساليب.

الهيمنة الثقافية تستهدف جميع الشعوب، ولكنها لا تسيطر إلا على:

1- الشعوب ضعيفة الثقافة، أو التي تهمل وتجهل ثقافتها.
2- التي ليس لديها عتاد ثقافي قوي.
3- ليس لديها آلة ثقافية تضخ الثقافة في كل أرجاء العالم.

يأتي تصنيعُ الثقافة، وبمعنى آخر إنتاجُها السلعيُّ المتفشي، في المرتبةِ الثانيةِ من بينِ أكفأِ أدواتِ العبودية. فالثقافةُ تعني بنطاقِها العامِّ العالَمَ الذهنيَّ للمجتمعات، وتتألفُ أساساً من ثالوثِ الفكرِ، الانتقاءِ القائمِ على الإعجاب، والأخلاق. أما محاصَرَةُ عناصرِ الثقافةِ تلك، وشراؤها على يَدِ السلطةِ السياسية والاقتصادية داخلَ كنفِ النظام القائم، فهو عملٌ يتحققُ على طولِ مئاتِ السنين. فتَكبيلُ العناصرِ الثقافيةِ بأوتادٍ وطيدةٍ ضروريةٌ لا مفرَّ منها على مَرّ التاريخِ الحضاري برمته، بغرضِ تأمينِ الشرعيةِ اللازمة. ولا تتأخرُ الزمرُ الاقتصاديةُ والسلطويةُ

إطلاقاً عن الانتباهِ إلى هذا الأمرِ مبكراً، واتخاذِ التدابيرِ تجاهه. ويمكن إرجاعُ صهرِ الثقافة على يدِ السلطات إلى مراحلِ تأسيسِ الهرميات. إنها الوسائلُ الأساسيةُ لمهنةِ الإدارة. ذلك أنهم لن يستطيعوا إدارةَ الاحتكاراتِ الاقتصاديةِ والسلطوية، ما لم يَبسطوا الهيمنةَ الثقافية. في حين أنّ النظمَ المعتمدةَ على العنفِ والاستعمار والاستغلال، لا يمكنها الحفاظُ على بقائها عبرَ النهب والسلبِ بالعنف إلا لمدةٍ قصيرة، إلى أنْ ينتهي ما يمكن نهبُه وسلبُه. وحينها، إما أنْ تتنازعَ فيما بينها، أو أنْ تنهارَ وتتشتت.

أجهزة قوى الهيمنة "المرنة":

الجهاز الأيديولوجي الديني.
الجهاز الأيديولوجي التعليمي.
الجهاز الأيديولوجي الأسري.
الجهاز الأيديولوجي القانوني.
الجهاز الأيديولوجي السياسي.
الجهاز الأيديولوجي النقابي.
الجهاز الأيديولوجي الإعلامي.
الجهاز الأيديولوجي الثقافي.

فرضيات الهيمنة الثقافية

الافتراض الأول:
وهو الفردية التي ترمي إلى إلغاء الأمة كإطار اجتماعي.
الافتراض الثاني:
وهو الخيار الشخصي الذي يكرس نوعاً من السلوك الأناني ويلغي مبدأ التعاون.
الافتراض الثالث:
وهو الحياد، بمعنى أن الفرد يعيش محايداً والآخرين المحيطين به كذلك، مما يؤدي إلى انعدام التزامه بأي قضية جماعية وطنية أو قومية أو أخلاقية.
الافتراض الرابع:

وهو الاعتقاد بأن الطبيعة البشرية لا تتغير، فيها الغني والفقير والأبيض والأسود والقوي والضعيف، وهي أمور طبيعية كالليل والنهار.

الافتراض الخامس:

غياب الصراع الاجتماعي كأداة للتغيير يؤدي إلى الاستسلام للشركات المستغلة، وأقليات متسلطة، وغياب التغير المبني على الصراع الاجتماعي.

أهداف الهيمنة الثقافية:

1- نشر ثقافة الطرف المهيمن، وضرب الثقافات المحلية، الكاتب الفرنسي أوغست برنارد كان قد أوضح الهدف الحقيقي للاستعمار الفرنسي في الجزائر إذ يقول "إننا لم نحضر إلى الجزائر لإقرار الأمن، بل لنشر الحضارة واللغة والأفكار الفرنسية.. وليست الجزائر مستعمرة كالهند الصينية.. ولكنها جزء من فرنسا كما كانت أيام روما.. إننا نريد أن نجعل هناك جنسا يندمج فينا عن طريق اللغة والعادات.. وسيتم هذا بعد نشر لغة فيكتور هوغو".

2- تعطيل العقول في ثقافة معنية عن الإبداع.

3- تسطيح الوعي، أي جعله مرتبطاً بالسطح ممثلاً في الصور والمشاهد الإعلامية التي يغلب عليها طابع الإعلان، الذي يستفز الانفعال ويحرك المشاعر ويحجب العقل، وهذا يؤدي بدوره إلى امتلاك الذوق وقولبة الفكر وتغير أنماط السلوك، ويصبح السلوك استهلاكياً، يؤدي إلى تعطيل التنمية في البلدان المستهدفة، وبالتالي إلى استهلاك ما تنتجه شركات قوى الهيمنة.

4- تطوير الوعي الساذج على حساب الوعي الجماهيري الملتزم تجاه قضاياه.

5- توحيد الثقافة العالمية وصهرها في ثقافة واحدة والغاء التعددية الثقافية وحق التنوع الثقافي.

6- نزع الخصوصية الثقافية ومحو الهوية الذاتية.

7- تحطيم كل الثوابت الفكرية والأخلاقية للوصول إلى بناء انسان هامشي يذوب في بحر المادية.

بدورها، تقوم وسائل الإعلام المحتكرة من جانب السلطة والرأسمال بتخريب المنظومة الأخلاقية، بزرع الفردانية والأنانية في نفس كل فرد في المجتمع تحت اسم الليبرالية" الحرية الفردية"، والفردانية والأنانية هما ألد أعداء المجتمعية والمنظومة الأخلاقية الاجتماعية.

فمثلما تسعى احتكارات وسائل الإعلام إلى زرع القيم الرأسمالية ونمط حياتها على المجتمعات، وإظهار نمط حياة الفرد تحت هيمنة الرأسمالية وكأنها الحياة الحضارية التي تمثل مستقبل البشرية، مما يدفع الشباب للتفكير السطحي، دون أن يستطيعوا التحكم بإرادتهم ولا التفكير الحر المستقل، أي أن الرأسمالية جعلت الأفراد في مجتمعاتها مجرد روبوتات.

وما تريده هذه القوى هو مجتمع هش غير متماسك يمكن اختراقه بسهولة وتوجيهه حسبما تريده، وجعله أسيراً لغرائزه وللنزوات الفردانية والأنانية بدلاً من العقل والمعايير المجتمعية الذي ينتمي إليه.

وما البرامج التلفزيونية والأفلام الهوليودية والصحف ووسائل النشر الأخرى التابعة للاحتكارات إلا وسائل لنشر هذه الثقافة، بتوجيهات من دوائر الحرب الخاصة المنتشرة في جميع أنحاء العالم.

كمثال على ذلك يمكننا الإشارة إلى نشر مجلة واحدة تتضمن نفس المواضيع تقريباً "بستين لغة" من جانب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، خلال حقبة الحرب الباردة، منها "المختار" باللغة العربية، و"ريدرز داي جيست" باللغة الإنكليزية، من اجل هدفين فقط أولهما زرع الروح الفردية والإساءة إلى العمل الجماعي، وثانيهما أن النجاح في الحياة هو مجرد حظوظ، وعندما تأتيك الفرصة فيجب اغتنامها بأي شكل "الانتهازية"، وعليك أن تقتنع بما أنت فيه إذا لم يحالفك الحظ.

أفلام الكرتون، وصناعة القنابل الموقوتة للأطفال:

أَسهمتْ أفلام الكارتون القديمة مثل: (هايدي، فلونة، مغامرات عدنان) في تبصير الأطفال بأهميَّة البيئة الاجتماعية، والتعاون، والأُلفة، والعيش بسعادة وسلام في إمكانات بسيطة، وكيفيَّة تطويع الصِّعاب وتذليلها، وابتكار حلول للمُشكلات بواقعية وبساطة في تفكير طفولي بريء، والاستفادة من العالم المحيط بالطفل وعلاقاته، فكانت هايدي مثلاً تركُض مع الخِراف وترعاها في جبال الألب الطبيعية الخضراء، وإن اعتراها مشكلات خلال رحلتها، يكن الحل من واقع هذه الحياة،

وليس ضربًا خياليًّا، فتَحُل مشكلاتها في حياة وادِعة وضحكات بريئة ضمن الحياة الطبيعية بكل ثقة ووضوح.

من يتتبَّع غالبية أفلام الكارتون اليوم لا يَكاد تمرُّ عليه الحلقة الواحدة دون أن يُبصِر تلك الوحوش التي ليست من عالم الطفل وحياته الطبيعية، التي لم يألفها ولم يتعايَش معها في حياته، وإن قلنا: إنها من الخيال، فلماذا هذا الخيال يَتكرَّر ويتكرَّر؟ هل لكي يتقرَّر في ذهن الطفل البريء؟ هل يجب أن تكون الحياة مليئة بتلك النماذج الوحشيَّة في حياته التي تُصاغ له في قالب الصداقة والخِدمة؟ حيث يتمُّ تصوير الوحوش بأنها صديقة خَدوم تُدافِع وتَحلُّ المُشكلات، بالإضافة إلى تلاشي عنصر الوضوح الذي يُميِّز هذه المسلسلات الكارتونية أو الأفلام فعندما يستعين البطل - إن كان يستحق أن يُمثِّل البطل - بهذه الوحوش، فهو في الغالب لا يُخبِر أهله، بل ولربما كان له مخبأ سري في المنزل، أو مُختبَر سري، أو له عملاء سرّيون من البشر أو الحيوانات أو الوحوش، أسئلة هنا تنتفي منه العلاقة البريئة: لماذا هذا الغموض؟ لماذا هذه السريَّة؟ إذا كان ما يقوم به البطل عملاً شريفًا، لماذا يَلُفُّه الغموض والسرية إذًا؟ لماذا يُخفي كلَّ أسراره عن والديه؟

كل هذا ونغفُل عن الشر المستطير والبُعد الخطير الذي تهدف من ورائه هذه الأفلام والمسلسلات الكارتونية التي أُنتزعت منها البراءة والوضوح، ناهيك عن البذاءة اللُّغوية والنعوت القَبيحة، زد على ذلك بعض العبارات التي تتكرَّر كثيرًا بكل وضوح وتُركِّز الحلقات على إقرارها وهي: القدرات الخارقة، والسيطرة على العالم.

سؤال يَطفو على السطح ويطرَح نفسه، ما الهدف منها؟ ولماذا هذا الكم الهائل من هذه الأفلام والمسلسلات الكارتونية التي تُكرِّر هذه العبارات؟ ما هي الفلسفة المراد نشْرها؟ ما هي القضية المراد طرحها على فِكْر الطِّفل؟

ونرى أنه تمهيد واضح لأمور عقديَّة وفكرية يُراد بها أن تستقرَّ في "العقل الباطن" للطفل حتى لحظة استدعائها في وقت مناسب؛ فعندما يَكبَر ويَنضج يكون لديه القَبُول الكافي لمِثْل هذه الفلسفة أو القضيَّة، ويكون عقله تشبَّع بها، وفِكره أَلِفها، فتضمحلّ عنده المناقشة أو الصدُّ والردُّ لمِثْل هذه القضية أو الفلسفة التي حُسمت من سنوات، واستقرَّت في عقله منذ نعومة أظفاره.

من الجدير بالذكر أن هذه المُتتابِعة حدثت منذ وقتٍ قريب لمن سمّى نفسه (سيلفر) الذي اشتهر على الساحة الإعلامية بتقليد صوت (سيلفر) الشهير في المسلسل الكارتوني القديم (جزيرة الكنز) بضحكته المُدوية المُميَّزة، ولو أمعنا النظر في كل مَن تقبَّلوا (سيلفر) وأحبُّوا ذلك المسلسل الكارتوني، وتعايَشوا معه وردَّدوا (خمسة عشر رجلاً ماتوا مِن أجل صندوق)، هم أنفسهم الأطفال الصغار الذي يتحلَّقون حوله لكنهم كبروا وعلِقت هذه الشخصية في عقلهم الباطن، فحينما برزت شخصية تُمثِّل (سيلفر)، وإن كان ليس (سيلفر) الحقيقي، بل المُقلِّد له، أصبح هناك الكثير من المتابعين والمتقبّلين لهذه الشخصية، وإن لم يرَوها، حتى وإن لم يُفصِح عن نفسه وهُويَّته.

في المقابل لنَعُدْ إلى أجيالنا الصغار ونتساءل:

كيف سيكون وقْع شخصية قد تظهر في زمانهم الآجِل، وهي تَحمل قُدرات خارقة وتُسيطر على العالم وتستعين بالوحوش ممَّن أَلِفوها في أفلام الكارتون وعلِقت بأذهانهم، ولدَيها من القوى النارية والمائية والترابية والهوائية؛ بحيث تتحكَّم في الطقس، وتأمُر السماء بإنزال المطر فتُمطِر، وتأمُر بأن تَنبُت الأرض فتَنبُت.

ففي مقابل الاستمتاع الطفولي بالفن الكرتوني فان معظم هذه الأعمال يخلو من الأهداف التربوية التي نسعى إلى تعليمها لأبنائنا لذا فان هناك الكثير من المخاطر الجسيمة التي تصيب هؤلاء الاطفال منها استخدام إيحاءات جنسية فاضحة، وأساليب كيدية، عنف لفظي، وعبارات بذيئة، وربما يأتي كل ذلك في اطار قصص شيقة جدا تدور بين الحيوانات، وتحوى العديد من الإشارات المثيرة للغرائز وممارسات سلوكية مرفوضة في مجتمعنا مثل الاحتيال والكذب وغيرها من الصفات غير الأخلاقية، وهناك رسوم متحركة اخرى تدعو للبلاهة والضحك الرخيص غير الهادف كما يشاهد الطفل كمية كبيرة جدًّا من مشاهد العنف في الساعة الواحدة مما يدفعه إلى التقليد الأعمى للشخصيات الكرتونية، وتدفع أفلام الكرتون الطفل الى تبّنى توجهات عنيفة وسلوكيات عدوانية في أدائه وتصرفاته، وهناك التأثيرات الخفية التي ظهر على المدى البعيد من خلال نمط حياتي جديد مثل قصات الشعر والملابس الغريبة على المجتمع، وينشأ لدى الطفل استعدادا دائما لتقبل ما تتضمنه تلك المضامين الضارة، والاهم من ذلك هو ان الأطفال

اصبحوا لا يتعاملون مع الكرتون على أنه نوع من الترفيه والتسلية، بل يأخذونه قدوة لهم ويقلّدون ما فيه.

- الإعلام:

يعتبر الأداة الأكثر تأثيراً في الحرب المندلعة ضمن ثالوث الاستغلال. ولم تؤدي أي أداة أخرى دوراً تدميرياً في هذه الحرب الغير المعلنة تجاه المجتمع، بقدر ما هو عليه الإعلام القابع تحت رقابة الاحتكارات.

والإعلام أداة غسلِ العقول والأفئدة الأكثر فعاليةً في الحداثة. هذه الأجهزةُ تُؤَمِّن نسبة كبيرة من التيسير للدولة القومية المستفيدة من الإمكانيات التي تمنحها تكنولوجيا التواصل في تنشئةِ المواطن الذي تشاء. ونخص بالذكر الدورَ الرئيسي الذي تؤديه الأجهزة والوسائل الإعلامية في تأجيجِ ثالوثِ الجنس والرياضة والفن، والترويج له، وعرضِه على المجتمع بعدَ إفراغه من محتواه، وبالتالي، تكوينِ المواطن الأكثر بلاهةً وسذاجةً وتخديراً.

فإذاعة ناطقة بلغتك – قنوات فضائية ناطقة بلغتك – صحف ناطقة بلغتك – قنوات أفلام ومسلسلات مدبلجة أو مترجمة إلى لغتك – أخلاق وملابس وتعري وتفسخ وفحش لسان يتم صبغه بلغتك وبلدك – جمعيات غير نظامية أو غير حكومية أو حركات أو (باحثون) أو (محبون للعلم) بلغتك وبأفراد من بني جلدتك يقودهم المال.

فالإعلام في العصر الحديث وسيلة للتواصل المجتمعي وخاصة التلفزة الحديثة، فلا يخلو بيت من التلفزيون، حيث يؤثر في كل فرد بما تبثه من برامج، والذي يتحكم بهذه الآلة السحرية يتحكم في توجيه المجتمع والرأي العام أيضاً.

والسلطة والرأسمال تعي هذه الحقيقة أكثر من أي قوة أخرى، ولهذا جعلت الإعلام ووسائله جزءاً من احتكاراتها، وبذلك تتحكم في توجيه الرأي العام والسياسة، ابتداء من انتخاب رئيس أكبر دولة في العالم وصولاً إلى قلب الحقائق رأساً على عقب في البلدان الأخرى من العالم.

قوة الهيمنة العالمية تستخدم هذه الوسيلة الخطيرة جداً في حربها الخاصة على المجتمعات في عقر دارها بتخديرها أو تحريفها من خلال الترويج لثالوث الاستغلال وطرحه كأسلوب حياة، وحلم كل شاب متمدن، وفي جنبات الحياة التي

يسعون لفرضها نجد السم الزعاف الذي يهبط بالمجتمع إلى أقصى درجات الدونية.

لا يعمل الإعلام في فراغ بل يستمد من السياقات الاقتصادية والسياسية والثقافية، سواء كانت محلية أو قومية أو إقليمية أو دولية. وإن الهيمنة الإعلامية التي تمارسها وسائل الإعلام الغربية في البلدان النامية بترويجها أنماطاً من الحياة تسهم في عولمة الثقافة وتهديد مرتكزاتها الوطنية في تلك البلدان.

والإعلام في صورته الايجابية تكون أهدافه:

الاعلام له دور هام في تشكيل الرأي العام وطرح قضايا وموضوعات سياسية واقتصادية واجتماعية يلتف حولها جموع المواطنين، والارتقاء بالبناء المعرفي والادراكي للمواطن في كافة المجالات ذلك بجانب دور الاعلام التقليدي في نشر الأخبار المختلفة من جميع دول العالم، وتكون وسائل الاعلام في هذه الحالة ايجابية وفى صالح توعية المواطن والارتقاء بمجتمع مطلع قادر على التفكير والتحليل ورابط واقع الاحداث والمشاهدات من حولة بالصورة الذهنية التي ترسمها وسائل الاعلام.

وهناك نظرية لأحد كبار علماء الاتصال والإعلام (والتر ليبمان) تؤكد أن وسائل الاعلام فاشلة دائما في توجيه الجماهير كيف يفكرون ولكنها تنجح دائما في إبلاغهم عما يجب أن يفكروا فيه، فمبدأ التفكير والتحليل لكل ما يعرض في وسائل الاعلام أمر لابد منه لمعرفة هل اتجاه وسائل الاعلام يصب في القضايا الوطنية والأساسية التي تجمع مصالح العدد الأكبر من المواطنين داخل مجتمع مثقف وواع لا يعتمد فقط على وسائل الاعلام وإنما يتيح مجال للقراءة والاطلاع والتعرف على خلفيات المشاهد والقضايا والأخبار التي يتلقفها من وسائل الاعلام المختلفة، ووسائل الاعلام لا يمكن أن توجه الانسان كيف يفكر ولكن قادرة على توجيه فكره نحو قضية بعينها أو تؤثر على الفرد لصالح اتجاه او أيديولوجية سياسية معينة ولكن هذا لا يلغي مبدأ التفكير والتحليل وطرح هذه القضايا الهامة للنقاش الجماهيري والنخبوي أيضا باختلاف أفكارهم وانتماءاتهم السياسية والاجتماعية.

1- المساهمة في تثقيف وتوعية المواطنين.

2- الكشف عن الفساد.

3- تقوم بدور الرقيب أو الحارس فيما يتعلق بحرية التعبير وحرصها على ان يكون هذا الحق ملكية خاصة لكل مواطن.
4- خلق المثل الاجتماعي وذلك بتقديم النموذج الايجابي في كافة مجالات الحياة.
5- الحرية والمساواة واحترام القوانين وغيرها من الأدوار التي يجب أن تتضمن رسائل الوسائل الإعلامية المختلفة.
6- تبنى أنماط فكرية اجتماعية واقتصادية وسياسة تحظى بموافقة شعبية هامة لتطوير وتغير الأنماط السائدة لتحقيق التطور والتقدم الذي يرفع من مستوى البلاد.
7- الحفاظ على استقلالية وسائل الاعلام وعدم وجود هيمنة أو سيطرة عليها إلا من الشعب.
وبهذه الأهداف يكون تأثير وسائل الاعلام على الجماهير ايجابي بصورة كبيرة، ولكن للوصول إلى هذه الصورة المثالية لوسائل الاعلام يجب أن تكون الديمقراطية هي النظام السياسي السائد.
ولكن واقعيا لا تكون وسائل الاعلام بهذه الصورة المشرقة والمثالية نظرا إلى أنه دائما تسعى النظم السياسية في فرض الهيمنة والسيطرة على وسائل الاعلام للتغاضي عن دوره في مراقبة النظام وكشف أخطائه وانتقاده، أو تشديد الخناق على وسائل الاعلام من خلال قوانين تحض على استقلال وحرية الاعلام من خلال اجراءات عقيمة وروتينية، أو سيطرة رأس المال تجعل المالك يتحكم في سياسات الوسيلة الإعلامية لصالح أفكاره وأهوائه.

التأثير السلبي لوسائل الاعلام وكيفية التصدي له:

الوجه القميء والتأثير الفاسد لوسائل الاعلام عندما يسيطر عليها النظام السياسي أو المقربون من السلطة من أصحاب النفوذ أو سيطرة رأس المال الامر الذى يجعل الجهاز الاعلامي أداة لبث رسائل إعلامية بغرض حشد الرأي العام لصالح القضايا التي يتبانها النظام السياسي واصحاب النفوذ ورأس المال وفى هذه الحالة تنعدم مصداقية ما تبثه وسائل الاعلام من أخبار ورسائل اعلامية وتكون موجهة دائما لصالح وجهة نظر واحدة وهى وجهة نظر صاحب السلطة على هذه الوسائل الاعلامية لفرض نفوذهم على الجماهير ووضع تفسيرات خاصة بمحتوى وسائل الاعلام للترويج لمصالح الفئات المسيطرة في المجتمع، والهاء الناس عن البحث

عن الحقيقة التي تعبر عن الواقع الذي يعيشونه وبهذا يكون النتيجة لهذا التأثير السلبي لوسائل الاعلام الموجهة لخدمة فئة معينة هي:

1- تدهور مستوى الذوق الثقافي العام.
2- زيادة معدلات اللامبالاة والميل إلى الفوضى.
3- المساهمة في الانهيار الاخلاقي العام.
4- تشجيع الجماهير على السطحية السياسية.
5- قمع القدرة على الابتكار والتجديد.
6- اشاعة روح الانقسام بين الجماهير وفصلهم إلى فريقين بهدف تحقيق أهداف الفئة المسيطرة على وسائل الاعلام.

وفى هذا الوضع يكون الاعلام مضلل ولا يهدف إلى أي توعية جماهيرية وتنتشر في حينها الأخبار الكاذبة والغامضة مما يجعل هناك مجالا خصبا لنشر الشائعات وغسيل المخ لترويج أفكار المهيمنين على وسائل الاعلام مثلما كان يفعل (غوبلز) وزير الدعاية النازي ورفيق هتلر.

الفجوة الإعلامية:

ويقصد بها اختلال تدفق المعلومات بين الغرب والشرق، وهي الناجمة عن احتكار الدول المتقدمة لوسائل الاتصال الكبيرة التي تتحكم في نوع المادة الإعلامية المتداولة في العالم الراهن ومسارها، والهوة الاتصالية تشتمل على مجمل أوجه الإنتاج والإبداع لاتصالي ومجمل وسائل الاتصال وحدود إتاحة الوسائل والرسائل للجمهور.

إن نتائج الأبحاث أشارت إلى تعمق تلك الفجوة واتساعها بين الدول المتقدمة والدول النامية من جهة، وبين أفراد المجتمع النامي الواحد نفسه وفئاته من جهة ثانية. وعليه فأن النظام الإعلامي جعل الدول النامية مجرد مستهلك للإعلام الذي تقدمه الدول المتقدمة، لا شريكاً في عملية تبادل المعلومات. ولعل الأنموذج الصارخ اليوم للفجوة الهائلة بين الدول الصناعية المتقدمة والدول النامية، يوجد في قارة آسيا، فحين لا يزيد عدد سكان اليابان عن (5%) من سكان القارة، إلا أنها تحصل على (6%) من توزيع الصحف في القارة، و (46%) من محطات الإذاعة و (63%) من أجهزة التلفاز و (89%) من أجهزة الهاتف، ومن المتوقع

أن تزيد نسبة التفاوت التكنولوجي بين اليابان وبقية دول القارة الآسيوية إلى النصف كل عشر سنوات.

في مفهوم الإعلام "الاتصال" الدولي الجديد ودوره في الهيمنة

النظام الإعلامي الدولي الجديد هو الذي يقوم على سيطرة نظام إعلامي ذو توجه واحد، هو النظام الإعلامي الدولي الذي ينطلق من الغرب، أحادي القطب والهيمنة، على أنقاض النظام الإعلامي الذي يشكل نهاية الحرب العالمية الثانية، والذي يقوم على السيطرة الثنائية للنظاميين الإعلاميين (الغربي الليبرالي) وتمثله الولايات المتحدة الأمريكية، ودول غرب أوروبا، واليابان، وكندا، واستراليا، و(الشرقي الاشتراكي) ويمثله الاتحاد السوفيتي ودول شرق أوروبا وكوبا والصين.

تاريخ الاتصال (الإعلام)الدولي:

1- الدعوة الدينية التي اتحدت صورة التبشير المختلفة أفكار بوذا والمسيح عليه السلام والرسول محمد(ﷺ).
2- شهد العالم القديم دعاية سياسية في عهد اليونان والرومان باستخدام الرموز والمباني الفخمة ذات الفن المعماري المتميز.
3- تركزت النشاطات البشرية بالكنيسة عام 1622م وذلك بإنشاء التجمع الذي أصبح أول مركز للدعاية في العالم الغربي.
4- حلول اللغات الأوروبية محل اللاتينية من العصور الوسطى فأصبحت هذه اللغات وسيلة الاتصال للدول الاستعمارية في أجزاء من عديدة العالم تمثلت في الإدارة والقوانين والتشريعات والتعليم العالي والتكنولوجيا في مستعمراتها.
5- تطور التكنولوجيا للاتصال والإعلام بما يتعلق بتطور الطباعة والصحافة والإذاعة والتلفاز ووكالات الأنباء وسينما والثقافة كلها ساعدت في تطور الإعلام الدولي .
6- ويمكن القول أن الجهاز الدعائي الألماني لفوبلز خلال الحرب العالمية الثانية، كان أهم الأجهزة التي اعتمدت الصيغة المباشرة ، حيث وظفت وسائل الإعلام ومنها الإذاعة للاختراق الدول وتكريس أفكار النازية.

7- أما فترة الستينات بعد إطلاق القمر الصناعي عام 1962م فإنها فترة انعطاف دولي في مجال الاتصال والإعلام الدولي.

أهداف ووظائف الإعلام الدولي:

يخدم الإعلام الدولي الأنظمة في مجالات مختلفة ويغطي احتياجاتها الأساسية، ويمكن أن نشير إلى أهم الوظائف:

1- خدمة السياسة الخارجية للدول فعن تطبيق الإعلام الدولي يمكن التأثير على الرأي العام لضغط على الحكومة وعن طريق المفاوضات الدبلوماسية يمكن الوصول إلى نتائج ممتازة كما يمكن عن طريق الاتصالات المختلفة تقوية الروابط التي تخدم أهداف السياسة الخارجية لبلد من البلدان وتزداد أهمية الإعلام الدولي لدى الدول عند نشوب الأزمات والتوترات الدولية.

2- خدمة الاستراتيجية العسكرية، فعن طريق الإعلام يمكن إضعاف الروح المعنوية للعدو وتجنيد لمجتمع الدولي ضده والتأثر على الرأي العام داخل معسكري العدو نفسه.

3- خدمة الأهداف الاقتصادية في توسيع التجارة الخارجية أو في الحصول على التسهيلات المصرفية أو المساعدات وغير ذلك مما تتطلبه خطط التنمية في البلد المرسل. ويقوم الإعلام بدوره في الترويج للسلع والخدمات التي تقدمها السوق العالمية من خلال الإعلانات التي تتضمن محتوياتها قيما وأنماطاً للسلوك الاستهلاكي يستهدف الدعاية للسلع الأجنبية مما يلحق أضراراً فادحة بالاقتصاديات المحلية علاوة على التأثير السلبي للإعلانات على حرية الإعلام والصحافية في دول الجنوب.

4- في المجال الاجتماعي والثقافي والصحي يعمل الإعلام الدولي على نقل المعارف والعلوم ويسهل الاحتكاك الحضاري والتغيرات الثقافية والاجتماعية كان يتيح الفرصة لتبادل الخبرات في المجالات المختلفة، بل انه في ظل تطور الإعلام السمع بصري أصبح هو المؤسسة التربوية والتعليمية الجديدة التي حلت مكان الأسرة والمدرسة والتي تقوم بدور أساسي في تلقين النشء والأجيال الجديدة المنظومة المعرفية المنزوعة من سياقها التاريخي والقيم السلوكية ذات النزعة الاستهلاكية والتي تروج بأشكال متنوعة لمصالح السوق العالمية وأيديولوجياتها، ومن خلال هذه الوظيفة يمارس الإعلام اخطر أدواره الاجتماعية والتي تتمثل في

أحداث ثورة إدراكية ونفسية تستهدف إعادة تأهيل البشر للتكيف مع متطلبات العولمة وشروطها .

5- التأثير العقائدي: تعمد الدول كما يعمد ذوو الأفكار والأيديولوجيات إلى نشر أفكارهم ومذاهبهم على المستوى الدولي.

6- يساهم الإعلام الدولي في التجنيد ضد العدو ضمن إطار الحرب الباردة والتهيئة للحرب الدولية.

7- الاتصال بالجماعات المؤثرة: يتولى الإعلام الدولي الاتصال بالجماعات المؤثرة في النظم السياسية المختلفة كالأحزاب وجماعات الضغط والجماعات المصطلحية وأعضاء البرلمان ومختلف المؤسسات المؤثرة في صناعة القرار السياسي. ولا يخفي أن الاتصال بالجماعات المؤثرة عامل هام في التأثير على موقف الدولة من القضايا المطروحة. ويتم الاتصال بالجماهير من خلال الراديو والتلفزيون والسينما ... الخ. أما الاتصال بالجماعات المؤثرة والنظم السياسية في الخارج مثل الأحزاب وجماعات الضبط وأعضاء البرلمانات والمؤسسات المأثرة في صنع القرار السياسي يهدف إلى دفعها للتأثير على موقف الدولة من القضايا المطروح.

8- الاتصال بالجماهير: يتم إعلام الجماهير بالاتصال المباشر أو الاتصال غير المباشر من خلال عدد من الوسائل الإعلامية بين دول الشمال والجنوب أن الاتصال بالجماهير وخاصة ضمن إطار البلد الواحد قد يأخذ إشكالاً عديدة يمكن الاتصال الجماهيري الخارجي يعتد على معدلات التطور الاتصالي بين أجزاء العالم شمالاً وجنوباً.. إلى ذلك تشير الدراسات إلى تزايد أهمية الأدوار التي تقوم بها الشركات متعددة الجنسيات في الأنشطة الإعلامية والثقافية ويتجلى ذلك توظيف وسائل الإعلام الدولية والحلية كأحزمة ناقلة يتم من خلالها ترويج القيم الاجتماعية والثقافية الغربية ونشرها في دول الجنوب كما يتسبب في إحداث بلبلة واضطراب شديد في منظومة القيم المميزة لثقافات الشعوب التي تتعرض لهذه التأثيرات وتمارس هذه الشركات بالتنسيق مع البنك الدولي ضغوطاً متواصلة على دول الجنوب لاستخدام قروض البنك في استيراد التكنولوجيا الاتصالية والمعلوماتية مما يسهم في أحكام الحصار على الإعلام الجنوبي.

وتشير كذلك بعض الدراسات استفادة العولمة من استمرار النظام الإعلامي الراهن الذي يتسم بالخلل وأوجه التقارب الخطيرة سواء على المستويات المحلية أو العالمية والتي تتمثل في الانسياب غير المتوازن للمعلومات مع رسوخ الاتجاه للرأي الأحادي الجانب للإعلام من الشمال إلى الجنوب من المركزي إلى الأطراف ومن الحكومات إلى الفارد ومن الثقافة المسيطرة إلى الثقافات التابعة ومن الدول الغنية تكنولوجيا في الشمال إلى الدول الأفقر في الجنوب. ويتحدد تأثير الاتصال بالجماهير على مدى أطول نظراً.

لأنه يخاطب قطاعاً عريضاً وفئات مختلفة متباينة في درجات التعليم والمصالح والاتجاهات كما أنها كثيراً ما تتأثر بموقف النخبة.

ويلاحظ أن الاتصال الفعال بالجماهير يتطلب إمكانيات كثيرة ووسائل متعددة الأمر الذي يعني نفقات طائلة.

9- وظائف تمثيلية: وذلك بتمويل الدولة التي ينتمي إليها أو المنظمة التي ينوب عنها.

10- تقوم وسائل الإعلام العالمية باستقطاب النخب المثقفة للترويج لفكر العولمة وأيدلوجياتها عبر الحوارات التلفزيونية والمقالات والصحة والمؤتمرات والندوات حيث يتم تكثيف الجهود من اجل إجادة تشكيل الرأي العام العالمي لمناشدة السياسات الاقتصادية التي تقوم بإدارة اقتصادي العالم (البنك الدولي صندوق النقد الدولي منظمة التجارة العالمية) والدفاع عن المعايير المزدوجة كما يسمى بالشرعية الدولية والإسهام في إعلاء شان الثقافة الأمريكية وتهميش ثقافات الجنوب والترويج لعالمية السوق متجاهلين التفاوت الحاد بين المستويات الاقتصادية.

11- تقوم وسائل الإعلام السمع بصرية من خلال البث المباشر بدور مركزي في اختراق منظومة القيم الثقافية لدول الجنوب من خلال المسلسلات والأفلام وبرامج المنوعات الأمريكية خصوصاً في ظل عدم الالتزام بالمواثيق الدولية التي نصت على ضرورة التزام البرامج المبثوثة عبر الأقمار الصناعية باحترام الطابع المميز للثقافات المختلفة وابرز هذه المواثيق إعلان اليونسكو عام 1978م وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1982م والذي يتضمن مبادئ وقواعد تنظيم استخدام الأقمار الصناعية في البت التلفزيوني المباشر وقد نجحت أمريكا خلال العقدي

الآخرين من اختراق الأنظمة الثقافية لدول الجنوب وقدمت لشعوبها النموذج الأمريكي كغاية مثلى.

ست شركات عملاقة فقط تهيمن على وسائل الإعلام العالمي وبالذات القنوات الفضائية التلفزيونية وذلك حسب الترتيب التالي:

1- مجموعة تايم ورنر (time warner):

أكبر شركة إعلامية في العالم تفوق مبيعاتها 25مليار دولار في السنة، وتملك بعض القنوات التلفزيونية المؤثرة أشهرها CNN التي بلغ من قوة تأثيرها في صياغة الرأي العام العالمي في الثقافة والسياسة إلى حد جعل الأمين العام السابق للأمم المتحدة بطرس غالي يعدها العضو رقم 16 في مجلس الأمن.

2- مجموعة برتلزمان (Bertels man):

أكبر مجموعة إعلامية في أوربا تفوق مبيعاتها السنوية 15 مليار دولار، وتمتلك عدة قنوات تلفزيونية في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا إضافة إلى 45 دار نشر وأكثر من 100 مجلة.

3- مجموعة فيا كم (Viacom):

مجموعة أمريكية قوية دخلها السنوي يبلغ 13 مليار دولار وتمتلك 13 محطة تلفزيونية أمريكا ومنها: شو تايم التي تعتمد الانحلال والتعري جزءًا رئيسيًّا من سياستها في عولمة الثقافة الأمريكية.

4- مجموعة دزني (Disny):

دخلها يفوق 24 مليار دولار، وهي أكبر منتج لمواد الأطفال في العالم وتملك شبكة ABC التلفزيونية إضافة إلى مجموعة من القنوات الفضائية.

5- مجموعة نيوز كور بريشن (News Corporation):

تعد اليوم أكبر لاعب دولي في مجال الإعلام حول العالم، وتملك شركة فوكس للإنتاج السينمائي والبث التلفزيوني وشبكتي ستار وسكاي إضافة إلى 22 محطة تلفزيونية و132 صحيفة و25 مجلة، وتزداد خطورة بثها في انتهاجها سياسة بث البرامج بلغات البلدان المختلفة.

6- مجموعة (T.C.T):

مجموعة متخصصة بالبث التلفزيوني عبر الكابل المدفوع بالاشتراكات، وتملك قمرين صناعيين للبث حول العالم.

- حرب المعلومات:

وهو استخدام نظم المعلومات لاستغلال وتخريب وتدمير وتعطيل معلومات الخصم وعملياته المبنية على المعلومات ونظم معلوماته وشبكات الحاسب الآلي الخاصة به، وكذلك حماية ما لديه من كل ذلك من هجوم الخصم؛ لإحراز السبق، والتقدم على نظمه العسكرية والاقتصادية. من الممكن أن تحدث هذه الحرب على مستوى الأشخاص، الشركات، أو على مستوى عالمي.

أقسام حرب المعلومات:

تنقسم حرب المعلومات إلى ثلاث مستويات: شخصية، مؤسسية، وعالمية.

1- حرب المعلومات الشخصية:

يتم فيها الهجوم على خصوصية الأفراد كسرقة بياناتهم المالية مثلاً ونشرها عبر الشبكة، التلصص على البريد الالكتروني، أو تلفيق تهم كاذبة لشخصيات مشهورة عند مجتمعاتها وغيرها من الأعمال التخريبية والتطفلية التي تستهدف الأفراد.

2- حرب المعلومات بين الشركات:

هي حرب بين جميع الشركات المنافسة في العالم فكل شركة تسعى إلى تعطيل المنافس وتهديد أسواقه، فمن السهل جداً أن نتصور شركة تستثمر مليون دولار في نظام يسمح لها باختراق قاعدة بيانات الشركة المنافسة لسرقة بحوثها أو استبدال بياناتها ببيانات زائفة.

3- حرب المعلومات العالمية:

يحدث هذا النوع من الحرب المعلوماتية بين الدول وبعضها البعض، أو قد تشنه القوى الاقتصادية العالمية ضد بلدان بعينها، لسرقة أسرار الخصوم أو الأعداء وتوجيه تلك المعلومات ضدها.

كما تنقسم إلى سبعة أنواع: حرب القيادة والسيطرة، الحرب الاستخبارية، الحرب الإلكترونية، حرب العمليات النفسية، حرب قراصنة المعلومات، حرب المعلومات الاقتصادية، حرب المعلومات الافتراضية.

وهناك أسلحة متنوعة تُستخدم لتنفيذ هذه الحرب مثل: فيروسات الحاسوب، الديدان، أحصنة طروادة، القنابل المنطقية، الأبواب الخلفية، الرقائق، الماكينات والميكروبات فائقة الصغر، الاختناق المروري الإلكتروني.

واليوم تدور حرب حقيقية باستخدام منظومة المعلومات والتي أصبح كل جزء من العالم بل وكل فرد ضمن هذه الحرب، دراية أو بدون دراية، حيث تم استخدام الاكتشافات المعلوماتية للدعاية وغسل وتشويش أفكار الشبيبة. مثل وسائل التوصل الاجتماعي (كالفيس بوك وتويتر و....) ووسائل استخدامها كالهواتف الذكية والساعات الذكية و.... للتأثير على آرائهم وعواطفهم ومواقفهم وسلوكهم.
وتلعب هذه الحرب الخاصة دوراً كبيراً في حياة الأفراد، فيبتعد الفرد من حقيقته وواقعه، ويصبح منفصلاً عما حوله ولا مبالي ومهمل ومقلد للغير.
بالتأكيد لا نقصد ذلك الجزء من التكنولوجيا والتقنية التي توفر الراحة والأمان وسرعة الحصول على المعلومة. بل نقصد ذلك النمط السفيه للحياة المستفحلة. كمثال الضجة الإعلامية الضخمة والمبالغ فيها عند ظهور نوع حديث من الهواتف المحمولة، وصرعات الموضة الخلاعية وشركات النت المختصة في بيع المعلومات (ويكيليكس).
لدرجة بات فيها نسبة المدمنين على التعامل مع الهاتف النقال من فئة الشباب تتجاوز الـ 10إلى 15 بالمئة. أي وفق الإحصاءات الرسمية لا يستطيع الابتعاد عنه فترة تتجاوز الـ 5 دقائق.

الفجوة المعلوماتية:

وهي التي تحصل بين من لديهم كل المعلومات وبين من يفتقرون إليها، وبين من يبثون المعلومات وبين من يتلقونها. فحين نجد أن الثورة الصناعية فرقت بين المنتج والمستهلك، نلاحظ أن الثورة المعلوماتية عادت فجمعت بينهما. تلك هي دينامية ثورة المعلومات التي ليست هي ذاتها إلا عنصراً من موجة أكثر اتساعاً من التغيير التي تتأهب لإطلاق رصاصة الرحمة على المجتمع الصناعي القديم.
وعلى الصعيد السياسي تكتسب المسائل التي تثيرها السيطرة على المعلومات وحماية الحياة ولا سيما وإدارة المد الإعلامي تكتسب أهمية متزايدة بل أنها تتخذ بعداً كوكبياً. إن جميع المجتمعات تمتلك بنية للاتصال مهما تكن بدائية وهذا ما يسمى بـ (فلك المعلومات) وفلك المعلومات مرتبط بدوره على نحوٍ لا ينفصم بالفلك التقني والفلك الاجتماعي. كما أن ما وراء المعلومات – Lameta Information هي في الطريق لكي تصبح مفتاح السيطرة في كل الميادين.

ويمكن القول: إن بعض بلدان الشرق الأوسط وقعت تحت وطأة الاندفاع نحو (مجتمع المعلومات) الذي سعى وليم مارتن إلى رسم صفاته وملامحه على وفق معايير منها:

أ- المعيار التقني: المتمثل في سيادة تقنية المعلومات وانتشار تطبيقها في المكتب والمنزل والمصنع والمدرسة.

ب- المعيار الاقتصادي: إذ أصبحت المعلومات الآن العنصر الاقتصادي الغالب كمورد وسلعة وخدمة.

ج- المعيار الاجتماعي: ويتمثل في استغلال مورد المعلومات للارتقاء في معيشة الأفراد وزيادة الوعي لديهم وتمكينهم من الحصول على معلومات ذات درجة عالية من الجودة من حيث المضمون ومعدل التجدد وسرعة التحديث.

د- المعيار الثقافي: الذي يركز على إدراك القيمة الثقافية للمعلومات والمعرفة عن طريق ترويج قيم مجتمع المعلومات لمصلحة الأعم والأفراد، ومن ثم احترام القرارات الإبداعية والأمانة العلمية منها.

هـ- المعيار السياسي: القائم على حرية تبادل المعلومات مما يؤدي إلى زيادة مشاركة الأفراد في اتخاذ القرار.

لا شك إن هذا من مشاكل العصر المستعصية، حيث يؤثر ذلك سلباً في حياة الأفراد وسلوكهم وعواطفهم ويضحى فيها الفرد بلا دور، فارغ من الطموح، ويعتبر ذلك موتاً روحياً

الأكاديميات

ومن جهة أخرى أسست قوى الهيمنة العالمية مدارسها وأكاديمياتها الخاصة التي تنشئ رجالاتها وتخرج الشخصيات القادرة على إدارة دفة التحكم والسيطرة على المجتمعات وإدارتها، حسب متطلبات الهيمنة. ولا يستطيع الالتحاق بها أو الدراسة فيها سوى أبناء النخبة من الطبقات الحاكمة في الدول المختلفة.

ويمكن إعطاء أكاديمية "سان هيرست "الإنكليزية التي يلتحق بها أبناء الملوك والأمراء من شتى أنحاء العالم، مثالاً على ذلك.

بل هناك مئات المدارس والأكاديميات الأخرى الخاصة التي لا يمكن للناس العاديين الالتحاق بها، وما عدا ذلك فأنه تم تحويل الأماكن التعليمية كالمدارس وإدارات التعليم في الدول المختلفة إلى وسائل لتلقين الأجيال الناشئة بالعلوم والمعلومات التي تريدها السلطات الحاكمة.
وتقوم دوائر الحرب الخاصة المتحكمة في تلك الدول بوضع المناهج والبرامج التي تخدم حربها الخاصة والأهداف التي تحددها، ولهذا نجد أن قوى الهيمنة العالمية تمارس الضغوط على بعض الدول من أجل تغيير مناهجها التعليمية في مدارسها للمرحلة الابتدائية والوسطى.

الهيمنة الاجتماعية

تسعى القوى المهيمنة في حربها الخاصة على المجتمعات على خلق مجتمع واهن بلا معنى وذلك بفضل ما تؤديه الأجهزة والوسائل الإعلامية في الترويج لثالوث الجنس والرياضة والفن، وعرضه على المجتمع بعد إفراغه من محتواه، وبالتالي، في تكوين المواطن الأكثر بلاهة وسذاجة وتخدراً. هكذا يتم تنشئة نموذج مواطن لا مثيل له في أي مرحلة من مراحل التاريخ، عن طريق هذه الأدوات والوسائل.
والغاية القصوى لهذا المواطن هو أن يكون صاحب سيارة وعائلة (العثور على زوجة أو زوج، وأنجاب طفل أو اثنين) وشقة سكنية، ومستهلكاً يومياً بامتياز. أما معاني المجتمعية، فبالإمكان وضعها جانباً والتخلي عنها بكل سهولة، كما أنه مبتور من التاريخ لأنه مسلوب الذاكرة، وما يعتقد أنه التاريخ، فهو ليس سوى قوالب الوطنية وكليشيهات القومية، أنه عديم الفلسفة، أو لا يؤمن بأي فلسفة عدى تلك المرتكزة على المنفعة المحدودة جداً.
كما أنه عصري المظهر، وخالي المضمون. ما هو موجود في الوسط ليس إلا الفرد أو بالأحرى اللافرد المنتمي إلى "قطيع المواطنين" أو "مجتمع الكتلة".
والأسلوب الأكثر نجاعة في خصيّ المجتمع هو أسلوب الاستغلال الجنسي: ولعل النظر إلى مظهر المرأة بمستوى التبضُّع والسلعية، سيُدْنينا من الحقيقة أكثر.
كلنا على علم تام ببيع المرأة وشرائها أكثر من غيرها في أسواق النخاسة في عهد العبودية الكلاسيكية، واستمرت هذه الحال واتسع نطاقها في العبودية الإقطاعية

على شكل جاريات، وما يتم بيعه في هذه المرحلة هو المرأة بكاملها. وما المهر والسمسرة السياسية عليها، سوى أشكال لانعكاس هذا النظام حتى داخل العائلة.

أما في الرأسمالية، فأُضيفَ إلى ذلك عناصر جديدة، بحيث يُحدَّد سِعر كل طرف فيها، تماماً كما يمزق القَصّاب اللحم إلى أجزاء ليحدد أسعارها. بدءاً من شعرها وحتى عُقب قَدَمها، فلا يكاد أن يتبقى فيها أي مكان إلا ويُجزَّأ وتُحدَّد قيمته.

لكن، ومع الأسف، لا يخطر على البال السؤال: هل لها روح أم لا؟ وإن وُجدَت، فكم تساوي روحها؟ أما من ناحية العقل، فهي "ناقصة العقل" منذ الأزل. إنها السلعة المانحة للذة في دُور الدعارة وفي المنازل الخاصة، وهي آلة لإنجاب الأطفال، وأداة لا غنى عنها في الدعايات.

بالإضافة إلى أنها الموجود الفريد من نوعه، المعروض للسوق بعد تحويل جنسيتها إلى سلعة باهظة الثمن. وأكثر من يكون أداة ووسيلة لخداع العشق ورياءه، ويتم التدخل في كل شيء فيها.

إنها الهوية التي يتم تشكيلها بعناية ودقة، لتتكلم بطريقة أنثوية، ويُضبَط صوتها ولغتها ولسانها وكلامها بموجب ذلك، هي الإنسان الذي يستحيل مصادقته كإنسان. هي الإنسان الذي لا يتخلى أكثر الرجال اعتداداً بنفسه عن عاطفة الهجوم والتهكم عليها؛ لقد غدت المرأة المادة الشيء الذي اعتقد كل رجل نفسه إمبراطوراً عليها.

بالمستطاعِ القول أنّ الاستغلالَ الجنسيَّ مِن أهمِّ وسائلِ النظام في بسطِ هيمنتِه. فهو لَم يَقتصر على تبضيعِه وتصييرِه صناعةً عملاقةً، بل وقامَ بتمييعِ ألوهيةِ فألوس الهندية في المجتمع، وحوَّلها إلى دينِ الهيمنةِ الجنسانيةِ الرجوليةِ، بحيث تُضارعها أربعين مرة. ونخصُّ بالذكرِ مكانةَ هذه المؤشِّراتِ الدينيةِ الجديدةِ لدى كلِّ رَجُلٍ باعتبارِها حجر الزاوية في الفنون، وعلى رأسِها الآداب؛ لِتَتَحَوَّلَ إلى أدواتِ تخديرٍ بكلِّ معنى الكلمة.

الهيمنة الاقتصادية:

لقد فرضت قوى الهيمنة العالمية كل الوسائل التي تمكنها من الهيمنة على الاقتصاد العالمي، تحت ستار السوق المفتوحة، وعولمة الاقتصاد، ولعل المرتكز الأساسي في فرض هذه الهيمنة يكمن عبر سيطرتها على قطاع المال الإلكتروني بأشكاله المتعددة، ولتبسيط الأمر بالنسبة لها، بمعنى أخر لسهولة التحكم بالمجتمع اعتمدت بشكل مباشر على صناعة التجارة الجنسية، وأصبحت هذه الصناعة، التي تنتشر

في السوق باسم العولمة التي تستمد أيديولوجيتها من الليبرالية "الفردية" المطلقة، وتدمج في نفس الآن المستويين المحلي والعالمي، قوة اقتصادية لا مناص منها.
وتستند الدعارة والصناعات الجنسية التابعة لها-الحانات ونوادي الراقصات وصالونات التدليك ودور إنتاج الخلاعية... الخ-على اقتصاد خفي ضخم يراقبه أشخاص مرتبطون بالجريمة المنظمة، وتستفيد منها قوى الأمن الفاسدة؛ كما تنتفع المجموعات الفندقية الدولية وشركات الطيران والصناعة السياحية.
بل وحتى الحكومات مستفيدة منها: ففي سنة 1995 قدر أن مداخيل الدعارة في تايلاند تشكل ما بين 59% و60% من ميزانية الحكومة، فليس عبثا أن قامت الحكومة، سنة 1987، بتشجيع السياحة الجنسية بعبارات من قبيل «إن الفاكهة الألذ من durian [فاكهة محلية]، هي الفتيات». وفي سنة 1998 قدرت منظمة العمل الدولية أن الدعارة تشكل بين 2% و14 % من مجموع الأنشطة الاقتصادية بتايلاند وإندونيسيا وماليزيا والفليبين.
وحسب دراسة قام بها بيشون وروبنسون تجلب الصناعة السياحية 4 مليار دولار سنويا في تايلاند.

منطق الهيمنة الاقتصادية والاستعلاء وأدواته

تقوم نظرية المركز والأطراف على فكرة أن الدول الغربية دول المركز، تمارس هيمنتها على الدول غير المركزية؛ الدول الأطراف سواء من خلال حكوماتها التابعة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً أو من خلال المؤسسات المالية العالمية هي التي بمثابة الأذرع المالية للقوى الغربية المهيمنة، مثل البنك وصندوق النقد الدوليين، وغيرهما من المنظمات، وكذلك الشركات المتعددة الجنسية، التي تعمل باتجاه تعطيل الإرادة الوطنية للدول التابعة وفقدانها لشروط إعادة تكوين ذاتها، الأمر الذي يؤدي إلى استمرار سيطرة الدول المتقدمة عليها.
إذاً الأمر الممنوع من دول المركز على دول الأطراف هو الاستقلال الحقيقي من الهيمنة والتحكم بها، وهم يستخدمون لذلك أصابع القوة الناعمة عبر الهيمنة الاقتصادية أو أذرع القوة الخشنة؛ والتي تتنوع بين شكل الانقلابات إلى الحروب والاحتلال المباشر.

ومن قلب التجربة يشرح القرصان الاقتصادي الأمريكي جون بيركنز أن مجموعة الشركات الاقتصادية الكبرى ورجال عصاباتها من قراصنة الاقتصاد وثعالب المخابرات المنتظرين في خلفية الأحداث لن يسمحوا إطلاقاً لـ "البلدان الصغيرة" بالسيطرة على الأمور.

1- السيطرة الناعمة من خلال الهيمنة الاقتصادية بدعم من المؤسسات المالية الدولية:

إذاً الخطوة المسبقة والمفضلة هي الهيمنة الاقتصادية بمؤسساتها الدولية وشركاتها العالمية، فلم يعد من الضروري استعمار الأمم ونهب خيراتها عن طريق الاحتلال المباشر، بل أصبح أكثر خبثاً ودهاءً، فبواسطة شركاء محليين ارتضوا أن يشاركوا بارونات المال العالمي في عملية نهب شعوبهم مقابل الفتات من غنائم هؤلاء الأجانب، قاموا بإغراق البلاد والعباد بالديون وجعلوا بلدانهم رهينة.

فلم يعد التهديد الذي تخشاه الدولة القومية ذات السيادة على سلطتها هو غزو الجيوش الأجنبية، بل الأحرى أنه المدى العالمي للاقتصاد الذي يسمح أن تُتخذ القرارات خارج الحدود القومية لتحديد سلوك معدلات الفوائد والعجوزات المالية وقيمة العملات وأسعار المنتجات الأولية وحجم البطالة أو إعادة موضعة صناعات بأكملها ونقلها إلى أماكن أخرى.

والنتيجة تصبح كما قال جيمس جاريسون رئيس المنتدى الاقتصادي العالمي: ليس هناك أمة على الأرض قادرة على مقاومة الاستقطاب القسري للعولمة، فقليلون هم أولئك الذين نجوا من "الإصلاحات الهيكلية" وأفلتوا من "الشروط" التي فرضها البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، أو تطلبتها منظمة التجارة العالمية والمؤسسات المالية الدولية؛ التي ما زالت؛ رغم عدم جدواها، تحدد مفهوم العولمة الاقتصادية وتصيغ القوانين والقواعد، وتعين المكافآت لمن خضع وذل، وترفع عصا العقاب لمن مرق وتمرد وهذه هي سطوة العولمة.

2- "فَخ الدَيْن" القبضة الخانقة:

والسؤال: كيف تضطر الدول النامية للارتهان للاستقطاب القسري للعولمة أو المدى العالمي للاقتصاد ومن ثم الاستعمار الاقتصادي؟

الجواب ببساطة هو إيقاع هذه الدول في فَخ الدَيْن الذي يشكل الوسيلة للتراكم من خلال نزع الحيازة، إنه الشَرَك الذي ينصب بعناية وبمساعدة صندوق النقد الدولي

والبنك الدولي اللذين لم يكشف سلوكهما على مدى الأيام والتجارب إلا أنهما يسعيان في خدمة مصالح أمريكا وحلفائها إذ أن خلق الأزمة وإدارتها والتلاعب بها على المسرح العالمي تطورت كلها لتصبح فناً جميلاً لإعادة توزيع مقصودة للثروة من الدول الفقيرة إلى الغنية، حيث تدفع الدول النامية المتعطشة للائتمانات، وتشجعها باستمرار للاقتراض بكثافة ولو كان الاقتراض بمعدل فوق طاقتها، فأصبحت تحت احتلال اقتصادي لازمه احتلال للإرادة السياسية والسيادية، حيث تقوم هاتان المؤسستان بفرض الشروط التي تتدخل في أمور سيادة الدولة تحت طائلة إما شروطنا وإلا..، وهكذا تم خلق مصائد للديون بحيث أصبحت ميزانيات العديد من الدول النامية تخصص جزءاً هاماً منها لسداد فوائد الديون لا أصولها، حيث يجبر المقترضون من قبل الدولة والقوى الدولية على تحمل تكاليف سداد الدين مهما كانت نتائج ذلك على حياة ومعيشة ورفاه السكان المحليين فإذا اقتضى ذلك التخلي عن الأصول لصالح الشركات الأجنبية بأسعار "مـزاد الحرائق" بيع السلع المتأذية بالحرائق فليكن !! وهو أسلوب من الاستعمار الجديد الذي تم تصميمه بعناية.

يقول القرصان الاقتصادي جون بيركنز: وهكذا نقدم القروض لهذه البلاد يقصد الدول النامية ونعرف تماماً أنها لن تستطيع مطلقاً سدادها، ونحن لا نريد في الحقيقة لهذه الدول أن تسدد ديونها، لأن عدم السداد هو ما يمنحنا النفوذ، وهو ما يضمن لنا ممارسة دور المرابي اليهودي في رواية تاجر البندقية.

وكنتيجة لذلك أجبرت جميع البلاد النامية على البقاء طوال القرن العشرين تقريباً بالاعتماد على المعونات الدولية، والقروض الرسمية والائتمانات من المؤسسات الخاصة، ومن ثم تهاوت اقتصاداتها إلى حالات من الإعسار والإفلاس القومي لدى توقف تلك الموارد، والآن فإن بقاءها يعتمد بشكل أساسي على أعمال الخصخصة، وعلى قدر كبير من رأس المال سريع التطاير الذي تولده المضاربات في السوق المالي الكوكبي.

لقد كان مجموع الديون طويلة الأجل على الدول النامية عام 1970م حوالي 62 مليار دولار، وزادت سبع مرات فوصلت إلى 480 مليار دولار سنة 1980م ثم زادت 32 مرة لتصبح 2000 مليار دولار سنة 1996م ليصبح الاقتصاد العالمي موجهاً لعملية تحصيل الديون.

وبلغت عام 2004م أكثر من 2,5 ترليون دولار، كما يمثل عبء خدمة الديون أكثر من 375 مليار دولار سنوياً وهو أكثر مما يمكن أن ينفقه العالم الثالث على الصحة والتعليم، وأكثر عشرين مرة مما تتلقاه البلاد النامية سنوياً من معونات أجنبية.

بعض مظاهر الهيمنة الاقتصادية:

سيطرةُ الدّول الغنيّة على الثّروات الطبيعيّة للدول الفقيرة. استعمال الدول الفقيرة كأسواقٍ لمُنتجات الدول الغنيّة. عدم تشجيعِ الدُّول القويّة على إقامة صناعاتٍ في الدول الفقيرة. التّفاوت في الثروة، فقد انقسم العالم إلى ثلاثة مستوياتٍ من حيث امتلاك الثروة وهي الدول الغنيّة، والدول الصناعيّة، والدول النامية أو دول العالم الثالث. عجز الدول الفقيرة عن تلبية احتياجات سُكّانها من مدارس وجامعات، وخدماتٍ صحيّةٍ من مستشفياتٍ وعنايةٍ صحيّةٍ، وفرص عملٍ، وتوفير الغذاء الصحي المتوازن للسكّان، فنلاحِظُ انتشارَ الأميّة في المجتمعات الفقيرة مما يؤدّي إلى حدوثِ المشكلات الاجتماعيّة، لذلك نُلاحِظُ انتشار الفوضى والاضطراباتِ داخل مجتمعات الدّول الفقيرة. عدمُ امتلاكِ الدّولة الفقيرة لقراراتها وسيادتها وبقائها أسيرةً للدولة القويّة. تدخُّل الدّول القويّة بإدارةِ شؤون الدولةِ الفقيرة الداخليّة كحركات الاستعمار التي تعرضت لها مُختلف دول القارّة الإفريقيّة والآسيويّة. نشر الدولة القوية لغتها ولثقافتها وعاداتها وتقاليدها ونمطها الاستهلاكي بين الشعوب الضعيفة من أجل طمس الهويّة الوطنية لهذه الدول وإبقائها تابعة للدول الغنية في كل المجالات.

الهجرة:

باتت العولمة الرأسمالية تتميز بتأنيث مهم أكثر فأكثر للهجرة؛ ويتم تدفق جزء كبير من الهجرة باتجاه البلدان المصنعة.

لقد تراجع الوضع الاعتباري للنساء وللأطفال، فقد باتت النساء والأطفال، بالعديد من بلدان العالم الثالث وكذلك في بلدان الاتحاد السوفيتي سابقاً وفي بلدان أوربا الشرقية، مواد خام جديدة في إطار نمو التجارة الوطنية والدولية. تحت تأثير سياسات التقويم الهيكلي ولبرلة الاقتصاد.

وتتميز هذه السلع، من وجهة نظر اقتصادية، بميزة مزدوجة: كون الأجساد منتوجاً مادياً وخدمة في نفس الوقت؛ وعلى نحو أدق، لم نشهد تحويلاً للجسد إلى

سلعة وحسب، بل كذلك تحويل النساء والأطفال إلى سلع، ومن ثمة الفكرة الشائعة عن ظهور شكل جديد من العبودية لتوصيف تجارة سلعها ملايين النساء والأطفال.

الاتجار بالبشر:

هي عملية توظيف أو تجنيد شخص وإيوائه ونقله أو الحصول عليه من طريق التهديد أو استخدام القوة أو الاحتيال أو الإكراه؛ وإخضاع الضحايا للعبودية رغماً عنهم، لغرض استخدامهم أو تسخيرهم أو إجبارهم على العمل القسري، أو العبودية، أو ممارسة الدعارة (البغاء)، أو استغلالهم لأغراض جنسية.

الهدف الأساسي والأول من ممارسات الاتجار بالبشر بصوره المختلفة هو الربح المادي، فهناك منظمات تعمل داخل البلاد ولكن إدارتها تكون خارج البلاد. وهذه المنظمات عادة ما تكون لها اتصالات بدول أخرى، كما يوجد سمسار في دول المصدر. كما أن عملية الاتجار بالبشر تتعدى لما بعد الحدود؛ ويشكل عدم التنسيق بين الأجهزة الأمنية منفعة لهذه المنظمات، وكلما كان الوضع السياسي أو الاقتصادي في البلد متدهوراً، كلما ازداد احتمال وجود هذه المنظمات في البلاد؛ فالضعف في حماية الحدود والاختلاف السياسي والفقر كلها عوامل تساعد المنظمات الإجرامية على انتهاز الفرصة للمتاجرة بالبشر.

البلد المقصد: عادة ما يكون فيه ثروات كثيرة، ولذلك يكون محط أنظار المنظمات الإجرامية. البلد المصدر: عادة ما يكون فيه مشاكل سياسية واقتصادية، ويعاني الفقر، وعدم الحرية، وغيرها من الممارسات القمعية ضد المواطنين. الضحايا: هم كل شخص تضرر بشكل مادي أو معنوي من خلال الاتجار به.

وتعتبر جريمة الاتجار بالبشر ظاهرة دولية، لا تقتصر على دولة معينة، وإنما تمتد لتشمل العديد من الدول المختلفة، إذ تبيّن أنه يتم الاتجار سنوياً بنحو 600 - 800 ألف شخص في أميركا؛ ولكن التقارير تشير إلى أن الرقم أكبر من هذا بكثير ويصل إلى الملايين في جميع أنحاء العالم، ولا يوجد رقم صحيح لهذه الظاهرة وذلك لعدم القدرة على إحصائها. وتختلف صورها وأنماطها من دولة إلى أخرى طبقًا لنظرة الدولة لمفهوم الاتجار بالبشر ومدى احترامها لحقوق الإنسان، ووفقًا لعاداتها وتقاليدها وثقافتها والتشريعات الجنائية النافذة فيها في هذا المجال والنظام السياسي المتبع بها، فمنها على سبيل المثال الاتجار بالنساء والأطفال لأغراض الدعارة والاستغلال الجنسي، وبيع الأعضاء البشرية وعمالة السُخرة،

واستغلال خدم المنازل، وبيع الأطفال لأغراض التبني، والزواج القسري، والسياحة الجنسية، واستغلال الأطفال في النزاعات المسلحة والاستغلال الجنسي للأطفال لأغراض تجارية، والاستغلال السيئ للمهاجرين بصفة غير شرعية، واستغلال أطفال الشوارع.

في تركيا، حيث فرّ إليها أكثر من مليوني سوري جراء الحرب، أملاً في الوصول إلى أماكن بعيدة عن القتل والدمار، توجه أصابع الاتهام إليها لاستغلال اللاجئين السوريين. وضعت منظمة مكافحة بغاء الأطفال والمواد الإباحية للأطفال والاتجار بالأطفال لأغراض جنسية (ECPAT) تقريرا مفصلا حول "حالات لمكافحة الاستغلال الجنسي التجاري للأطفال في تركيا". ويشير التقرير أن حالات العبودية في تركيا هي الأعلى في أوروبا، وذلك يرجع إلى حد كبير إلى انتشار ظاهرة الاتجار بالبشر لأغراض الاستغلال الجنسي والزواج المبكر.

ونقلت هذه المنظمة دراسة عن وزارة الخارجية الأمريكية من عام 2013 تشير أن "تركيا هي الوجهة والعبور، وبلد المصدر للأطفال الذين يتعرضون للاتجار بالجنس". ويتابع تقرير ECPAT أن "هناك خطرا على طالبي اللجوء الشباب وذلك من خلال اختفائهم من مراكز الإيواء ويصبحون عرضة للاتجار".

"هناك مخاوف من التقارير الواردة من مخيم الزعتري للاجئين السوريين الذي تديره الأمم المتحدة في الأردن تؤكد بشكل متساو مع المخيمات في تركيا:" كبار السن من الرجال من المملكة العربية السعودية وباقي دول الخليج يستفيدون من الأزمة السورية من أجل شراء العرائس في سن المراهقة وبـ "أسعار زهيدة".

"الأدلة تشير إلى أن الاتجار بالأطفال يحدث أيضا بين سوريا وتركيا من خلال "الزوجات" اللواتي يتم طلبها مسبقا من سوريا حسب العمر.

ومن الواضح، أن 85٪ من اللاجئين السوريين يعيشون خارج مخيمات اللاجئين، وبالتالي لا يمكن حتى مراقبتهم من قبل وكالة دولية.

وتجبر العديد من النساء اللاجئات في تركيا، وفقا للمحامي ونائب رئيس جمعية حقوق الإنسان في تركيا، "إرين كشكين"، على ممارسة البغاء في الخارج، وحتى في مخيمات اللاجئين التي بنتها منظمة إدارة الطوارئ والحروب التركية (AFAD).

وقال كشكين "هناك أسواق للدعارة في "عنتاب" وكلها أماكن تسيطر عليها الدولة. وتم بيع مئات من اللاجئين (نساء وأطفال) لرجال أكبر منهم سنا"، وأضاف "لقد وجدنا أن النساء تجبر على ممارسة الدعارة لأنهم يريدون شراء الخبز لأطفالهم".
وقال كشكين أنهم تلقوا العديد من شكاوى الاغتصاب والاعتداء الجنسي والعنف الجسدي من قبل اللاجئين في مخيمات في محافظتي "هاتاي وعنتاب" وقال "على الرغم من كل محاولاتنا لدخول تلك المخيمات، لم يسمح لنا المسؤولين بذلك".

الهيمنة العسكرية

لتكريس الهيمنة العسكرية اتبعت القوى المهيمنة على اتباع أساليب خاصة ومنها:
- **الشائعة:** تأخذ الشائعة نفس طابع الدعاية، فهي تهدف إلى تزييف الحقائق وتتحرك بالكلمة المنطوقة بين الأفراد، متعمدة بث الشقاق وتوسيع الخلاف بين الخصم وحلفائه في الداخل والخارج، وإجباره على تغيير خططه وبرامجه، وهي دائماً تجد أذناً صاغية وميلاً قوياً لتقبلها كحقيقة ثابتة، رغم أنها قد لا تحمل دليلاً على صحتها وتتغيّر تفاصيلها من فرد لآخر.
والهدف الأساسي من الشائعة، هو إما هدف شخصي، نفعي وآني، ودائماً يكون لمصلحة فريق أو طبقة معينة. ويرى "شارلز أتندال" أن الشائعة تستخدم كستار لإخفاء حقيقة معينة وتكوين صورة بعيدة كل البعد عن الواقع، ومن أهدافها:
- وضع الخصم في حالة نفسية متدنية.
- والتأثير على نمط العلاقات وتعكير الأجواء إلى درجة مخيفة.
- وأيضاً، السيطرة على قدرات الخصم لتسديد الضربة القاضية في اللحظة الحاسمة.
- كما تتعمد الشائعة ترويج الأخبار التي تشيع الرعب في النفوس وتعزز فيهم حالة التشاؤم.
كل ذلك بهدف التأثير على الرأي العام تحقيقا لأهداف سياسية أو اقتصادية أو عسكرية. والإشاعة قد لا تكون كلية معتمدة على الخيال، فقد تعتمد على جزء من الحقيقة، من أجل إمكانية تصديقها وتقبلها من قبل الناس.
وقد تظهر الإشاعة أحيانا في الصحف والمجلات أو تجد طريقها إلى موجات الإذاعة والتلفزيون.

وتستخدم الإشاعة وتنتشر في وقت الأزمات الاجتماعية والوطنية، ولذلك فأن زمن الحرب هو أنسب وقت لتلك الإشاعات ونشرها حيث يكون الأفراد في حالة استعداد نفسي لتصديق كثير من الأخبار والأقاويل التي يسمعونها، نظراً لحالة التوتر النفسي التي يعيشونها.

- افتعال الأزمات وحبك المؤامرات: عبارة عن استغلال حادث أو حوادث معينة، قد تكون بسيطة، ولكن يتم استغلالها بنجاح من أجل خلق أزمة تؤثر في نفسية الناس.

- إثارة الرعب والفوضى: وهذه وسيلة مهمة تستخدم بواسطة استغلال عاطفة الخوف لإرهاب الشعوب وإخضاعها من خلال استخدام الوسائل المختلفة لخلق حالة من الذعر والفوضى يسهل عن طريقها السيطرة.

- الإرهاب: هو تخطيط للقتل والدمار بحيث يؤديان إلى غرس الخوف في النفوس والتأثير سلباً على الحياة اليومية وبالتالي تمزيق النسيج الاجتماعي في جميع الميادين الحياة.

وجدير بالذكر أنه في السنوات الأخيرة تطورت قدرات الإرهابيين الإعلامية، وذلك اعتماداً على الإنترنت، والوسائل الإعلامية الأخرى.

من أين تستمد الهيمنة قوتها؟

لماذا تختفي أسس هذه المشروعية ولا تظهر لبادئ الرأي؟ إن مفعولية الهيمنة تزداد كلما ازداد الجهل بآلياتها الرمزية والخفية، فتستمد قوتها من اختفائها وتواريها، ومن ثم تظل حقيقتها غائبة، هنا تتحدد الوظيفة الأساسية لعلم الاجتماع، كعلم يرفع النقاب عن حقيقة الهيمنة السائدة داخل المجتمع (الحقول الاجتماعية) وتعرية أسسها الخفية واللينة التي تجعل من المهيمن عليهم يتقبلونها باقتناع ورضى، وبالتالي فالسوسيولوجيا تفضح الانخداع الذي يرعاه الجميع ويشجع عليه، فيشكل في كل مجتمع، أساسا لأكثر القيم قداسة، ودعامة للوجود الاجتماعي بكامله.

القوة الناعمة: وسيلة النجاح في السياسة الدولية

كتاب القوة الناعمة: وسيلة النجاح في السياسة الدولية هو كتاب من تأليف جوزيف ناي الذي كان مساعدا لوزير الدفاع في حكومة بيل كلينتون ورئيس مجلس المخابرات الوطني، قسم المؤلف كتابه إلى خمسة فصول حاول خلالها التفصيل

في مفهوم القوة الناعمة التي تعمل جنبا إلى جنب مع القوة الصلبة "العسكرية" لتقوية مصالح أمريكا في كل أرجاء العالم.
بحسب الكاتب فإن القوة الناعمة سلاح مؤثر يحقق الأهداف عن طريق الجاذبية والإقناع بدل الإرغام أو دفع الأموال، وموارد القوة الناعمة لأي بلد هي ثقافته إذا كانت تتمتع بالقدر الأدنى من الجاذبية وقيمه السياسية عندما يطبقها بإخلاص داخليا وخارجيا إضافة إلى السياسة الخارجية. يؤكد جوزيف ناي أن القوة الناعمة لا يمكن اختزالها في الثقافة فقط، ويضرب مجموعة من الأمثلة على ذلك منها: أن الكوكاكولا وشطائر ماكدونالد الكبيرة لن تجتذب بالضرورة الناس في العالم الإسلامي حتى يحبوا أمريكا، كما أن "دكتاتور" كوريا الشمالية كيم جونغ ايل يحب البيتزا وأشرطة الفيديو الأمريكية ومع ذلك لم تثنه هذه الأمور عن الاستمرار في طموحه النووي، والأجبان والمشروبات الفرنسية الممتازة لا تضمن الانجذاب إلى فرنسا، ولا تضمن ألعاب البوكيمون لليابان النتائج السياسية التي تتمناها.
يبقى السياق بحسب الكاتب هو أحد المحددات الأساسية للقوة الناعمة، فمن غير المقبول أن لا تستعمل القوة العسكرية لمواجهة الصرب المحبين لشطائر مكدونالدز والمؤيدين في نفس الوقت لسياسة سلوبودان ميلوشيفيتش، ونفس الموقف هو ما يجب أن يتبناه المرء في الأزمة الرواندية حيث قتل 800 ألف شخص من التوتسي على يد الهوتو دون أن يحرك العالم ساكنا.
يؤكد الكاتب أن بعض الدول الصغيرة أصبحت ذات تأثير كبير ومنها قطر التي تعتبر الجزيرة حسب الكاتب مصدر قوتها الناعمة، حيث عرضت القناة خلال الحرب الأمريكية ضد العراق صورا لضحايا مدنيين استفزت مشاعر الناس وأصبح الكثير منهم متعاطفا مع القاعدة التي ارتفعت شعبيتها في بعض الدول مثل أندونيسيا والأردن.
يؤكد الكاتب أن مصدر قوة أمريكا ليس هو الجيش فقط وإنما مجموعة من الدواعم لهذه القوة فعلى سبيل المثال تجتذب الولايات المتحدة أكبر نسبة للمهاجرين، والطلبة الدارسون منهم سيحملون الكثير من القيم والمبادئ الأمريكية، ويمكن أن يكونوا سفراء للثقافة الأمريكية ويحتلون في دولهم مراكز القرار، كما تحتل الولايات المتحدة المرتبة الأولى في الفوز بجوائز نوبل في الفيزياء والكيمياء والاقتصاد، ومبيعاتها من المؤلفات الموسيقية تشكل الضعف مقارنة مع اليابان

التي تحتل المرتبة الثانية، وتعتبر أمريكا أكبر مصدر للأفلام والبرامج التلفزيونية في العالم، رغم أن بوليوود الهندية تنتج أفلاما أكثر منها في كل عام.
يوضح الكاتب أن حسم الصراعات بالقوة العسكرية لوحدها أصبح أمرا من الماضي خاصة وأن الانفتاح وقوة وسائل الاتصال والبرمجيات قد تشكل عائقا كلما حاولت الولايات المتحدة شن حرب جديدة، ويدعو إلى اعتماد استراتيجية القوة الناعمة لضمان حلفاء ليس من الحكام فقط بل من شعوب المناطق التي تريد أمريكا فرض سيطرتها عليها بشكل ما.

خصائص تطبيقات الحرب الخاصة

1- صامتة بطبعها، لا تحدث الضجيج، تتسم بالسرية والتعقيد.
2- تهدف الوصول إلى تدمير الطرف المقابل تحت غطاء الإقناع.
3- تحتل العقول والقلوب، وتدمر القيم السياسة والثقافية المعادية، وتفرض تبديل جدول الأعمال السياسي والعسكري للطرف المستهدَف.
4- غير محسوسة، لا ترى بالعين المجردة.
5- يصعب رصد وتقدير حجم ومخاطرها.
6- تحدث المفاجأة والخداع، وتفرض فقدان الرؤية وغياب الاستعداد.

دعائم الحرب الخاصة:

للحرب الخاصة ثلاثة دعائم تعتمد عليها وهي: الانقلابات العسكرية، العمليات الخاصة (الحرب الغير النظامية) والحرب النفسية.
وهذه الدعائم تستخدم حسب الحاجة، فإما أن يستخدم إحداها، أو اثنتان منها لتكمل إحداهما الأخرى، فسبيل استخدامها يعتمد على إمكانية تحقيقها لأهداف الحرب الخاصة.

وهي تستهدف المجتمع بكل شرائحه ليبقى خانعاً راضياً بحكم احتكارات السلطة والرأسمال، أو شريحة مجتمعية محددة لصالح حكم شريحة أخرى في نفس المجتمع، وتجري بوسائل متنوعة بما فيها استصدار القوانين والأحكام التي تحد من ظهور القوى المجتمعية المناهضة لاحتكارات السلطة والرأسمال، بما في ذلك استهداف الأشخاص والتنظيمات (الخطر الكامن على حد تعبيرها) التي يمكنها أن تؤثر في المجتمع وتقوده مستقبلاً.

1- الحرب النفسية:

هي إحدى الدعائم الثلاثة للحرب الخاصة، بحيث تدعم الدعامتين الأخيرتين وتهيئ الأجواء لهما وتكملهما.

وعندما نبحث في التاريخ البشري نجد أن الحرب النفسية مورست منذ آلاف السنين ولكن لم تكن تسمى بالحرب النفسية، ولم تظهر أهميتها البالغة إلا عندما تشكلت دوائر الحرب الخاصة وتم استخدامها بشكل مكثف.

ويقصد بالحرب النفسية: العمليات المخططة الممنهجة التي تستهدف الحكومات والمنظمات والمجموعات والشخصيات، وتلقنهم المعلومات والدلائل اللازمة، للتأثير على مشاعرهم وغرائزهم ومواهبهم وتصرفاتهم، من أجل حملهم إلى الأوضاع التي يراد لهم؛ وبقول آخر: الحرب النفسية هي فن الاستيلاء على العقول. وهي كل ما يوجه للعدو ما عدا القوة المادية.

فهي صراع من أجل النفاذ إلى وعي المجتمع أو الشريحة المستهدفة (الخصم) من أجل التحكم بها وتوجيه مشاعرها وتفكيرها وممارساتها وهزيمتها من الداخل. فإذا تم اقتناع أحدهم بعدم جدوى ما يقوم به من عمل، فأنه سيتخلى عن ذلك العمل حتماً، وإذا تم اقتناع أحدهم بأن السبيل الذي يسير فيه لا يؤدي إلى الهدف المنشود، فأنه سيغير سبيله حتماً، فالجندي الغير المقتنع بالنصر سينهزم حتماً.

يقول هتلر: "إن أسلحتنا الاضطراب الذهني وتناقض المشاعر والحيرة والتردد والرعب الذي ندخله في قلوب الأعداء، فعندما يتخاذلون في الداخل ويقفون على حافة التمرد وتهددهم الفوضى الاجتماعية تحين الساعة لنفتك بهم بضربة واحدة".

معارك العالم الحاسمة تدور رحاها أولاً وأخيراً في العقل، وما يدور على أرض الواقع سوى تجسيد مادي لها.

فالجندي القتيل مجرد شخص ناقص، أما المنهار فهو محور الخوف الذي يستشري كالمرض بسهولة والقادر على نشر الوباء.

أهداف ومبادئ الحرب النفسية

- تحطيم الوحدة المجتمعية والنفسية، ببعثرة جهود القوى السياسية والسعي لتناحرها.
-التشكيك في سلامة وعدالة الهدف أو القضية.
-زعزعة الثقة بإحراز النصر وبقوة القوات المدافعة عن حقوق المجتمع.
-استغلال أية انكسارات بسيطة لدى القوات المدافعة في إضعاف عقيدته.
- تفتيت حلفاء الشعب وكسب المحايدين إلى جانبهم.

أدوات الحرب النفسية:

- الدعاية السياسية: بإيجاد معارضة (صورية) داخل صفوف الشعب، تعمل لغير صالح الشعب.
- محاربة الأيديولوجية: بتشويه الفكر وتحطيم التماسك النفسي، وتمزيق مكونات الشخصية، كما تفعل بعض الأحزاب القوموية عندما تصرح بأن أيدولوجية الأمة الديمقراطية لا تحمل في طياتها أي اعتراف بالحقوق القومية للشعوب، وبأنه فكر مستورد من الفكر الشيوعي الأممي.
-الشائعات: خلق بلبلة والتشكيك، كالتشكيك في قدرة المجتمع في إدارة ذاته، وبالحاجة الضرورية للتكنوقراط في إدارته.
-الاغتيالات: قتل قادة الرأي والميدان والسياسة.
- تشجيع التمرد: هلع، قلاقل، فتنة ...
-غسل الدماغ: لخلق شخصيات جديدة، تتوافق مع مصالح القوى المادية للشعب.
- استخدام النزاعات: العرقية والطائفية والعشائرية...
- استخدام المنظمات: بشرائها مالياً، عقائدياً...
- التجسس: معلومات، وتشهير...
- التزوير: للعملة والجوازات والهويات بغرض الإرباك.
- الضغط الاقتصادي: أو التلويح باستخدام العقوبات الاقتصادية.
- تعطيل وسائل الاتصالات: ضربها، تشويشها...

وسائل الحرب النفسية:

- الإنسان: من حيث كونه فرد في المجتمع مناصر أو معارض أو مذبذب أو محايد أو عميل يستخدم لنشر البلبلة وتحطيم المعنويات.
- استخدام المنظمات (السياسية والاجتماعية والغير الحكومية والجمعيات...).
- استخدام كافة وسائل الاتصالات (المؤتمرات، الدعوات، السفارات، الندوات، المقابلات، التلفاز، الإذاعة، المرئيات، الإنترنت، المعارضين...).
- استخدام القوة العسكرية أو المظاهر الحربية (كالاستعراضات العسكرية).

وأهم المقومات التي تصبح هدفاً للغزو النفسي هي الثقافة والأخلاق، من أجل التأثير على ذهنية المجتمع ودفعه إلى أوضاع تتلاءم مع توجهات القوة الغازية وإرضاخ الشعوب لإرادة الاستعمار طوعاً وليس بالقوة الفظة فقط، وبالتالي يتخلى المغلوب عن ثقافته وأخلاقه، ويقتدي بنمط ثقافة المحتل وأسلوب حياته، ويكون ذلك بداية النهاية.

وبالإمكان القول إن أول ضحايا الحرب النفسية في المجتمع البشري هي المرأة؛ فمنذ أن استطاع الرجل القوي الماكر ترسيخ سلطته على المجتمع بدأ بحربه النفسية على المرأة، إلى أن تمكن من بسط الهيمنة الذكورية على المجتمع عموماً، ومع فقدان المرأة لقدسيتها ومكانتها، يتم تحويلها إلى سلاح من أجل إسقاط المجتمع برمته.

وربما نحن اليوم بأمس الحاجة إلى فهم حقيقة الحرب النفسية وفهم دورها في خلق الظروف التي نعيشها؛ وذلك لأن الحركات التي تقاوم الرأسمالية وسلطتها وتدافع عن حرية المرأة وعن الطبيعة، وتنتهج نهجاً إيكولوجياً وأخلاقياً، غالباً ما تتهم بالإرهاب والتشدد، وربما تكون حركتنا المجتمعية التي تدعو لإدارة المجتمع نفسه بنفسه في قمة اللائحة اليوم.

فمشروع الأمة الديمقراطية المطروح يثير حافظة الكثيرين وتشحذ مخاوفهم. لذلك سيكون هذا المشروع المجتمعي هدفاً لمخططاتهم، وستحاول القوى الضلالية جاهدة أمثال داعش وأخواتها اختراق صفوفنا ومحاربتنا.

والسبب يكمن في أننا لا نهدف إلى إراقة الدماء والدمار بل نصبو إلى تغيير ذهنية المجتمع، وبناء الإنسان الحر وحكم الأخلاق، لا القوانين الرأسمالية، وهذا يهز عروش الطغاة؛ لذا لا غرابة في إن تتسلل بيادق الحرب الخاصة إلى صفوفنا

بشكل أو بآخر وهذا يتطلب منا جميعاً الحيطة والحذر. وكما قال الكاتب الروماني (فيجينيوس) إن من يريد أن يحقق السلام يجب أن يكون مستعداً للحرب.

2- العمليات الخاصة (الحرب الغير النظامية):

العمليات الخاصة هي العمليات العسكرية التي تعتبر "خاصة" (أي غير تقليدية)، وتقوم بتنفيذها وحدات قوات خاصة مخصصة لها.

وعادة ما يتم تنفيذ العمليات الخاصة بشكل مستقل أو بالتزامن مع العمليات العسكرية التقليدية. ويكمن الهدف الأساسي في تحقيق هدف سياسي أو عسكري حيث لا يوجد شرط تدخل القوة التقليدية أو قد يؤثر على النتائج الاستراتيجية الشاملة.

وكذلك تتم العمليات الخاصة بطريقة الشيء غير الظاهر، الذي يهدف إلى تحقيق الاستفادة من عنصر السرعة والمفاجأة والعنف من الإجراءات المتخذة ضد هدف لا يخامره أي شك في حدوث هجوم عليه.

ويتم تنفيذ العمليات الخارجية بعدد محدود من الأفراد المدربين تدريباً عالياً، والقادرين على العمل في جميع البيئات والاستفادة من الاعتماد على الذات والقادرين على التكيف بسهولة والتغلب على العقبات واستخدام المهارات القتالية والمعدات لتحقيق أهداف كاملة.

وتقوم العمليات الخاصة بتنفيذ عملياتها من خلال معلومات استخباراتية محددة أو مصممة. ومن هذه العمليات عملية خاصة قام بها فريق النخبة السادسة الأمريكي الذي قاد الهجمة على مجمع أسامة بن لادن مما أدى إلى مقتله.

إن العمليات الخاصة تشمل: الاستطلاع الخاص، المخابرات الحربية والحرب غير التقليدية وإجراءات مكافحة الإرهاب. وأحياناً ما ترتبط العمليات الخاصة بحرب غير تقليدية ومكافحة التمرد (العمليات ضد المتمردين) والعمليات ضد المقاتلين أو قوات غير نظامية والعمليات المنخفضة الحدة والدفاع الداخلي الأجنبي.

ويمكن تنفيذ العمليات الخاصة بواسطة قوات تقليدية ولكن غالباً ما يتم تنفيذها بواسطة قوات العمليات الخاصة، والتي تعد وحدات عسكرية على درجة عالية من التدريب وتستخدم معدات وأسلحة وتكتيكات خاصة. وأحياناً ما يُشار إليها باسم قوات "النخبة" والكوماندوس ومنفذي العمليات الخاصة، ووحدات مكافحة الإرهاب.

وهذه العمليات قد تحدث خلف خطوط العدو أثناء الحرب، أو عمليات نوعية تقوم بها وحدات فدائية من الجيش، وتعمل ضمن الجيش النظامي ومعه، للقيام بمهام خاصة يعجز الجيش النظامي القيام بها.

عسكرياً: تعمل هذه القوات على شكل خلايا سرية (أفراد وجماعات) بين المجتمع ومؤسسات الدول؛ وتقوم بعمليات عندما يطلب منها ذلك، كالتسرب والمداهمة والاغتيالات وما إلى ذلك، بالإضافة إلى العمليات الاستخبارية لجمع المعلومات.

وتتولى العمليات العسكرية في الداخل (في سوريا مثلاً) أجهزة من المخابرات العديدة المنتشرة في كل منطقة وناحية. بحيث أصبحت هذه الأجهزة قادرة على إحصاء أنفاس المواطنين في الداخل، ومتابعة كل المعارضين وأنشطتهم في الخارج. وبموجب مراقبتها الشديدة تعمد إلى اغتيال الشخصيات الوطنية وتعمل بدأب لخلق القلاقل والفتن لدفع أبناء المجتمع للاقتتال.

مدنياً: تقوم دائر الحرب الخاصة بتدريب وتأهيل أشخاص ومجموعات لاستخدامها عند الضرورة في عمليات وممارسات للتأثير على الرأي العام، وكقوة ضغط على القوى السياسية المختلفة بما فيها قوى السلطة.

يصرح قادة العمليات الخاصة أن الاستراتيجية الكبرى ينبغي أن تشمل "نهجهم غير المباشر" وهو ما يعني عمل الشركاء من غير أصحاب دوائر الحرب الخاصة (كتركيا مثلاً) لتحقيق أهدافها. حيث تقيم قوات العمليات الخاصة علاقات يمكن أن تستمر لعقود مع مجموعة من المجموعات: كالتدريب وتقديم المشورة وتنفيذ العمليات مع جيوش بلدان أخرى أو قوات الشرطة أو القبائل أو المليشيات أو غيرها من مجموعات توفير المعلومات.

هذه التنظيمات تكون على شكلين:

تنظيمات علنية وهي إما أحزاب سياسية قانونية يقودها أشخاص مرتبطون بإدارة الحرب الخاصة مباشرة، كحزب الحركة القومية في تركيا (MHP) أو حزب العمال (IP) وغيرها. أو جمعيات قانونية باسم الدراسات الاستشارية أو العلمية أو اختصاصات أخرى بهدف التحكم في الرأي العام وتوجيهه.

كما أن مهمتها التسرب إلى صفوف التنظيمات المعادية لها بهدف تحريفها، وإنشاء تنظيمات قانونية خاصة باسم الوطنية أو القومية لمحاربة التنظيمات الثورية أو الوطنية الحقيقية. وقد شوهدت أمثلة كثيرة على ذلك في السبعينيات عند ظهور

حركة التحرر الكردستانية، وكذلك في الثمانينيات عند بدء الكفاح المسلح. فلا زالت هذه الأساليب والوسائل سارية حتى يومنا.

أما في سوريا وفي ظل سلطة حزب البعث الوحيد الحاكم، فأن الشق المدني من الحرب الخاصة يتولاه حزب البعث بمنظماته وفروعه في كل المهام المدنية كالنقابات والجمعيات الدينية والجمعيات الاجتماعية، وبذلك استطاع حزب البعث تدجين جميع الأحزاب والتيارات المناوئة له بما فيها جميع أحزاب الجبهة التقدمية التي تشارك في الحكومة صورياً.

تنظيمات سرية تستخدم في التخلص من الشخصيات المؤثرة في المجتمع كاغتيال الشخصيات الوطنية في بدايات التسعينيات أمثال موسى عنتر ووداد آيدين في الشمال وأمثال القيادي في حزب الاتحاد الديمقراطي احمد حسين "ابو جودي" الذي فقد حياته في اقبية النظام البعثي السوري بمدينة الحسكة والشيخ معشوق الخزنوي وغيرهم.

أو في مواجهة حرب الكريلا العادلة، بهدف إبادتهم، من خلال نصب الكمائن على الطرق وممرات الكريلا، أو القيام بأنشطة منافية لأخلاق المجتمع كالسلب والنهب والاغتصاب، وإظهارها وكأن الكريلا هي التي ارتكبتها، وذلك بغرض تأليب المجتمع على أبناءه المدافعين عن حقوقه، وقد اتضح ذلك جلياً، عند كشف وثائق سرية في وسائل الإعلام، فكانت بعض هذه الوحدات ترتدي زي الكريلا وتقتل القرويين والأطفال وتلقي بمسؤوليتها على الكريلا، بهدف إظهار قوات الكريلا كمجرمين؛ وهذا ما فعلته الوحدات السورية في درعا عند بدء الثورة السلمية، حيث كانت تقتل المدنيين ومن ثم تصورهم مع أسلحةٍ يقوم شبيحة النظام بوضعها على جثثهم، لإظهارهم كإرهابيين.

وتستخدم هذه التنظيمات السرية أيضاً في توتير الأجواء تمهيداً للانقلابات العسكرية كما حدث في كل الانقلابات التي حدثت في تركيا أعوم 1960، 1971، 1980.

3- الانقلابات العسكرية:

هي الوسيلة الأخيرة التي تلجأ إليها قوى الهيمنة لإعادة الأمور إلى خطها الذي رسمته دوائر قوى الهيمنة لتلك الدولة أو ذلك البلد، عندما تشعر بأن الأمور ستخرج من سيطرتها، أو أن المجتمع المعني بات لا يقبل بالنظام القائم ويتطلع إلى التغير بوسائله وإمكانياته الذاتية. ويجري الانقلاب العسكري من قوة عسكرية مهيئة، جرى إعدادها مسبقاً، للقيام بمهمة وضع اليد على السلطة، والقيام بسن القوانين والقواعد التي تحددها قوى الهيمنة من أجل الاستمرار في النهج الذي ترسمه للمرحلة المقبلة.

الانقلاب العسكري يأتي بمثابة الغزو من الداخل، حيث تقوم زمرة عسكرية ومدنية سياسية من أبناء البلد أو الوطن المستهدف بوضع اليد على السلطة وإنهاء الحكم المدني الذي يقوده الساسة، لتقوم هذه الزمرة برسم سياسة جديدة ونهج جديد يتناسب مع توجهات تلك الزمرة، أو الجهة التي ترتبط بها وتدعمها. وكأمثلة على ذلك يمكننا ذكر سلسلة الانقلابات التي وقعت في سوريا ابتداء من عام 1949 التي كانت بيد القوى الخارجية بتواطؤ داخلي، بهدف السيطرة على سوريا وإلحاقها بأحلاف أو معسكرات معينة ضمن توازنات القوى الإقليمية، بما فيها الانقلاب العسكري الذي أوصل حزب البعث إلى السلطة عام 1963.

وكذلك الانقلاب في تشيلي الذي حدث ضد "سلفادور أليندي " الشيوعي الذي وصل إلى الحكم بأنتخابات ديموقراطية، ولم تحتمله شركات احتكارات النحاس وفي مقدمتها شركة "ltt" الأمريكية، فقامت بتنحية أليندي وأتت بـ "بينوشيه" بدلاً منه بانقلاب عسكري، لتسهيل الاستيلاء على النحاس التشيلي.

وكذلك العديد من الانقلابات العسكرية التي جرت في أرجاء العالم، سواء بدعم ومساندة الحلف الأطلسي والولايات المتحدة، أو بدعم ومساندة حلف وارسو ودول الاشتراكية المشيدة والاتحاد السوفييتي، مثل انقلاب تشيكوسلوفاكيا عام 1968 وانقلاب أفغانستان عام 1979 وانقلاب أثيوبيا 1978 وغيرها.

والانقلابات العسكرية في تركيا عام 1960 وعام1971 وعام 1980 حظيت بدعم ومساندة الحلف الأطلسي للحفاظ على مصالحه في المنطقة، وقام الانقلابيون بوضع دستور 1982 الفاشي الذي لم تتمكن أية حكومة من تغييره حتى الآن، ولا زالت بنوده تطبق من أجل كتم أنفاس اليسار والشعب الكردي وللجم حركة التحرر

الكردستانية التي بدأت تنتشر بين صفوف الشعب الكردي على أساس معاداتها قوى الهيمنة العالمية.

باختصار الانقلاب العسكري هو دعامة من دعائم الحرب الخاصة، وتستخدم فيه الدعامتان الأخريان، فخلق الفوضى يحتاج إلى عمليات خاصة تقوم بها وحدات خاصة متخصصة في عمليات التفجير والنسف والاغتيال وما شابهها من أجل توتير الأجواء، وإلى حرب نفسية تعتمد على الدعاية والتحريض ضد السلطة القائمة، ويهيئ الأجواء للسلطة القادمة. ولا بد من الدعم والسند الخارجي من أجل إنجاح الانقلاب وأجندة خارجية يلتزم بها الانقلابين للقيام بالمهمة التي جاؤوا من أجلها.

وهو الوسيلة الأرخص وربما الأسرع لتغيير سلطة ما أو نظام قائم في بلد ما، واستبداله بنظام جديد يخدم قوى الهيمنة.

ومن ثم يدعي قادة كل انقلاب عسكري أنهم قاموا بالثورة لإضفاء القدسية على ما قاموا به.

الحرب الخاصة في الشرق الأوسط

يعرف أن الشرق الأوسط هي مهد الحضارات وانبثاق الأديان وولادة الفلسفة على أيدي الأنبياء والرسل الذين سعوا إلى الإصلاح والوقوف في وجه الفراعنة والنماردة.

لقد رسمت الخارطة السياسية العالمية الجديدة، أثناء الحربين العالميتين، وفق مخططات الدول الإمبريالية؛ وكان للشرق الأوسط حصة الأسد من هذه المخططات، فقد رسمت حدودها السياسية بعناية، بما يكرس تبعيتها الاقتصادية والثقافية والعسكرية لعشرات السنين، وتحويلها لمستودع طاقة وغذاء، وذخيرة بشرية خاضعة لمصالحها ومستهلكة لمنتوجاتها.

ولتحقيق ذلك لجأت إلى اتخاذ مجموعة من الأساليب الخاصة لتحقق الوضع الآنف الذكر.

فاستخدمت بداية أسلوب الاستعمار المباشر، تحت غطاء أسماء متعددة كـ (الانتداب، الحماية، الوصاية...) والحجة هي دائماً خلاص الشعوب وتطويرها؛ بما أنها غير قادرة على إدارة ذاتها.

فقد أدركت الطبقة البورجوازية الإنكليزية ذات التوجهات الاستعمارية الناشئة حديثاً والأكثر تنظيماً إن اقتحام الشرق عموماً والأوسط خصوصاً ليس بالأمر السهل فأعتمد على أسلوب السيطرة على القلعة من الداخل وهذا تتطلب منها أرسال بعثات تبشيرية. جابوا أصقاع الشرق الأوسط ومجاهيل أفريقيا. فجمعوا معلومات قيمة عن الشعوب والأديان والمذاهب والقبائل والعشائر القاطنة في هذه البقعة الجغرافية الواسعة، وسميُّ فيما بعد بالمستشرقين ولم يكونوا سوى استخبارات لدى وزارة الخارجية البريطانية والفرنسية. وأصبحت تقاريرهم مرجعاً للتدخل الاستعماري في منطقة الشرق الأوسط. وما كان لورانس العرب في شبه الجزيرة العربية إلا واحداً منهم.

ولاستكمال كل من الدولتين الاستعماريتين فرنسا وبريطانيا سيطرتهما التامة على الشرق الأوسط عمدتا إلى خلق حروب خاصة ومستدامة، جعلت من الشرق الأوسط في دوامة لانهائية من الحروب والنزاعات والمشاكل والأحداث المتتابعة والفوضى العارمة.

إلا أن الاستعمار المباشر يتحتم عنه ضرورة دفع ضرائب باهظة، من المال والرجال، وبخاصة عندما شبت الثورات الشعبية التحررية مختلف أجزاء الشرق الأوسط، ولذا بدأت في تغيير نهجها، باستخدام أزلامها التي ربتهم أثناء احتلالها، وأيضاً بخلق أحزاب قوموية مرتبطة معها أيديولوجياً، واستخدامها في إثارة النعرات الأثنية والطائفية، لتفرز وضع مجهض ومشوه؛ بخلق كيانات ليس بمقدورها العيش إطلاقاً بدون أن تكون مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالإمبريالية العالمية، وكجزء عضوي من سياساتها الاقتصادية والعسكرية، مثل دول الخليج عامة، وكوضع خاص إيجاد دولة إسرائيل (مستغلين الوضع التاريخي للمجتمع اليهودي في المنطقة وميثولوجياتهم "أرض الميعاد").

ومن خلال تجاهل الحقائق التاريخية كحقيقة إمكان تعايش الشعوب سوية، جعلوا من دولة إسرائيل والقضية "الفلسطينية-الإسرائيلية" مفتاح الشرق الأوسط عموماً، ولكن ليس مفتاح حل، بل لسد الحلول، بجعل الحل يتمحور دوماً في إطار الدولة القومية (الحل على أساس إقامة دولتين) التي تسير وتقود مسيطرتاً الشعوب.

ولعل أبشع ما مورس بحق الشعوب الشرق الأوسطية هي الإبادة الثقافية التي تسعى إليها القوى المهيمنة عالمياً. حيث كرس الإعلام بشكل مباشر، وبتواطؤ من حكام الشرق الأوسط، على تشويه الحقائق وتزويرها، وكانت الغاية الأساسية من كافة البرامج والمسلسلات والأفلام التركيز على إنشاء جيل خانع غير مؤمن بشخصيته وغير معتدٍ بهويته الثقافية ومن ثم رسم طريق الخلاص، الملخص بزوج وعائلة ومسكن وسيارة والقليل من الحظ، وبقضاء وقدر محتوم على الجميع.

وقد كان درب ومفتاح الوصول إلى هذه الذهنية الخانعة برسم صورة سلبية للأم خاصة وللمرأة عموماً، وبموجب الدور الذي رسمته القوة المهيمنة بمساعدة القوى التبعية (الرجعية) ظهرت للمرأة الشرق أوسطية صورتان نمطيتان: صورة المرأة المتبرجة (المتحررة على حد قولهم) المبتذلة، الغانية، وبائعة الهوى والتي لا تقدر على بناء عائلة، وصورة المرأة المتحجبة المتسترة العفيفة (الطاهرة على حد قولهم) والتي يقتصر دورها في خدمة الأبناء بالحفاظ على ميراث السطوة الذكورية والخاضعة للزوج مهما كان باغياً.

ومن ثم يذهب الإعلام إلى رسم الفردوس المنشود على الأرض والمتمثل (بالغرب الأوربي) وسبيل الوصول لهذه الغاية المرتكز على الليبرالية الفردية كوسيلة وغاية قصوة لكل شاب وفتاة.

ولم يقتصر الأمر على التبعية الاقتصادية والثقافية وإنما تعدى إلى التبعية العسكرية؛ فأضحت الجيوش في الشرق الأوسط في خدمة الإمبريالية العالمية وتعمل كعضو في منظومة الهيمنة العالمية؛ فلم تنوجد لأجل الدفاع عن الشعوب بل كانت (ولازالت) وسيلة لقمع الشعوب، وهي جزء لا ينفصل من العسكرة العالمية.

ومثال ذلك الجيش التركي الذي يحارب الشعب الكردي ضد مطالبه في الحرية وحقوقه، وكذلك فعل نظام البعث السوري ضد الشعب السوري لخدمة طغمة أوليغارشية.

ويمكن أن نوجز السياسة الخاصة المتبعة في الشرق الأوسط بما يأتي:

- إشعال الفتن الطائفية والمذهبية لأحداث شرخ في بنية الشعوب الشرق الأوسط، كحرب العراق وإيران منذ السبعينات ومازال مستمراً. وما يحدث في اليمن من حرب ضروس بين السنة والحوثيين الشيعة.
- تقسيم الشرق الأوسط على أسس جغرافيا، بما يلائم مصالحها، دون مراعاة مشاعر ومصالح القوميات والأثنيات، فأصبح هذه الشعوب متداخلة الكرد، الفرس، البربر، الأزرين، العرب، الترك... إلخ واستخدامها كأدوات لتفجير الوضع حسب حاجات القوى الإمبريالية.
- منع أي تقدم تكنولوجي في الشرق الأوسط، ليبقى بحاجة إليها، وجعلها سوقاً للاستهلاك منتجاتها ولإتمام دورتها الاقتصادية.
- تكوين طبقات حاكمة في الشرق الأوسط مرتبطة بمصالحها وجعلها عائقاً في أحداث أي تغيير في بيئتها الفوقية.

الحرب الخاصة في تركيا

سواء كنت كردياً، أم عربياً، أم أرمنياً... بالنهاية أنت تركي، ويجب عليك أن تفتخر بأنك تركي. تلك هي الأيديولوجية التركية الرسمية تجاه الشعوب غير التركية في الأراضي المسماة زوراً "تركيا". فعلى الرغم من وجود أكثر من 23 مليون كردي، و7 ملايين عربي، وما يماثلهم من الأرمن والأبخازيين والألبان والآشوريين والبوسنيين والشركس والجورجيين و«هامشينيين»، و«لاز»، وبوماك (بلغار) والغجر، واليونانيين واليهود، إلا أن القَسَم التركي المعهود لغة واحدة وأمة واحدة وقومية واحدة، لا تزال تعرّض من يخالفه إلى القتل والتصفية، أو السجن مدى الحياة.

تستخدم تركيا المقولة التالية: "لا توجد أمة كردية، إنهم جميعا من الأتراك"، وتنكر كل ما يخالف ذلك. وهذا يعني أنها تنكر وجود الكرد. وبإعلانها أن جميع الكرد أتراك تريد أن تقول أن من غير الممكن "المطالبة بحقوق لأمة لا وجود لها". ولابد من التعليق ببضع كلمات على مسالة العنصرية، فالعنصرية التركية لا تشبه العنصرية التي وجدت في الولايات المتحدة والتي كانت موجودة في جنوب أفريقيا بأن يجري الفصل بين الأجناس على مستوى المحلة السكنية والمدارس والمقاهي أو على سواحل البحر، إذ أن للعنصرية التركية وجه آخر، فهي تستهدف تدمير الثقافة الكردية باستخدام عنف الدولة، وبأن تفرض على الكرد الثقافة التركية ولغتها. أنهم يريدون إنكار وجود اللغة والأمة الكردية، وهم يعتبرون جميع السكان أتراكا. إن العالم برمته لم يشهد نظيرا لهذا النوع من العنصرية، إنها أكثر تدميرا ورجعية من السياسة الرجعية المطبقة في جنوب أفريقيا، إنها عنصر ملازم للاستعمار التركي المطبق في كردستان.

تنطلق الحرب الخاصة التركية ضد الشعب الكردي وكذلك العربي من تلك المقولة التي ترفض وجود أي شخص آخر غير تركي على الرغم من العرق التركي نفسه يعتبر أقلية إذا ما تم إجراء إحصاء دقيق، وهي حرب مستمرة ومتجذرة في الذهنية التركية تتخللها بعض الخطوات التكتيكية لجذب الكرد أو العرب أثناء الانتخابات، كما فعل أردوغان مراراً عندما دغدغ مشاعر الكرد البسطاء بوجود كرد في البلاد، قبل الانتخابات البرلمانية، ليلتف بعد ذلك على اعترافاته ويبدأ بحملة تطهير

عرقية كبيرة أشارت لها المنظمات الحقوقية العالمية حيث واصلت آلة الحرب التركية في تهجير من لم يشمله عمليات القتل وخاصة في تسعينات القرن الماضي، وتشير الاحصائيات إلى تهجير سكان أكثر من 4 آلاف قرية كردية في باكور كردستان ونفي آخرين إلى الدول الأوروبية، لتستكمل تلك الآلة ما بدأت به ولكن هذه المرة في إفراغ المدن ومنها نصيبين وشرناخ وسلوبي وجزير في العام 2016، حيث سجلت الأمم المتحدة تهجير أكثر من نصف مليون كردي عن ديارهم في تلك المدن بناء على أوامر أمنية تركية واستناداً إلى مقاربات تتعلق بالعرق والخلفية السياسية.

يقول قائد الانقلاب في 1980 كنعان ايفرين أنه لا يوجد كرد في تركيا، وكلمة "كرد" هي مجرد أصوات لارتطام الحذاء التركي بالثلج، فتصدر صوت "كرت".! إلى هنا وصلت الأيديولوجية المقيتة للأنظمة التركية.

لقد جُرِّبَت وكانت ستُجَرَّبُ أساليب جديدة في حبكِ المؤامرات بغيةَ القضاء على الهوية الكردية في عهدِ القوة المهيمنة الجديدة تلك. ولأول مرة جرت بروفات ذلك علناً في أعوامِ التسعينيات تحت اسمِ "حزب الله في تركيا" (وهو الكيان الذي يُطلقُ عليه شعبُ كردستان تسميةَ حزب الكونترا). وعلى حدِّ القول الذي أدلى به علانيةً مؤسِّسُ "قوات الدرك والاستخبارات ومكافحة الإرهاب JİTEM" العقيد عارف دوغان، فحزبُ الكونترا كان كياناً شَكَّلوه هم بذاتِ أنفسهم. والكلُّ على علمٍ أنّ هذا الكيان لعب دوراً هاماً في قتل ما يناهز العشرة آلاف إنساناً تحت اسمِ "فاعل مجهول". وبعدَ هذه التجربة، جرى الانتقالُ إلى المرحلة الثانية من خلالِ AKP.

وبينما كانت نزعةُ الإسلامِ السُّنِّيِّ المعتدلِ النموذجَ التصفويَّ الأساسيَّ والوسيلةَ الأوليةَ لتطبيقِ ذلك النموذجِ الذي ارتآه AKP من أجلِ كردستان بمعيةِ حلفائِه (القوى الطرائقية والشركات القابضة المتحالفة معه، وبشكلٍ خاصٍّ الكيان المعروف باسمِ جماعة فتح الله غولان، بينما هو في حقيقتِه دولةٌ عميقةٌ شادَتها أمريكا ككونترا أخضر بدلاً من الكونترا الأسود القوموي المتطرف)؛ فإنّ البنيةَ التي ارتآها كقوةٍ مُحَرِّضةٍ جديدةٍ عوضاً عن حزب الكونترا، هي الكيانُ الذي نَنعتُه بكونِه ضرباً من ضروبِ "منظمة حماس الكردية". إنّ خطةَ التصفيةِ الجديدةَ لا تُهَمِّشُ كلياً الأسلوبَين الفاشيَّين التركيَّين الأبيضَ والأسودَ القديمَين، بل إنها ذاتُ ماهيةٍ مُتَمِّمةٍ بالأرجح، وتنهمكُ بإعادةِ ترتيبِ المجالاتِ التي فشلوا في التأثيرِ

عليها من جديد. وتعتمدُ على فصلِ تلك المجالاتِ إلى خمسةِ أو ستةِ أقسامٍ هي: اقتصادية، اجتماعية، ثقافية – نفسية، عسكرية، سياسية، ودبلوماسية بموجبِ "مكافحة إرهاب PKK وامتداده داخل المدن KCK"؛ وترتأي ترتيبَها بنحوٍ أكثر انتظاماً وتركيزاً. وقد عملَ AKP ولا يزالُ يعملُ على إدخالِ تلك الترتيباتِ قيدَ التنفيذِ بوتيرةٍ سريعة، وخاصةً عن طريقِ "اتفاقيةِ دولما بهجه" التي أبرمَها مع الهيئةِ القياديةِ الرسميةِ للجيشِ في 4 أيار 2007 (الاتفاقية التي توصلَ إليها رئيس الوزراء أردوغان مع رئيس هيئة أركان الجيش حينذاك يشار بيوكانت، والتي أَقَرّ فيها الاثنان عدمَ الإفشاءِ بها إلى الممات)، وكذلك من خلالِ "اتفاقيةِ واشنطن" التي أبرَمَها مع أمريكا في 5 تشرين الثاني 2007. وعملياتُ القصفِ الجويّ التي لَم يُرَ لها مثيلٌ من قبل، تشاطرُ الاستخباراتِ لحظياً مع أمريكا، التمشيطاتُ ضد KCK، إغلاقُ "حزب المجتمع الديمقراطي DTP"، مبادراتُ المجتمعِ المدنيّ البورجوازيّ الكرديّ الزائفة، الهجماتُ المستهدفةُ لفضائيةِ روج، التمشيطاتُ وحملاتُ الاعتقالِ الواسعةُ التي طالت الكردَ في البلدانِ الأوروبية، انتشارُ الشركاتِ القابضةِ في كافةِ المحافظاتِ الكردستانية، وإلحاقُ الأطفالِ بـ"المدارس الداخلية YİBO"؛ كلُّ ذلك وما شابهه من ممارساتٍ لأمثلةٍ بالغةِ الأهمية، إنما يَمدُّنا برؤوسِ خيطٍ لا يُستَهانُ بها بصددِ تلك الترتيباتِ الجديدة. في الحقيقة، لقد أُقحِمَ الواقعُ الكرديُّ والهويةُ الكرديةُ في وضعٍ باتَ فيه أمامَ حصارِ حربٍ خاصةٍ هي الأشملُ نطاقاً مما شهدَه في تاريخِه، حربٍ ممنهجةٍ ومدروسةٍ على كافةِ الأصعدة (اقتصادياً، ثقافياً، اجتماعياً، سياسياً، عسكرياً، دبلوماسياً، ورياضياً وما إلى ذلك). هذا ودارت المساعي لتقديمِ بعضِ الأمثلةِ المسماةِ بالانفتاحِ الديمقراطيّ (دورات تعليم اللغة الكردية، حرية الإعلام، فضائية TRT-6، توزيع الفحم والسلع البيضاء، وعُمِلَ على الترويجِ لها بدعاياتٍ واسعةٍ بغرضِ إخفاءِ حقيقةِ تلك الإبادةِ والتستر عليها. زِدْ على ذلك أيضاً استثماراتِ رأسِ المالِ في جنوبِ كردستان، والعلاقاتِ الدبلوماسية، والتحالفاتِ الثلاثية (التحالف العراقيّ – الأمريكيّ – التركيّ، والتحالف السوريّ – الإيرانيّ – التركيّ؛ أي إكمالُ الحصارِ الداخليّ بالحصارِ الخارجيّ). وهكذا يَكُونُ قد أُطلِقَ العنانُ في الحياةِ العمليةِ لحربٍ علنيةٍ وسرية، مكشوفةٍ ومستورة، حربٍ خاصةٍ ومُبيدةٍ تطالُ المجالاتِ الاجتماعيةَ برمتِها، وهي الأشمل نطاقاً في سياقِ التاريخ.

تبدأ أولى اجراءات الحرب الخاصة التركية بإنكار الهوية الكردية

الكرد في تركيا يستطيعون التمتع بالحريات العامة شريطة إنكارهم لهويتهم القومية. إذ لا يطبق على الكرد في هذا البلد مبدأ المساواة، وهو مبدأ أساسي من مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان ولحرية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية إلا إذا أنكروا هويتهم الكردية. ويتم ذلك، دون شك، عن طريق الإكراه. ويمارس هذا الإكراه في مراكز الجندرمة والشرطة ومراكز الحرس والسجون باستخدام الضغط والتعذيب. كما يتضح هذا الإكراه أيضا في وثائق الاتهام وفي قرارات الحكم الصادرة عن المحاكم. وتسخر الصحافة والإذاعة والتلفزيون التركي إلى جانب الإدارات الحكومية لكي تساهم في عمليات الإكراه هذه. وينطبق ذات الشيء على المؤسسات التعليمية والدينية.

وبإمكان الكردي الذي ينكر انتمائه القومي والذي يصبح تركيا، ويعلن أنه تركي وهو سعيد بذلك، أن يحصل على كل ما يريد. أي أن يصبح عاملا وحارسا وبرلمانيا وطالبا ورياضيا ونائبا وحاكما ورجل أعمال وجندي ومعلم ووزير أو أستاذ في الجامعة. أما إذا أصر هذا الشخص على أنه كردي ويطالب بحقوقه القومية فلا يمكنه أن يصبح شيئا. وليست أمامه سوى فرصة واحدة يستطيع الحصول عليها في تركيا: أن يصبح متهما وسجينا.

ويعني تنكر هذا الشخص لهويته القومية قبوله بالعبودية والاستلاب. والعبد ومن استلبت شخصيته كائن فزع وعدواني. فعلى من سيعتدي هذا الخانع للاضطهاد والإكراه الذي تمارسه السلطة الاستعمارية؟ إنه سيوجه عدوانه دون أدنى شك نحو أصدقائه وأسرته. ولكي يفعل ذلك سيستغل أي مبرر مهما كان تافها لكي يبلغ يغضبه ويبرر عدوانيته.

لقد تعرَّضَت الثقافة الكردية بكلِّ مكوّناتها المادية والمعنوية لإنكارٍ تامٍّ وحظر مطلق في هذه الفترة، وبُذِلَت الجهود لإتمامِ الإبادة الثقافية بممارسات الصهر اللامحدودة. ولَم تُتَحْ الفرصة أمام الكرد حتى لفتح "مدرسةٍ" واحدة فقط يُحيُون فيها وجودهم الثقافيّ. موضوع الحديث هنا هو تطبيق لا ندَّ له في كافة بقاع العالَم. حيث لَم يُشَرْ إلى جملة "الهويةِ الثقافية" في أيةِ مادة قانونية كانت. أي أنّ الثقافة

الكردية بكلِّ مقوماتِها (الآداب، التاريخ، الموسيقا، الرسم، العلم وما شابه)، اعتُبِرَت خارجة على القانون. وهذا أيضاً لا مثيل له بتاتاً على وجهِ البسيطة. فالعناصرُ المعنيةُ بالثقافة، والتي ينبغي تدميرُها وإفناؤُها، قد دُمِّرَت وأُفنِيَت؛ والتي يتوجبُ استخدامُها من بينِها، قد أُرفِقَت بثقافةِ الدولةِ القوميةِ البورجوازية، واعتُبِرَت ثقافةً تركية بعد صهرِها وتذويبِها. وبالإضافةِ إلى حظر اللغة الأم، حُظِرَت جميعُ أسماء القرى والمدن والمناطقِ التاريخية، وحُظِرَ اسمُ الوطنِ الأم؛ وأُقيمَت محلَّها الأسماء "التركيةُ البيضاء" باللغةِ التركية، وهكذا قُدِّرَ أنّه بذلك سيُقضى على وقائعِها أيضاً. هذا وأُدرجَت جميعُ أنماط التعبير عن الثقافة الكردية من آدابٍ وموسيقا ورسمٍ وتاريخٍ وعلوم في إطارِ الحظرِ عينِه. كما وذُهِبَ إلى أبعد من ذلك، ليُعلَنَ عن الناشطين في تلك الحقول على أنهم خارجون على القانون. بل وشُلَّ تأثيرُهم، وحُكِمَ عليهم بالتخبط في البطالة والفقر والحرمان. وفُرِضَ التخلي عن ثقافة كينونة الذات، ونُفِّذَ ذلك كشرطٍ لا بديل له من أجلِ الحياة. زدْ على ذلك استخدامُ الاقتصادِ والقانونِ والسياسةِ كأكثر الأسلحةِ فتكاً في التصفية، وخاصةً بعد مرحلةِ التمردِ والعصيان. وما بقيَ من تلك الممارسات، جثةٌ ثقافيةٌ كردية تخلَّت عن نفسِها، ومجردُ الاقترابِ منها سيسفرِ عن الابتلاءِ بلاءً حسناً. إنها جثةٌ تُستَهلَكُ كلما جُزِمَ بأمرِها. وبالطبع، فهي جثةٌ أَشبَهُ بتفسخ وتَحَلُّلِ العناصرِ المتبقية مما نَهَشَته غِربانُ الجيف! لقد شَهِدَت الظاهرةُ الثقافية الكردية سياقاً فظيعاً من التفسخِ والانحلال، ولا تزال.

ولا يتأخر القادة الأتراك والصحافة والجامعات التركية الذين يمارسون بحق الشعب الكردي سياسة الصهر العنصر والإبادة في استخدام تلك القيم والمفاهيم. فالسياسيون الأتراك ورجال الدولة والصحافة والجامعات التركية يترددون جميعا في استخدام هذه القيم والمفاهيم لاستنكار الاضطهاد العنصري الذي تتعرض له الأقلية التركية في بلغاريا. بل أن السياسيين الأتراك ورجال الصحافة وأساتذة الجامعات يرفعون شكاوى ضد اضطهاد الأتراك إلى المنظمات الدولية مستخدمين هذه القيم وتلك المفاهيم التي تدافع عن حقوق الإنسان.

إن الأمر إذن يتعلق بأخلاقية ذات وجهين في الأقوال والأفعال: أن يحتجوا من جهة وسيستنكروا سياسة الصهر العنصري والإبادة في بلغاريا، ويمارسون من جهة أخرى سياسة أخطر شأنا وأكثر انتظاما وبأسلحة أكثر فتكا ضد الكرد منذ

سنوات، وهم في عقر دارهم ووطنهم. إنهم يحتجون على سياسة الصهر العنصري للأتراك في بلغاريا، ويؤيدون ويصفقون لنفس هذه السياسة وللإرهاب الذي تمارسه الدولة والحكومات التركية ضد الشعب الكردي.

"كل الناس متساوون في تركيا، وكلهم يعاملون بنفس الطريقة دون تمييز حسب اللغة والعنصر"، تلك هي الأقوال التي غاليا ما يرددها رجال الدولة والسياسيون ويكررها أساتذة الجامعات والصحفيون والكتاب الأتراك. لكن تفسير هذه الأقوال يكشف عن أخلاقية ذات وجهين. فمقولة "أن الناس في تركيا أحرار في ممارسة شعائرهم الدينية ولا فرق بينهم" تفسر على الوجه التالي: المسيحيون في تركيا أحرار في ممارسة شعائرهم الدينية شأن المسلمين، ولليونانيين والأرمن كنائسهم ولليهود كنسيهم. وكل شخص حر في إقامة صلاته. لكن السماح بحرية العبادة يفترض أن يحصي أولا عدد الأديان ثم نتحدث عن المساواة فيما بينها. لكن التأكيد على أن كل الناس متساوون في تركيا، وألا حسب اللغة والعنصر، لا يفسر بهذا المعنى، إذ أن جميع الناس في تركيا أتراك وجميع الأتراك متساوون، ويصرون على عدم وجود فوارق بين الأتراك في اللغة، متجاهلين الفوارق بين اللغات، وتعددها في تركيا. وهذا ما لا يمكن أن يعني سوى أن المساواة لا تكون إلا بشرط الخضوع لعملية التتريك. وعندما يقال بأن لجميع الناس حقوقا متساوية في لغتهم يقصدون بذلك اللغة التركية. وبهذه الطريقة وحدها تكون العدالة مضمونة للجميع.

كما يقال بأن كل الذين يقبلون بالتتريك يكونون أتراكا. وقد تبدو هذه الفكرة لأول مرة تعبيرا عن التسامح. وبإمكاننا أن نفترض بأن الذين لا يشعرون بكونهم أتراكا، أي أولئك الذين يقولون بأنهم كرد، سيعاملون بطريقة تنطوي على المسامحة. لكن هذا الافتراض خطأ محض، إذ لا يوجد في تركيا مثل هذا التسامح. إذا أن جميع الناس مجبرون وفقا للإيديولوجية الرسمية على أن يكونوا أتراكا. ومن الممنوع أن يكون المرء كرديا. وعلى ذلك مات في الفترة ما بين 1981 و1984 في سجن ديار بكر وحده ما يزيد على 40 ثوريا كرديا تحت التعذيب لأنهم أصروا على إعلان هويتهم الكردية ورفضوا التلفظ بصوت عال: "أنا تركي وأنا سعيد لأن أكون تركيا" لقد ضحى هؤلاء الثوريون بحياتهم لكي ينقلوا رسالتهم إلى الرأي العام. وبكلمة أخرى، إن هؤلاء الثوريين إنما قدموا حياتهم ثمنا مقابل

التعبير عن رفضهم لإرهاب الدولة. ونعلم أن عدد الذين ضحوا بحياتهم حتى ينكروا هويتهم الكردية يتجاوز الأربعين بكثير.

اللغة الكردية ممنوعة:

كان أحد أهم نتائج منع اللغة الكردية في تركيا وأكثرها كارثية بحق الشعب الكردي هو التشكيك في هوية الشعب الكردي، من خلال ازدواجية الشخصية الثقافية تبعا لازدواجية اللغة المتحدث بها وبالنظر إلى انتشار اللغة التركية بين المثقفين الكرد واللغة الدارجة المليئة بالمفردات التركية بين العامة.

حيث لم يكن الكرد يتجرأون حتى على مجرد الكلام باللغة الكردية في ما بينهم خوفا من اتهامهم "بالنزعة القومية". ولم يكن بمقدورهم القول بصراحة أنهم كرد، وكانوا يبذلون جهداً كبيرا حتى يظهروا بمظهر أكثر المؤيدين إخلاصا للماركسية اللينينية، وجهدا إضافيا حتى لا يعكسوا خصائصهم القومية الكردية.

بدأت الدولة التركية حملة حملت اسم "تكلم التركية أيها المواطن" عام 1928 من جمعية طلاب كلية القانون في جامعة استنبول. وهدفت تلك الحملة جعل المواطنين، الذين ينتمون لأثنيات مختلفة غير التركية، يتكلمون التركية حتى فيما بينهم في الأماكن العامة: مثل وسائل النقل العام والمقاهي وحتى في الشارع. كانت هذه نتيجة للخطاب القومي للدولة ودعمت تلك الحملات من قبل الدولة. وهكذا كان على المكونات الأخرى غير التركية، التي كانت قد أجبرت على التكلم بالتركية في المباني الحكومية مع الموظفين الرسميين، أن تتخلى عن حقها في تكلم لغتها الام في حياتها اليومية.

وضع الكاتب الإنجليزي Harold Piner مسرحية بعنوان "لغة الجبال". وقال Piner أنه استلهم هذه المسرحية بعد تعرفه على حالة الكرد في تركيا (مجلة Tempo عدد 1، مايو/أيار 1989). موضوع المسرحية زيارة تقوم بها أم تجهل اللغة التركية إلى ابنها في أحد السجون. وأثناء حديثها مع ابنها يتدخل أحد حراس السجن ويقطع حديثهما بشراسة موجها كلامه إلى الأم: "لقد اختفت لغتكم، إنها ممنوعة، ولن يتكلم أحد من الآن فصاعدا لغة الجبال. عليك أن تتكلمي اللغة الرسمية للبلاد". وهكذا انقطع حديث الأم مع ابنها. وفي إحدى الزيارات اللاحقة

يهمس أحدهم في أذن الأم قائلا: يمكنك التحدث مع ابنك بلغة الجبال فقد سمحوا بذلك حتى إشعار آخر. وعندما يلتقيان يقول الابن لأمه: "الآن يمكننا التحدث بلغتنا.. لقد سمحوا بذلك" بيد أن الأم لم تنطق ببنت شفة رغم الحاح ابنها وتوسلاته إليها أن تتكلم، محاولة ترجمة غضبها وحقدها من خلال نظراتها. إن من الممكن تفسير مضمون الصمت والغضب كمرحلة نلاحظ خلالها أشياء معينة وفيها نزرع أولى بذور يقظة الوعي. كما أن نمو الوعي يدفع إلى الاحتجاج. لقد حاولت الأم التعبير عن احتجاجها بصمتها.

وثمة وسيلة أخرى استخدمها الكماليون لكي يحجبوا ما يفعلونه بالكرد، هي نعتهم بالعنصرية. أما الأساليب التي يمارسونها في تحريم اللغة والثقافة الكردية، وإجبار الكرد على تعلم اللغة والثقافة التركية وإخضاعهم لعملية الصهر والتتريك بطريقة مكثفة وتغيير أسماء الكرد وأسماء المواقع الكردية وتتريكها، وفرض غرامات على من يتكلم باللغة الكردية والقضاء على الكرد وعلى ثقافتهم القومية مثل ذلك من وجهة نظر الكماليين أساليب ثورية وديمقراطية. وعندما يطالب الكرد بحقوقهم القومية، وينظمون أنفسهم لتحقيق ذلك، فإنهم يسلكون مسلك الشوفينيين.

نتيجة طلب عضو اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الديمقراطي الشعبي (SHP) الذي يعد نفسه اشتراكياً ديمقراطياً، (فؤاد أطلاي) إصدار نسخة من برنامج الحزب باللغة الكردية، واعترافه بوجود هذه اللغة، أحيل إلى لجنة التحقيق الداخلية في الحزب وطرد من الهيئة المركزية، وتعرض إلى عدد من الإهانات عبر الصحافة البرجوازية مثل: "رجل لا حياء عنده"، "المطلب المقرف"، وهذا يبين ما يجعل الطغمة تعطي الإجازة، والموقع وهو بمثابة المثال الذي يظهر قوة تأثير أيديولوجية شوفينية للقومية الساحقة.

ولا تنتهي أشكال القمع وتطبيقاته في سبيل إزالة اللغة الكردية. وفي إحصاء السكان لسنة 1985، معروف جيداً ماذا جرى للذين كتبوا جانب خانة "اللغة الأم" كلمة الكردية، تعرضوا للملاحقة والاعتقال والتحقيق. (علماً أنه يوجد في بطاقة إحصاء السكان، ومقابل حقل اللغة الأم، اللغة الكردية بين الترجيحات المعتمدة، وهذا ما فجر ضجيجاً كبيراً، وسبب إلى فتح تحقيقات مع الموظفين حول هذا الموضوع) لو طرحنا قضية منع الأغاني الشعبية بسبب احتوائها على بعض الكلمات الكردية، سيظهر تلقائياً حجم القمع المنفذ.

حسب مفهوم القومية لدى الدولة التركية، فإنه كان يجب وضع تعريف (هوية) للأمة وهذا التعريف لا يعني فقط لغة واحدة بل أيضاً ثقافة واحدة وعادات واحدة وتاريخ واحد. وهكذا، وبالإضافة للتغيير في الممارسات اليومية للمجموعات القومية الأخرى، فإن الدولة تجاهلت أو أعادت كتابة تاريخ وعادات وثقافات تلك المكونات. حيث اعتبرت عاداتهم عنصر شديد الخطر. وقد تم الاعلان عن هذه الرؤية بشكل واضح في (خطة الاصلاح في الشرق). وقد أعدت الدولة تلك الخطة وأرسلت إلى المدن التي كانت يقطنها الكرد عام 1925 بعد ثورة الشيخ سعيد. وتقول المادة الثانية عشرة من الخطة : "يجب عدم النسيان أن الملابس والأغاني والرقصات واحتفالات الزواج وعادات وتقاليد المجتمع هي روابط تبقى الاحساس القومي متيقظا وتربط المجتمع بتاريخه. لذلك من الضروري السعي للبيان بأنه، وإلى جانب اللغات المحلية، هذه التقاليد شريرة وضارة .....وباختصار جعلهم تركاً". ولم يمر وقت طويل بعد توزيع هذه الوثيقة حتى بدأت الدولة السعي لتحقيق هدفها بـ "تتريك التقاليد". وكانت الخطوة الأولى في ذلك هي جمع هذه التقاليد، مثل الاغاني الفلكلورية وتحويرها إلى الثقافة واللغة التركية.

القضية الكردية ومشروع جنوب غربي الأناضول (GAP)

ترى الدولة التركية في تنفيذ مشروع جنوب غربي الأناضول تحولا سيؤدي إلى صهر سكان هذا الإقليم وإدماجه ببقية البلاد. وتتجه الجهود نحو تركيز عملية التحول في الشرق من خلال اجتذاب المقاولين الأوربيين وخفض الضرائب ومنح تسهيلات لاستيراد المكائن والمعدات. وتأمل الدولة في إدماج هذا الإقليم من خلال التنمية الاقتصادية واعتمادا على الفكرة القائلة: إنه متى ما تحققت التنمية التجارية والصناعية في هذا الإقليم فسيرتبط عضويا بغرب البد. وسيلعب توسيع نطاق التجارة وتنمية الصناعة دورا مهما في نشر اللغة التركية. إذ متى ما استطاع سكان هذا الإقليم إقامة علاقات تجارية وصناعية مع غرب البلاد سيضطرون آنذاك إلى تعلم ومن ثم استخدام اللغة التركية. فاللغة التركية لغة متطورة، أما اللغة الكردية فهي على العكس من ذلك، لغة بدائية تفتقر إلى هياكل تسمح لها بالتعبير عن الأنشطة ذات الصلة بالاقتصاد والتجارة والصناعة والشؤون المصرفية. ولهذا

السبب سينسى الكرد لغتهم تدريجيا. ونظرا لأن الكردية لغة بدائية سيؤدي ذلك إلى نسيانها بسهولة.
يضاف إلى ذلك، أن عملية الصهر هذه كانت قد توقفت في نهاية عقد الستينات بإنشاء الرابطات الثقافية الثورية للشرق. ومن الممكن تفسير ذلك على الوجه التالي: أن يعي المضطهدون في مرحلة معينة من حياتهم هويتهم الوطنية. ويحاولون معرفة لماذا لا يتحدثون بلغتهم الأم وكيف تتصرف الدولة والحكومة إزاء هذه المشكلة. ويبحثون في أسباب تحريم اللغة الكردية ولماذا يتعرض من يتحدى هذا التحريم إلى متابعة قضائية. إنه لمن غير المعقول القول أن أناسا قد بلغوا هذا المستوى من الوعي وعاشوا مثل هذا التجربة سوف يذوبون في بوتقة الصهر. ثمة عوامل كثيرة تحفز الناس وتدفعهم إلى التساؤل: منها تناقص نسبة الأمية والتأثير المتزايد لوسائل الإعلام مثل الإذاعة والتلفزيون والصحف والكتب والسينما، وتحسين البنية الأساسية للنقل نوعيا وكميا وتوسع نطاق لقاءات الناس في الأسواق والمقاهي والطرق والساحات العامة. ومن المؤكد أن المناهج الدراسية وبرامج الإذاعة والتلفزيون والسينما تساعد في التعجيل بعملية الصهر وتسهيلها. لكن وسائل الإعلام تلك تنقل أخبار الكفاح من أجل التحرر والعدالة والديمقراطية، وأن بطريقة مشوهة. وتظهر على الشاشة وفي الصحافة أفلام وصور تتعلق بمختلف جوانب أنشطة حركات التحرير في فيتنام وفي بلدان أمريكا الوسطى والجنوبية وفي جنوب أفريقيا وفي مختلف بلدان آسيا وأفريقيا وفي فلسطين وأفغانستان. وتتناقل وسائل الإعلام أنباء الأتراك في قبرص وبلغاريا وفي ثراس الغربية. وهذه الأنباء التي لا تتحدث مطلقا عن الكرد لكنها مع لك تحمل معان كثيرة بالنسبة لهم. إن كل ما يراه الكرد ويسمعونه ويقرأونه يفهمونه في إطار الأوضاع التي يعيشونها هم. إنه يتلمسون أخلاقية الحكومية ذات الوجهين ويدركون الظلم الذي يعاملون به. إذ هذا التطور في الوعي فيما يخص أصل الكرد ومكانتهم في إطار العلاقات الدولية إنما يتسارع بلا توقف.
وفي ذات الوقت تتطور الحركة الوطنية ويتوسع نطاقها من خلال مجابهة مزاعم الإيديولوجية الرسمية مثل "إنكم أتراك وأبناء أتراك، إنكم أتراك أقحاح" وسعيدون أولئك الذين يستطيعون تسمية أنفسهم أتراكا" و"إن قيمة التركي الواحد عالية شأن قيمة العالم برمته" و"أيها التركي كن فخورا واعمل وثق بنفسك".

التذويب القومي وتطبيقاته ضد الشعب الكردي:

تمتد سياسة التذويب القومي بإخضاع الشعب الكردي إلى "الإسكان" إلى عهد "السلطان الأحمر" عبد الحميد. يقول عبد الحميد معربا عن سياسته العنصرية: "من أجل تقوية العنصر التركي في (روملي) وفي الأناضول بشكل خاص يجب قبل كل شيء تشكيل الأكراد وجعلهم جزء منا" (المذكرات السياسية لعبد الحميد-منشورات دريا-ص 84). واستمرت سياسة التذويب القومي في زمن الاتحاد والترقي يقال عبر "قانون التهجير": "المادة 12. توزيع الأكراد إلى قوافل صغيرة، وإرسالها إلى مناطق مختلفة بحيث لا تتجاوز نسبة خمسة بالمائة من مجموع السكان في المناطق التي ستذهب إليها. ولن يعاد اللاجئين الأكراد إلى مناطقهم" وهذا واضح إلى حد عدم حاجته إلى تفسير.

كان هذا التطبيق أشمل بكثير في عهد الجمهورية. وتدخل النظام الكمالي من أجل تحطيم الديناميكيات الداخلية للكرد تحولت إلى مجزرة، وحرب إبادة متذرعة بالمقاومات التي حدثت. إضافة لقانون "الإسكان" المدعى تبديل الإقامة المحلية دون إذن ذو الرقم 679 لعام 1927، صدر في 14 حزيران 1934 قانون الإسكان برقم/2510 /. وثمة فائدة من نقل بعض مواد هذا القانون.

المادة التاسعة: "إسكان من هم مرتبطين بتركيا(...) ومن هم غير مرتبطين بالثقافة التركية من الرّحل بشكل غير جماعي في البلدان بحيث يعيشون في قرى ذات ثقافة تركية".

المادة الحادية عشرة: A"يمنع التجمع في القرى والأحياء لمن هم لا يمتلكون لغة أم (الدكتاتورية الكمالية هنا تضاهي الشوفينية باستخدام عبارة من ليس لهم لغة أم، إذ تطرح مفهوم إن اللغة الأم شيء لا يمتلكه سوى الأتراك)، كما يمنعون من إنشاء تجمعات فنية، ونشر فنهم على أبناء جنسهم.

المادة الحادية عشرة:B "ينقل من لا يرتبط بالثقافة التركية، ومن يتكلم لغة أخرى غير التركية على الرغم من كونه يرتبط بالثقافة التركية إلى مناطق أخرى على ألا يكون هذا النقل جماعي لأسباب ثقافية وعسكرية، واجتماعية، وانضباطية".

هل يوجد أكثر من هذا؟ لا يمكن شرح الحقيقة الكردية والتذويب القومي بشكل أوضح من هذا!.. قوانين "الإسكان" التي تبدأ من مرحلة عبد الحميد، وشرح الوجود الكردي بهذا الشكل، دليل على أن فرضيات النظريات التي تقدمها الأيديولوجية الرسمية بأن الكرد: "امتداد للأتراك" عبارة عن ديماغوجيات.

لقد عيش أكثر حالات اللاسكان الاضطراري للكرد منذ سنة 1940 حتى الآن في فترة 12 أيلول وتستمر اليوم بأقصى سرعتها. وبشكل مخطط "توزيع قرى الغابات" المثال الأكثر مادية لقضية تهجير الكرد. وأخذت قضية إجبار الكرد على ترك قراهم من التطبيقات اليومية المألوفة. ولقد تصعدت أبعاد الإجبار على ترك القرى حتى وصلت إلى حد فتح باب انتقادات بعض قطاعات القوى المسيطرة. هاكم مثالاً غدا موضوع الصحافة: "لقد اجبر سكان قرى أورمان بولو، تورجي، أورنيكس، غجك، ضاراكوي من محافظة ديرسم، وسكان قرى ناحية غنتش من محافظة بنغول بوضعهم أمام أحد خيارين: إما اصعدوا إلى الجبل، أو اتركوا قراكم" (من صحافة شهر آذار 1987). وثمة ضرورة إضافة تفريغ القرى الحدودية تحت اسم تكوين "الحزام الأمني" إلى هذه الممارسات.

الانقلابات العسكرية التركية في خدمة الحرب الخاصة ضد الشعب الكردي:

كان الموضوع الأهم على جدول أعمال الانقلابات العسكرية التركية، هو الصهر والتتريك. ما هي الأبجدية التي يتوجب اختيارها لكي تسهل على الأطفال تعلم اللغة التركية؟ ما هو نمط التعليم والسياسة التي يتوجب علينا تطبيقها حتى نتمكن من تعليم اللغة التركية لجميع السكان وجعلهم ينسون الكردية؟ وما هو نمط السلوك الذي يتوجب علينا إتباعه حتى نتمكن من تدمير الهوية الكردية، ولكي نجعل كل كردي يقول بأعلى صوته "إنني تركي وأنا سعيد بذلك". لقد كان هذا الموضوع يشكل النقاط الحارة للمناقشات خلال فترات الانقلابات العسكرية. ولاشك في أن مناقشة هذا الموضوع اكتسبت في فترات معينة، ومن انقلاب إلى آخر، خصوصية معينة. ففي 1960، على سبيل المثال، نوقش هذا الموضوع بطريقة اتسمت بقدر أكبر من الحدة والحماس. إذ كانت تجري مناقشات طويلة وتتناول جميع جوانب الصهر والتتريك في الصحافة وفي الجامعات وفي اتحادات الطلاب.

وفي 1960، أعيد طبع كتاب محمد شريف فرات "المقاطعات الشرقية وتاريخ منطقة وارتو" ونشره على نطاق واسع. وهذا الكتاب من المؤلفات الرئيسية التي

تدعي بعدم وجود الكرد، وإنهم من أصل تركي، كما لا توجد لغة كردية، وإنما هي لهجة إقليمية من لهجات اللغة التركية.
وضع المؤلف هذا الكتاب عام 1948، ونشرته وزارة الثقافة عام 1960 مع مقدمة بقلم الجنرال كمال كورسيل، رئيس مجلس الأمن القومي ورئيس الدولة التركية آنذاك. وقد وزع الكتاب مجانا على نطاق واسع على الجمهور وعلى أساتذة الجامعات واتحادات الطلاب، وأرسل إلى الصحف والمجلات وأغرقت به مكتبات المدارس والثكنات العسكرية والبيوت الجامعية ... الخ.
وفي نفس هذه الفترة، كان بالإمكان قراءة عددا كبيرا من المقالات التي تنشرها الصحف ومفادها أن الكرد من أصل تركي. وبذل اللغويون جهودا كبيرة للبرهنة على أن الكردية هي لهجة من لهجات اللغة التركية. وبذل موظفو الجامعات وأساتذتها جهودا كبيرة لتنظيم مؤتمرات وندوات واجتماعات جماهيرية حول هذا الموضوع.
وينبغي أن يقال أن جميع هذه الجهود حظيت في بداية عقد الستينات، كما نتذكر بقبول واسع النطاق. فعندما تمت "البرهنة" على أن الكرد هم أتراك ولا توجد لغة كردية، اعتبر الناس ذلك بمثابة أقصى تغير ثوري ممكن ومن أكثر الأفكار تقدمية على الإطلاق، في حين وصفت بالرجعية عقيدة الحركة التحريرية الكردية وكذلك القول "إنني كردي" أو "أن الكردية لغة مستقلة". وعاد الاعتقاد في أن الشيوخ وملاك الأراضي ورؤساء العشائر هم الذين يقفون وراء هذه الأحداث. وقد استوجبت البرهنة على أن الكرد أتراك أن يقوم الأتراك بواجبهم الوطني في إفهام الكرد ذلك. وفي هذا الصدد، لعب معلمو المدارس ذوي الاتجاهات الديمقراطية والثورية الذين تم تعيينهم في مدارس الشرق ولاسيما معلمو اللغة التركية دورا رئيسيا.
كان المدعون العامون العسكريون قد توسعوا في عرض وجهات نظرهم الرسمية في قرارات الاتهام التي أصدروها بعد انقلاب 1980/9/12، من أن الكرد أتراك وأن اللغة الكردية ليست لغة رسمية. كما أكدوا على أن رفض وجهة النظر هذه والقول بعكسها يشكل جريمة يعاقب عليها القانون. وصدرت فعلا عن المحاكم أحكاما تمتثل لأوامر المدعي العام العسكري. وأيدت محاكم التمييز بدورها تلك الأحكام. وعلى صعيد الصحافة، بدأ نشر مقالات حول الصهر والتتريك، كما

نظمت مؤتمرات لهذا الغرض. بيد أن هذه الأنشطة لم تكن على درجة من الشمول والحماس كما كانت في عقد الستينات. فقد اقتصرت على الصحافة بالدرجة الأولى. وتركز التوزيع المجاني للكتب والمطبوعات الأخرى التي تصدر بدعم مالي من الدولة على المدارس والمكتبات العامة في المدن الكبيرة ومدن المقاطعات وقراها ولاسيما في الأقاليم الكردية. وبعد انقلاب 1971/3/12، كان بإمكاننا ملاحظة تطور مهم جدا يتعلق بهذا الموضوع ألا وهو إقدام المعتقلين على توجيه انتقادات بأسلوب منطقي لوجهات نظر المدعي العام العسكري. فقد دافعوا عن أنفسهم بطريقة حازمة ومنتظمة ضد ما اعتبره العسكريون جريمة يعاقب عليها القانون.

وشملت الوسائل الرئيسية التي استخدمت في الترويج لسياسة الصهر والتتريك الإذاعة والصحافة ومحطات التلفزيون والمراكز التعليمية. بل هم استخدموا جميع الوسائل التي يمكن تصورها لزيادة تأثير المدارس التي تعلم باللغة التركية في كردستان. وكانوا قد شرعوا منذ بداية الستينات في إنشاء "المدارس الداخلية" في بعض مدن كردستان. ولم يكن الهدف الرئيسي من وراء إنشاء هذه المدارس سوى الصهر والتتريك. وتقضي هذه السياسة بأخذ الأطفال من أسرهم متى بلغوا سن الدراسة وإدخالهم في تلك المدارس وعزلهم عن أسرهم وقريتهم ومحيطهم. وكانت الدولة التركية تعتبر تلك المدارس الداخلية أداة ملائمة جدا لتحقيق عملية الصهر والتتريك. وكان هؤلاء الأطفال يتعرضون لتأثير الايديولوجية التركية أينما كانوا سواء خارج قاعات الدراسة وفي أماكن نومهم وفي فترات تناول طعامهم. كما كانت إدارة المدرسة تخضع هؤلاء الأطفال لرقابة شديدة وتلقنهم مبادئ الايديولوجية الرسمية طول فترة وجودهم في المدرسة. لقد اعتقدوا أن عزل الأطفال وانتزاعهم من أسرهم من ومحيطهم خير طريقة لتتريكهم.

ومن هذه الزاوية تماثل هذه المدارس نظيرتها التي أنشئت إبان العهد العثماني ومنها مدارس تخريج العسكريين والموظفين، ومراكز تكوين الانكشارية، حيث كانت السلطات تنتزع ولاسيما في إقليم البلقان، الأطفال المسيحيين من أسرهم، وتنقلهم إلى مدارس القصر. وبهذه الطريقة استطاعوا خلق مسلمين وأتراك. ولاشك في أن صلات هؤلاء الأطفال بأسرهم انقطعت في ما بعد بصفة نهائية.

وفي "المدارس الداخلية" يعتبر عزل الأطفال الكرد عن أسرهم من بين أساليب العمل الرئيسية. إذ متى تم تسجيل أي طفل في هذه المدرسة، لا يعرف سوى مدير المدرسة نفسه اسم أبيه ومن أي قرية جاء إلى جانب معلومات أخرى عن أصله. ولا يتمكن الأطفال من الحصول على أية معلومات عن آباء رفاقهم في الصف. ويمنع عليهم الحديث عن آبائهم وأسرهم وأصدقائهم. ولا يسمح إلا للأب بزيارة ابنه، ومن الممنوع عليه سؤال ابنه عن أصدقائه في المدرسة. وهكذا، قد لا يعلم تلميذ ما إلا بعد خمس سنوات أي بعد تركه الدراسة أن أحد الأطفال الذي ارتبط بصداقة حميمة معه كان من أقربائه أيضا. وهدف هذا العزل الحيلولة دون ارتباط أعضاء الأسرة الواحدة وأبناء القرية أو العشيرة بعضهم ببعض. وكانوا يعتقدون أن هذه العلاقات تؤدي إلى إبطاء عملية نسيان اللغة الكردية إن لم تجعلها مستحيلة. وقد أدركوا أن هذه العلاقات هي التي تحافظ على نمط الحياة الكردية، وتمثل عائقا بوجه تأثيرات الايديولوجية الرسمية.

وفي هذه "المدارس الداخلية" يخضع الأطفال لنظام صارم. وفي الفترتين التي أعقبتا انقلابي 1971/3/12 و1980/9/12، يمكننا ملاحظة أن العسكريين أو العسكريين المتقاعدين قد حلوا محل مدراء تلك المدارس. كما نلاحظ أن مناهج التعليم تماثل إلى حد كبير مناهج التعليم في المدارس العسكرية.

ومنذ انقلاب 1980/9/12، قفز موضوع الصهر والتتريك مرة أخرى إلى جدول أعمال الانقلابيين. لكن التنفيذ اقتصر على محاولات لإصدار كتب ومطبوعات لبلوغ هذا الهدف. فلماذا لم يناقشوا هذا الموضوع بحيوية كما كانوا يفعلون!!. ولماذا لم تعد الصحف تكتب عنه بكثرة كما كانت تفعل سابقا؟ ولماذا توقفت الجامعات عن تنظيم مؤتمرات وندوات عن هذا الموضوع؟ وما هي الأسباب التي دعت إلى عدم مناقشة موضوع الصهر والتتريك على نطاق واسع؟ إن الإجابة على كل هذه الأسئلة سهلة: لم يكن يريدوا أن تعود هذه المسألة إلى ذاكرة الرأي العام. وذلك يعزى إلى أن عدد الذين تداولوا في المسألة الكردية وناقشوا مختلف جوانبها قد ارتفع.

وازداد عدد الذين نادوا بالحل الديمقراطي للمسألة الكردية يوما بعد يوم. وأصبحت الايديولوجية الرسمية الهدف الذي توجه نحوه جميع الانتقادات. فقد أخذ الناس يسخرون من الذين ينكرون وجود قضية كردية. وبظل مثل هذه الظروف، لم تعد

تؤدي أية مناقشة عامة تجريها الصحافة، على سبيل المثال، حول موضوع أساليب الصهر والتتريك والمطالبة العلنية بضرورة تحقيق هذا الهدف إلا إلى زيادة وعي الرأي العام. وينتقد جزء مهم من الرأي العام طريقة تصرف الايديولوجية الرسمية وما تتخذه من إجراءات. وهذا هو السبب الذي من أجله لا تناقش مسألة الصهر والتتريك إلا في إطار مجموعات صغيرة من الخبراء الذين يقررون الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الهدف. وفي مقابل ذلك، تكتفي الدولة بزيادة عدد البرامج الإذاعية والتلفزيونية الموجهة لهذا الغرض إلى جانب زيادة تأثيرات "المدارس الداخلية".

وعلى الرغم من كل ذلك، فإن مؤسسات مثل "معهد بحوث الثقافة التركية" و"منظمة الصحافة الأناضولية" مازالت تمارس ضغوطا على الرأي العام بإصرارها على أن الكرد هم في نهاية الأمر أتراك، وأن اللغة الكردية ليست لغة مستقلة، وإنما هي لهجة تركية. وتسعى هاتان المؤسستان بمساعدة السلطات المحلية وثكنات الجيش والجامعات ولاسيما في المدن الكردية إلى عقد اجتماعات "علمية"، وتبذل جهودا مكثفة على صعيد العلاقات العامة لتحقيق هذا الهدف.

والأمل معقود على أن تحقق حملات محو الأمية في الشرق التي بدأت في جميع أرجاء البلاد بعد انقلاب 1980/9/12 ذات النتيجة.

أساليب الحرب الخاصة التركية في سرقة الثقافة الكردية

المطربون والمطربات

ومن السياسات المهمة للايديولوجية الرسمية التركية تدمير الثقافة الكردية. ولبلوغ هذا الهدف تتبع الأسلوب التالي: تعمد أولا إلى الحصول على الأغاني الشعبية الكردية بصيغها الأصلية. ويتولى تنفيذ هذه المهمة مجموعة من الخبراء في الموسيقى والأدب الشعبي والفولكلوري إلى جانب عدد من ضباط الجيش. ثم تترجم نصوص تلك الأغاني إلى اللغة التركية وتضاف تعديلات على مضمونها. كما تكيف ألحانها لتنسجم مع الموسيقى التركية. ويستمر إدخال التعديلات على الأغنية الكردية الشعبية فترة معينة. وخلال هذه الفترة يلعب خبراء أتراك في الأغاني الشعبية من أمثال Mehmet Ozbek دورا كبيرا في هذه العملية. وبعد

ذلك، تذاع الأغنية بحلتها الجديدة وتعرض على شاشة التلفزيون. ويختار الخبراء مطربين من أصل كردي لأداء هذه الأغاني من أمثال: Celal Guzelses, Muzzzez Turung, Ibrahim Tatlises, Izzet Altinmese, Selahattin Al-pay, Husamettin Subasi, Bedri Ayseli, Kucuk Emrah, Burhan Cacan, Celal Yarici, Hulya Suer, Ali Riza Gundogdu, Nuray Hafiftas، ..الخ. ولأداء هذه الأغاني بصوت مطربين من أصل كردي مزيتان: إذ من المعتقد أن للكرد صوتاً ملائماً لأداء الأغاني الشعبية الكردية، ثم أن أداء هؤلاء المطربين لأغنية كردية الأصل بلغة تركية يلعب دورا مهما في دعم جهود تتريك الكرد.

في تموز 1926 كانت هناك رحلات في جميع أرجاء البلاد بقيادة مدير "مؤسسة دارو ألهان" للموسيقى التركية" يوسف زيا بي. كان الهدف من تلك الجولات تسجيل كل الأغاني الفولوكلورية وترجمتها إلى اللغة السائدة في حينه. اعتقد الناس اصحاب الشأن الذين بدأوا بالتأسيس لفكرة تركيا الجديدة بأن كل شيء يجب أن يترجم للتركية وأن ذلك هو الطريقة الوحيدة لتحقيق الوحدة والتماسك.....الجولة الثانية قام بها أساتذة كونسرفتوار أنقرة الحكومي الذي كان تحت إشراف المكتب المركزي للفنون الجميلة لدى وزير التعليم القومي. استغرقت تلك الجولة شهرين وتمت تحت قيادة أولفي جميل أركين. وكان لأركين مساعدان. أحدهما هو مظفر سارسزن الذي كان في اصله ينتمي لديار بكر، والآخر كان عارف أتكين. بينما كان اتكين منشغلاً بشكل رئيسي بالتسجيل ، فإن سارسزن أخذ الاغاني الكردية وأعاد تفسيرها(تحويرها). ((Bülbül, 3][2011].

بعد الجولة الأولى كانت هناك 250 أغنية فولوكلورية كردية قد جمعت من قبل الدولة. واستمرت تلك الجولات في السنوات التالية من عمر الجمهورية التركية (Bülbül,2011). في السبعينات [من القرن العشرين] أرسلت فرق من الراديو والتلفزيون الحكومي TRT للشرق لجمع أغاني فولوكلورية اكثر لكي تترجم. وأكثرية الموسيقيين الذين أرسلوا للشرق كانوا من الكرد. ومن بينهم الفنان نظام الدين آرنج(فقه تيران –المترجم) الذي عمل في TRT في ذلك الوقت لكن اختار لاحقا الغناء بلغته الام وذهب للخارج، ويقول عن تلك الأيام :

"عندما بدأنا بتحضير البرنامج في TRT في أواسط السبعينات، أخبرنا، أعني الموسيقيين الكرد مثلي، أن نجلب الاغاني الفلكلورية من المناطق التي انحدرنا منها.....أرادوا منا أن نجلب الاغاني الكردية من وطننا الام، وأن نلغي كلماتها الاصلية، ونعيد كتابة كلمات جديدة تركية لها مع الاحتفاظ بالموسيقى الكردية، بحيث لا يبقى لها علاقة بالأصل، ونقدمها في TRT. وجعلونا نعد برامج، وأتاحوا لنا كل الفرص في TRT لتقديم تلك "الأغاني الفلكلورية التركية" الجديدة التي فبركناها".

والذي يحدث هنا للأغنية الشعبية الكردية يعادل عملية تصدير للإمبريالية الثقافية نحو كردستان. وبإمكاننا أيضا أن ننعت ذلك بنوع من النهب للتراث الثقافي للشعب الكردي. ونذكر على سبيل المثال، أن الخبير التركي الشهير بالأغاني الشعبية Mehmet Ozbek تلقى جائزة على تأليفه لأغنية " Beyaz Gul, Kiraizi Gul" التي اعتبرت "الأغنية الشعبية التركية للعام"، ولم تكن هذه الأغنية في الواقع سوى أغنية شعبية كردية، سبق أن سجلها على اسطوانة المطرب والشاعر تحسين طه. وغالبا ما تذيعها إذاعة بغداد. أما العنوان الكردي لهذه الأغنية الشعبية فهو (Rabe Cotyar de hilo Rabe). والنص الكردي لهذه الأغنية ممنوع في تركيا. ويقدم النص التركي على أنه "قطعة من الموسيقى التركية". وبعد: أليس هذا مثال واضح على السرقة!!؟

وفي عددها 15 للفترة 9-1989/4/15 اتخذت مجلة Tempo هذا الموضوع عنوانا رئيسيا، إذ نشرت المانشيت التالي: "لغة ممنوعة وموسيقى مباحة: أغنيات كردية والكلمات تركية (ص 24-30).

ويبدو أن الأغنية الشعبية رائجة اليوم في تركيا: فقد لحنت أغنية " Behceye Gel ki Gorem" ليغنيها المطرب التركي Celal Guzelses. وقدمت على أنها قطعة من "الموسيقى الشعبية التركية". أما واقع الحال فيشير إلى أنها نسخة معدلة لأغنية شعبية كردية بعنوان "De Rabe Gula Bicinin" التي كان يغنيها الفنان الكردي الشهير عارف جزراوي من إذاعة بغداد. ومازال عدد من المطربين والمطربات الأتراك يغنون هذه الأغنية على أنها جزء من "الغناء الشعبي التركي" ومن أمثال هؤلاء Izzet Altinmese وHulya Suer وSelahattin Alpay وIbrahim Tatlises.

ويقول الفنان التركي Selahattim Alpay أنه على الرغم من أنه لا يتكلم الكردية إلا أنه يعرف أن أغنية "Hamayli Boynundadir" وأغنية "Diyarbakir Duzdedir" وأغنية "Hele yar, Zalim Yar" وأغنية "Altin Yuzugum Kirildi Hey" هي من بين الأغاني الشعبية في كردستان. ويقول Celal Yarici أن أغنية "Vur Davulcu" هي بدورها أغنية شعبية كردية. (مجلة Tempo العدد أعلاه، ص 27-28).

كما نشرت مجلة Tempo المذكورة أعلاه قائمة بالأغاني الشعبية الكردية التي تقدم باعتبارها من "الموسيقى الشعبية التركية". وحملت تلك القائمة العنوان التالي: نماذج شهيرة من أغاني الكردبيسك (ذات الأصل الكردي) وهي:

الأغنية الكردية - الأغنية التركية

(Yek Mumik =Bir Mumdur (B. Ayseli, I. Tatlises -

Le Dotmam (Mihemed Sexo) =Ben Yetim (I. Tatlises, K. - (Emrah

(Gule Rabe Sibe ye= Gule Uyan Sabahtir (Atakan Celik -

Oy Ferad Ferad (Sivan) =Oy Firat Firat (Izzet - (Altinmese

Ez Kevok im le le (Hesen Cizrawi)=Hele yar, Zalim yar - ((S. Alpay, I. Altinmese

(Wele Govend Ranabe= Can Mercan (Burhan Cacan -

Diyarbekir Peytext e (Seide Hemo)= Ben de Gidem - (Paytahta (I. Alinmese

Gulizr Derde Min Yek Bu, Buye Sed Hezar= Gulizar - ((Izzet Altinmese

(Dayika Min=Maden Dagi Dumandir (I. Altinmese -

(nimoَEndiwere Peytext e= Mardin Kapi Sen Olur (an -

Hat Kerwane Merdine (Fexri Bamime) =Mektebin - (Bacalari (Muazzez Turung

- Sallama Salmamak Mece Ber Ave - أغنية شعبية كردية وتركية

(Le Naze Le Nazliye=Le Naze (Izzet Altinmese -
Reka Midyade Kas e=Karanfil Eker misin? (Celal -
(Guzelses
Ber Cem Ber Cem Dicime=Esmerim Bicim Bicim (Zeki -
(Muren, Bulent Ersoy, Emel Sayin, Izzet Altinmese
Cotyar (Tehsin Taha)=Beyaz Gul Kirmizi Gul (Ibrahim -
Tatlises, Husamettin Subasi, Ali Riza Gundogdu, Hulya
(Suer, Nuray Hafiftas
(nimoَLe le Xane=Hayde Hane Goreyim Seni (an -
Hey Hey Gidiye Heyranoke (Sivan)=Hey Hey Gidiye -
(Guzel Yar (A. Kaya
Evar e, Evar e, Rabe Narine=Ay Dogdu suya Dustu -
(Narine(C.Yarici
(Sineme=Zap Suyu (Celal Yarici -

من دواعي تلذذ بعض الكتاب العنصريين والاستعماريين من أمثال Coskun Kirca الإشارة إلى أن الكردية لغة بدائية جدا ينبغي أن تختفي كليا من على سطح الأرض، الأمر الذي يخدم الإنسانية ولاسيما الكرد. وتراهم يعيدون ذلك مرارا وتكرارا (Coskun Kirca: “Bayn Mitterand”, Milliyet, 3/5/1989; “Olacak Gibi Degil”, Milliyet, 5/6/1989; “Maksatlari Ne?”, Milliyet, 21/8/1989).

وهنا ينبغي علينا أن نسترعي الانتباه إلى الآلية التالية: إنهم يسرقون أولا ثمار الفن الشعبي الكردي والموسيقى الكردية ... الخ ثم يعرضون المسروقات على أنها من "الفولكلور والموسيقى التركية" وبعدها يحرمون الفولكلور والموسيقى الكردية. ويعلنون دونما ذكر لإسمها أنها "لغة بدائية ينبغي أن تختفي كليا..".

ولننظر ما الذي سيبقى في حوزة الإذاعة التركية والتلفزيون التي إذا ما جردناهما من الأغاني الشعبية ذات الأصل الكردي!

وعندما ينتقد أحدهم هذه الأفكار ويقدم شكوى ضد هذه الأعمال العنصرية تتخذ بحقه هو إجراءات عقابية بدعوى: "إهانة الأمة والدولة" و"إهانة الشخصيات المثالية للأمة وللدولة".

إثر صدور رواية مم وزين، للأديب الكردي أحمدي خاني وترجمها للعربية العلامة المرحوم محمد سعيد رمضان البوطي ظهر في الأسواق كتاب باللغة التركية بذات العنوان مع تحريف بسيط (مموزين)، يحمل اسم مؤلف يدعى أحمد فايق. ويؤكد الكاتب هذا أن مموزين جزء من التراث التركي القديم (انظر Sirri Dadas Bilge, Istanbul, 1969, P. VII). وأن حوادث الرواية جرت في منطقة الجزيرة، ولم يتطرق الكتاب إلى أحمدي خاني. واستشهد بمؤرخ تركي Fahrettin Kirzioglu وكتب: من المعتقد أن عشائر تركية يقال لها بوتان قد عاشت في عصر داريوس في منطقة الجزيرة. وقد أطلق اسم هذه العشائر على الضفة الشرقية من نهر دجلة (ص 7).

لكن هذا الكتاب سرعان ما اختفى من الأسواق. واعتقد أن المخابرات التركية كانت وراء نشره واختفائه. وهذا مثال يعكس جوانب الإمبريالية الثقافية التي تمارسها الدولة التركية إزاء كردستان.

استغلال الدين كأداة للحرب الخاصة التركية ضد الشعب الكردي:

تستهدف أطروحة التركي - المسلم تحقيق ذات الأهداف. أنها تستهدف تذويب الحركة الوطنية الكردية في إطار الأممية الإسلامية. يقول الشيوخ لطلابهم في المساجد: المهم أن يكون المرء مسلما وإنسانيا وأخا. أما ترجيح انتمائه الوطني فهو مما يتعارض مع الإسلام. وهنا ينطق الشيخ بلسان الإيديولوجية الرسمية. ويستخدم الدين لعرقلة الوعي الوطني الكردي. ولبلوغ هذه الأهداف تتخذ مواقف معادية للعلمانية. يضاف إلى ذلك، أنهم يزيدون عدد قوى الأمن يوميا. ويبنون سجونا جديدة. وتتزايد بلا انقطاع نوعية وكمية الرقابة البوليسية. واستطاع أجهزة مخابرات الدولة بلوغ مرحلة مكثفة من التنظيم. وعلى الرغم من كل ذلك، تتغير كردستان بفضل الديناميكية الداخلية التي استعرضنا على عجل خصائصها العامة. إن كردستان لم تعد كما كانت سابقا.

كان يعيش في منطقة "جزيرة" بباكور كردستان شخص يدعى شيخ صيدا، وكان هذا الشيخ يوعظ أتباعه بشيء واحد دائماً: المهم أن يكون المرء مسلما ويتصرف بطريقة أخوية، أما الإصرار على انتمائه لمجموعة قومية فهو مما يتعارض مع الإسلام، والله لن يغفر لأولئك الذين يصرون على ألا ندع أمثال هؤلاء يعيشوا انتمائهم إلى مجموعة قومية، ومن أحاديث الرسول محمد بيننا، وإنما نحن جميعا أبناء الرسول...".

وفي هذه الفترة بالذات، كان قد نشب صراع مسلح بين الكرد والنظام العراقي السابق، وترك كفاح الشعب الكردي هذا من أجل التحرر القومي في باشور كردستان "كردستان العراق" أثرا عميقا ولاسيما لدى الشباب في مناطق مثل هكاري وسيرت وماردين ووان. وقد حاول بعض الشباب التحرك لدعم هذا الكفاح بكل ما يستطيعون. واكتسبت مواعظ الشيخ صيدا إلى أتباعه بهذا الخصوص أهمية بالغة، فقد استهدفت عرقلة نمو الوعي القومي وإيقافه عند حده. كان يصر على أن الشيء الوحيد المهم هو الانتماء إلى الإسلام وأن يكون المرء مسلما. وبتركيز الشيخ اهتمامه على الإسلام تفقد القضية الوطنية أهميتها. وبالتحذير من أن "الإصرار على الانتماء الوطني يتعارض مع الإسلام" يريد الشيخ إفهام أتباعه أن الله والرسول هما ضد القضية الكردية، وأن من الإثم أن يدافع المسلم عن القضية الكردية ويطالب للكرد بحقوق قومية وديمقراطية. ومن الجدير بالملاحظة أن تعبير "الانتماء إلى مجموعة قومية" لا ينطبق إلا على الكرد. فالشيخ صيدا والشيوخ الآخرون لا يعارضون أبدا إذا كان الأمر يتعلق بالأتراك أو الفرس أو العرب. إنهم يتصرفون وفقا لمبادئ الايديولوجية الرسمية. ومادام الغرض عرقلة نمو حركة القومية الكردية فهم يقبلون بنشوء ظواهر سلبية أخرى. وإذا ما تعلق الأمر بتوجيه انتقادات مثل "إن مبادئ العلمانية أصبحت موضع شك، فهم صم بكم لا يفقهون".

ولابد من أخذ الجانب التالي بنظر الاعتبار: إننا إذا ما تعرفنا على الشيخ صيدا عن كثب سنلاحظ علاقاته الوثيقة مع المخابرات التركية. وهذه العلاقات لا تعني سوى شيئا واحدا: أن الدعوة إلى الأممية الإسلامية تعني في ذات الوقت الدعوة إلى الايديولوجية الرسمية. إنهم يحاولون عرقلة اليقظة الوطنية للشعب الكردي. وإن الذين يؤدون هذه المهمات هم من بين الشيوخ. ولقاء ذلك يحصلون من الدولة على

دعم مادي ومعنوي. وترغب الدولة في أن يكون لهؤلاء الشيوخ تأثير اقتصادي أكبر، إذ أن تأثير الشيوخ على الجماهير يزيد بزيادة نفوذهم الاقتصادي. وهؤلاء وأتباعهم هم الذين يفضلون على غيرهم في حالات الحصول على قروض مصرفية، أو إجازة تشغيل محطة لبيع البنزين. كما تغض الدولة نظرها إذا ما استحوذ أمثال هؤلاء على أراضي الغير بطرق غير مشروعة وغير ذلك.

وبعد وفاة الشيخ صيدا، خلفه في منصبه ابنه نور الله، غير أن الابن لم يكن على سر أبيه، إذ لم يدخل في علاقات وثيقة مع الدولة، كما لم ينفذ ما كانت تأمره الدولة والحكومة بتنفيذه. وقد مات الشيخ نور الله منذ بضعة سنوات بحادث سيارة لم يكشف عن ملابساته حتى الآن.

من الأنباء التي وردت في الصحف حول هذا الموضوع النبأ التالي: "إيفاد مجموعات دينية إعلامية إلى 17 ولاية - هجوم إعلامي" وبمعظمها الولايات الكردية.

وتتولى مجموعات الارصاد هذه بالإضافة إلى إلقاء خطبة الجمعة في المساجد، إلقاء خطب على الجمهور والإجابة على الأسئلة في المدارس والمؤسسات التعليمية الأخرى والجامعات وفي الثكنات العسكرية.

وقبل أن يبدأ أعضاء هذه المجموعات الإعلامية "مهماتهم" تلقوا تدريبات صارمة على يد رجال المخابرات وموظفي الإدارة العامة للشرطة في إطار ندوة نظمت لهذا الغرض. وتتألف كل مجموعة من 2 أو 3 من رجال الدين. وجرى توزيعهم على الولايات التالية: (المجموعة (1) ولايتي Tekirdag - Kirklareli، المجموعة (2) ولايتي Agri - Kars، المجموعة الثالثة ولايتي Erzurum - Erzincan، المجموعة (4) ولايتي Van - Hakkari، المجموعة (5) ولايات Siirt - Mus - Bitlis، المجموعة (6) ولايتي Mardin - Diyarbakir، المجموعة (7) ولايتي Bingol - Tunceli، المجموعة (8) ولايتي Adiyaman - Sanliurfa). (صحيفة Hurriyet عدد يوم 1987/4/21).

وظهر عنوان آخر حول هذا الموضوع في نفس الصحيفة أعلاه يقول: صرح عميد جامعة "المئة" في مدينة Van الأستاذ الدكتور Nihad Baysun: لم تشهد جامعتنا إلقاء أي خطبة دينية وإنما عقدنا مؤتمرا حول الوحدة والتضامن. وقد نظم هذا المؤتمر بالتعاون مع مكتب حاكم مدينة ديار بكر، وجامعة دجلة ومعهد

أتاتورك للثقافة واللغة والتاريخ. ومن المنتظر عقد مؤتمرات مماثلة في ولايات الشرق الأخرى مثل Kahramanmaras وMalatya وSanliurfa وGaziantep وغيرها وسيساهم فيها أعضاء هيئة التعليم في الجامعة. (صحيفة Hurriyet عدد يوم 1987/4/21). وفي عام 1985، نشر معهد بحوث الثقافة التركية كتابا بعنوان "الأناضول الشرقي والوحدة الوطنية التركية" ساهم في إعداده عدد من أساتذة الجامعات.

(4) تناول العدد الأول من مجلة e Dogru (4-10/1/19872000) هذا الموضوع في صفحته الأولى تحت عنوان "الدولة العلمانية تدعو إلى الجهاد"، رجال الجيش والشرطة وموظفو الإدارة يوزعون منشورات تحمل آيات قرآنية وأحاديث نبوية، تدعو سكان الشرق إلى "إطاعة الله ورسوله"، وإلى "الجهاد في سبيل الله" ضد "جبهة الكفار".

وقد ألقيت هذه المنشورات اعتبارا من نهاية عام 1985 بواسطة الطائرات والطائرات العمودية. كما كانوا يعلقون ملصقات تحمل ذات الشعارات في المساجد والمقاهي، ويطالبون أصحابها بتحرير وصل باستلامها.

وفي ما يلي النص الذي تضمنته أربعة من تلك المنشورات والملصقات:

النص الأول: أيها المواطنون "تأملوا في تعاليم الإسلام، وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين (سورة البقرة، الأية 190)

أيها المواطن:

إن أعضاء العصابة الانفصالية يريدون إبعادك عن قيمك المقدسة مثل دينك وأطفالك وزوجتك ووطنك وعلم بلادك وأخلاقك. وإن من واجبك محاربتهم، شأن واجب المسلمين كافة. قم بهذا الواجب وكن مساعدا للقوات المسلحة.

النص الثاني:

"أيها المواطنون، يقول رسولنا الكريم (صلعم)"من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنّا فليس منا".

وهؤلاء الأعضاء في عصابات المجرمين الذين يوجهون السلاح نحوك ونحو أمك وأبيك وإخوانك وأخواتك وبوجه زوجتك وأطفالك والذين يقتلونهم ويغتصبونهم إنما هم ليسوا منا، إنهم يستهدفون تدنيس شرفك وكرامتك وحياتك. إنهم خدام

الأرمن. وعليك أن تخبر قوى الأمن بأماكن وجود أعضاء العصابات الانفصالية هؤلاء. وما لم تفعل ذلك فستكون مذنبا أمام الله".

النص الثالث:

"أيها المواطنون، يقول سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) سورة الأنفال الآية 46".

إن قطاع الطرق الذين يحدثوك عن "الكفاح من أجل التحرر الوطني" و"الحرية" لا يريدون في الواقع سوى تدمير وحدتك وعزة نفسك. ولا تدع هؤلاء الخونة والمعتدين يورطونكم معهم.

إن هذه العصابة من الخونة التي تطلق النار دونما تمييز على الأطفال والشيوخ والنساء والرجال وتقتلهم وتسرق ممتلكاتهم وتدنس شرف النساء لا تعترف بأية قيمة مثل الدين والشرف والأخلاق.

لا تصدقوا أكاذيبهم. ساعدوا قوى الأمن الذين يحاربون من أجلكم.

النص الرابع:

"أيها المواطنون

جاء في محكم كتابه العزيز (سورة آل عمران والآية 105) "ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم".

تحمي الأمة التركية الإسلام من هؤلاء المعتدين منذ 1000 عام. واستشهد الملايين من أبنائها مجاهدين في سبيل العقيدة. ولقد أصبحت الأمة التركية اليوم هدفا للدول الإمبريالية وأعداء الأتراك والإسلام على السواء. انظر إلى أسرتك، واطرح أسئلة على أمك وأبيك. وتذكر كم من المجاهدين استشهدوا في سبيل هذه الأرض.

ولا تنسى بأن الجيش التركي الذي أباد الخونة هو أكبر جيش وأول جيش في العالم الإسلامي. وهذا ما يعرفه أعداء الإسلام وأعداء تركيا. إنهم يسعون إلى تضليلك قصدا من خلال حزب العمال الكردستاني وأعوانه. لا تقع في حبائل الخونة.

* * *

تركز النصوص الأربعة كما نلاحظ، على أن الانتماء العرقي والخصوصية القومية يتعارضان مع الإسلام بالاستناد إلى آيات قرآنية مختارة وأحاديث نبوية معينة. والمسألة هنا تتعلق بتفسير أهل السنة للقرآن.
وفي النص الرابع أعلاه يتحدثون عن أهداف الدول الإمبريالية في تركيا. ويشيرون إلى أن الايديولوجية الرسمية كفيلة بالقضاء على تلك الأهداف. لكن الكرد يعلمون الآن كيف تصارع الإمبرياليون على تقاسم كردستان. ويعلمون أن بريطانيا الإمبريالية وأعوانها الكماليين هم الذين قسموا كردستان. وعلى ذلك، لم يعد للايديولوجية الإسلامية القدرة على أن تصبح غطاء يخفي الجهود الرامية لعرقلة نمو الوعي لدى الكرد.
ومع ذلك، ونظرا للأبعاد التي يتخذها كفاح الكريلا في كردستان تمنح الدولة التركية أهمية مركزية للدعايات الدينية. وفي أغسطس/آب 1989 غمرت السلطات التركية كردستان بالمنشورات والملصقات ذات المحتوى الإسلامي (انظر Gunaydin, Tercuman, Gunes حرب الدعاية 1989/8/19) وتحتوى هذه المنشورات والملصقات على نفس الموضوعات باستمرار، أي مسألة الوحدة والتضامن، والمصير المشترك والأخوة. ولكن كيف يتسنى تحقيق الوحدة والتضامن عندما تجبر السلطات التركية السجناء السياسيين على أكل الغائط؟ وهل يمكن تحقيق الوحدة والتضامن بقتل المزارعين في حقولهم بدعوى "لقد تصورنا أنهم من الإرهابيين"، وبإحراق جثثهم لإزالة كل دليل على تلك الجريمة؟ إنهم يروجون للمشاعر الدينية من جهة ويجبرون السجناء على أكل غائط البشر ويقتلون المزارعين ويحرقون جثثهم من جهة أخرى، ويمنعون على الصحافة نشر هذه الأخبار. ترى ما قول الإسلام في هذه الأعمال؟.

"حراس القرى"، إحدى أقذر خطط الحرب الخاصة التركية لتشتيت الشعب الكردي وضربه ببعضه البعض

نشأ في تركيا وضع جديد بعد قيام حزب العمال الكردستاني بالكفاح المسلح في منتصف أغسطس/آب 1984. فقد بدأ وضع جديد في تركيا ببداية حرب الكريلا في كردستان.

تعتقد تركيا أن حراس القرى هم خير وسيلة لمجابهة الكريلا. وحراس القرى هؤلاء هم الذين يتولون "ضمان" الأمن في القرى الكردية. والدولة هي التي تتولى تسليح هؤلاء وهم من أبناء القرى الكردية. وغالبا ما يجبرون المزارعين على الانخراط في سلك حراس القرى. وتستخدم الدولة مختلف الأساليب لدعم هذه المؤسسة ولتحويل الشعب بكامله إلى حراس للقرى. ويتلقى هؤلاء من الدولة مكافآت مادية ومعنوية لقاء خدماتهم. إلى جانب مرتباتهم الشهرية، تدفع الدولة مكافآت بقيمة تعادل عدة آلاف من الليرات التركية لحراس القرى مقابل تسليمهم كل رأس مقطوع من جثة الكريلا. وتختلف قيمة تلك المكافأة حسب أهمية الكريلا وموقعه القيادي في منظمته.

ولكي تضمن الدولة حاجتها من حراس القرى وتزيد عددهم تلجأ للتعامل مع السجناء المحكومين بموجب القانون العام، ولاسيما مع المحكومين منهم بجرائم القتل. فإذا أعربوا عن استعدادهم للقتال ضد حزب العمال الكردستاني، يعدونهم بإطلاق سراحهم من السجن، وإذا كانوا من بين الفارين من وجه العدالة يعدونهم بعدم إلقاء القبض عليهم وإغلاق ملفاتهم الجنائية. ويجري كبار موظفي الدولة ورؤساء القبائل مناقشات جادة حول هذا الموضوع مع المجرمين، وإذا ما توصلوا إلى اتفاق في النهاية يبادرون فورا إلى تجنيدهم حراسا للقرى. وهكذا تم تجنيد عدد كبير من بين هؤلاء المجرمين العاديين حراسا للقرى منذ عام 1985. ومن المؤكد أن تلك المفاوضات بين كبار موظفي الدولة والمجرمين دارت شفاها، فهي غير موثقة. ولنطلع الآن على حالة قبيلة Yirki في Beytussebap. فقد أقام رئيس هذه القبيلة طاهر آديمان عام 1975 حفلة بمناسبة ختان ابنه. وفي أثناء الحفلة نشب شجار بينه وبين وكيل المحافظ وممثل النيابة العامة، تلقى طاهر آديمان أمام عدد من أبناء قبيلته صفعة من وكيل المحافظ أطلق على أثرها الرصاص من جميع الجهات على الوكيل وجماعته وانتهى الأمر بسقوط 6 قتلى من بين رجال الدرك وهروب الوكيل وممثل النيابة. وانسحبت القبيلة إلى الجبال وظلت هناك 10 سنوات. وفي مايو/أيار 1985 عادوا إلى قراهم بعد الاتفاق على إجراء مفاوضات بشأن تعيين المجرمين حراسا للقرى كما ذكرنا أعلاه (انظر e Dogru, 22/5/1988, pp.8-15; Milliyet, 10/8/1987; 2000) .(Sabah, 15/8/1989

يعكس وجود ظاهرة حراس القرى أكبر جانب من جوانب ضعف المجتمع الكردي. وهذا ما يقوله علنا موظفو الدولة أنفسهم: إن مؤسسة حراس القرى ليست سوى اسم آخر "لعملية إبادة الكرد في الشرق على أيدي الكرد أنفسهم". ولا تتأخر الصحافة التركية في تأكيد ذلك (انظر مجلة Sabah، عدد 13-1989/8/19).
ويتوقف تطور هذه المؤسسة في المستقبل على جوانب الضعف والأمراض التي يعاني منها المجتمع الكردي والتي سبق وأن استرعت الصحافة التركية الانتباه إليها.
يمثل حراس القرى آلية ضخمة من آليات القمع والإرهاب. وفي بعض المناطق يسلم رجال الشرطة والدرك والجيش الأشخاص الذين يعتقلونهم إلى حراس القرى، حيث يتلقون على أيديهم أبشع أنواع التعذيب وأشدها قساوة. إذ يقطعون أنوفهم وآذانهم ويفقؤن أعينهم ويقطعون أجسادهم أربا أربا.. لكن مهمة حرس القرى تركز بالدرجة الأولى على تخويف الشعب وإرهابه بما يحرم في النهاية الكريلا من مستلزمات استمرارية وجودهم ونشاطهم (انظر مجلة 2000 e Dogru، عدد 1989/6/11 ص 20-32، وعدد 1989/6/25 ص 16-18).
تستطيع الدولة كسب أعداد متزايدة من الأشخاص إلى جانبها بفضل وسائلها المادية، وتنفق عليهم مرتبات شهرية وتمنحهم مكافآت مادية ومعنوية. ويعزى نجاحها هذا جزئيا إلى انتشار البطالة على نطاق واسع بين السكان وإلى ظروف الحياة والمعيشة الصعبة للغاية في كردستان. ومع ذلك، هناك عدد كبير من المزارعين الذين سلمتهم الدولة أسلحة بأيديهم وحولتهم بكل بساطة إلى حراس للقرى. والدولة تستفيد من مثل هذه الأوضاع في تشديد سياستها "فرّق - تسد ودمر" وتعميقها وتوسيع نطاق تطبيقها في كردستان. بيد أنني أعتقد أن نجاح الدولة في تجنيد الآلاف من حراس القرى دليل على ضعف خطير في المجتمع الكردي. فالأمر أولا وأخيرا هو أن حراس القرى الكردية هم من الكرد الذين يقوون بهذا الدور لحساب الدولة في تخويف وإرهاب الكرد الذين يطالبون بالمساواة والحرية وقتلهم. ففي كافة حركات التحرر الوطني وجدت عناصر تعاونت مع القوى الإمبريالية والاستعمارية ضد أبناء جلدتها. ففي الهند والجزائر وجنوب أفريقيا وأنغولا وفلسطين ..الخ، وجدت مثل هذه العناصر المتعاونة مع السلطات. لكن الحالة بالنسبة للكرد مختلفة. إذ تتخذ هذه الظاهرة بعدا جماعيا.

وهذا ما لا يمكن تفسيره إلا بافتقار بعض الفئات الاجتماعية في المجتمع الكردي لأي نوع من الشعور القومي.
ولهذا السبب تدعو الضرورة إلى دراسة هذه الظاهرة التي تنعكس بوجود حراس القرى في باكور كردستان "كردستان تركيا" والجاش في باشور كردستان.
والموضوع التالي الذي سنعالجه مهم أيضا: قد يكون حتى المتعاونون والوكلاء ومساعدو الدولة من بين حراس القرى، لكنهم يخضعون لمراقبة شديدة من قبل الدولة، ولأنهم على إطلاع تام على الأعمال غير القانونية والتعذيب والمذابح التي تنظمها قوى الأمن، وعلى علم بمواقع القبور الجماعية وغير ذلك، فإن حياتهم مهددة باستمرار من قبل الدولة ذاتها (انظر مجلة Dogru2000 e عدد 1989/2/26، وعدد 1989/3/19 ص 26، وعدد 1989/3/7 ص 24، وعدد 1989/6/4 ص 8-14).
ولربما قد يتحدث حراس القرى عن المذابح التي ترتكبها الدولة، وفي هذه الحالة سيكشفون جرائمها وممارساتها في التعذيب وحبك المؤامرات، ولهذا السبب تعتمد الدولة سياسة القضاء على كل من هو على إطلاع على أسرارها. أما أسباب وفاة هؤلاء فهي واضحة: لقد اشتبكوا مع كريلا حزب العمال الكردستاني وسقطوا قتلى.

إحراق الطبيعة في كردستان:

تلجأ تركيا في إطار الحرب الخاصة التي تستهدف الشعب الكردي في شمال كردستان إلى إحراق الطبيعة وتدميرها وتهجير السكان منها، ومن ضمن تلك الخطط مشروع إحراق غابات محافظة ديرسم الكردية. حيث بدأت الدولة التركية ومنذ سنوات بإحراق الأشجار واقتلاعها شمال المدينة بحجة إنشاء محطات لتوليد الكهرباء لا تنتج سوى 1 % من الكهرباء المطلوبة لتركيا، وبناء 12 سداً للمياه. وتشمل المساحة المتضررة نحو 50 كم من اراضي المحافظة، بحيث يتم القضاء على أكثر من خمسة آلاف نوع من النباتات، من بينها أنواع نادرة، وكذلك القضاء على مئات الأنواع من الحيوانات. وبغية ذلك تم تهجير سكان 320 قرية إلى الآن، ويهدف المشروع إلى اختفاء مدينة ديرسم بالكامل عملاً بالمخططات التي وُضعت أثناء انتفاضة ديرسم ضد الاحتلال التركي في عام 1937، حيث ذهب

ضحيتها حينها أكثر من 70 ألفاً من المدنيين الكرد على أيدي الجنود الأتراك وطائراتهم.

إلى جانب مشروع تدمير بلدة "حسنكيف" (Hasankeyf) التاريخية التابعة لمدينة باتمان، والتي تقع على شاطئ نهر دجلة، حيث تقوم سلطات حزب العدالة والتنمية وبغية إخفاء المعالم الأثرية لهذه البلدة بـ "أكبر عملية هدم منذ تخريبات المغول"، ويتذرع الحزب ببناء سد على نهر دجلة، غير آبهاً بالمخاطر التي تلحق بالمدينة المحفورة في الصخر والتي يعود تاريخها إلى أكثر من عشرة آلاف عام، وتشريد اكثر من 50 الف شخص من سكان المنطقة. ولا يقضي المشروع على مدينة حسنكيف بل على الالاف من المواقع التي لم يتم الكشف عنها حتى الان.

حرب الكريلا "قوات حزب العمال الكردستاني" بمواجهة الحرب الخاصة التركية:

مع بدء كفاح الكريلا وهم قوات حزب العمال الكردستاني العسكرية في 15 أغسطس/ آب 1984 في أروه تغير على نحو جذري شيئان في كردستان: ضمن جهة، تغيرت الكريلا نفسها إذ تغلبت على الخوف والشعور بالتشاؤم في المجتمع الكردي، وتحولت إلى وحدات مقاتلة حازمة ومصممة وواعية، أي إلى وحدات مناضلة. وقد جعل موقفها الثابت والحازم والواعي من حزب العمال الكردستاني حزبا رائدا في الكفاح. فقد استطاع تحويل الكريلا ونضال الشعب إلى مؤسسة قائمة. وتشكل الكريلا في يومنا هذا بالنسبة للكفاح قوة يحسب لها حسبا. وترى الجماهير الشعبية الكردية في حزب العمال الكردستاني قوة قادرة على التصدي لقوات الأمن والجيش والجندرمة التركية.

وتبين الأمثلة التالية كيف استطاعت قوات الكريلا التغلب على الخوف والشعور بالتشاؤم، وكيف ينعكس ذلك في حياتهم اليومية، نستمع من جهاز المذياع أو التلفزيون أحيانا كثيرة إلى معلومات من النوع التالي: "رصد رجال الأمن هنا أو هناك مجموعة من الإرهابيين. وقد أعلموهم بأنهم محاطون من جميع الجهات وطلبوا إليهم تسليم أنفسهم، وقد أجاب الإرهابيون على ذلك بفتح نيرانهم على قوات الأمن وتبع ذلك نشوب معركة بين الطرفين". في هذا المثال دليلا يبرهن على قهر الخوف والشعور بالتشاؤم كما يبرهن على تصميم الكريلا على الكفاح، وعلى كونها قوة طليعية في النضال.

في ما بعد 1980/9/12، شرع المعتقلون والسجناء السياسيون المحتجزون في السجون الخاصة بإضراب عن الطعام احتجاجا على الظلم والقمع، والمطالبة بحقهم في حياة كريمة، ولكي يطلعوا العالم أجمع على المعاملة السيئة التي يتلقونها. أما الضباط المسؤولون عن الأمن الداخلي للسجون فكانوا يقولون للمضربين عن الطعام: "الجيش هو الذي يعطيكم الخبز وأنتم ترفضونه وتقولون بأنكم ستستمرون في رفضه، ألا تقولون لنا من أين لكم هذه الشجاعة؟ وكانوا يقولون ذلك بمنتهى القيظ والغطرسة. "إن الجيش التركي والدولة التركية تمنحكم الخبر والطعام، وأنتم ترفضونه. خذوه، عليكم أن تقبلونه، أما إذا ما كنتم تأكلونه أم ما فهذا أمر لا يهمنا البتة. إنها لأمر لا يغتفر أن تعصون أوامر الجيش والدولة".
وفي الواقع، لم يكن القلق يساور هؤلاء الضباط على صحة المضربين عن الطعام من المعتقلين والمحكومين على الإطلاق. وما توزيع الخبز والطعام بالنسبة لهم سوى مسألة أوامر وتعليمات. والذي كانوا يريدونه لا يتعدى الامتثال للأوامر الصادرة عن الجيش والدولة. فإذا ما كانت الدولة أو الجيش يوزع الخبز والطعام على المعتقلين فلابد من ضمان قبوله من جانب السجناء وامتثالهم للأوامر بأكله. وبكلمة أخرى، ينبغي تنفيذ أمر الأكل بالقوة. وما يهمهم يقتصر على معرفة ماذا كان المعتقلون قبلوا الطعام أم لا. أما إذا ما أكلوه أم لا فهذا أمر لا أهمية له البتة. وعندما ينادي "خذوا الطعام، خذوا الخبز" من قبل الحراس المدنيين للسجن أو من قبل المدير أو المدعي العام لا يترتب على رفض استلام الطعام في هذه الحالات نتائج خطرة. أما إذا صدرت أوامر استلام الطعام من قبل الضباط أو ضباط الصف أو من قبل أشخاص يمتون بصلة إلى الجيش فإن الوضع في هذه الحالة يختلف تماما. إذ كيف يحدث وألا يتمكن فرد من الجيش فرض إطاعة أوامره؟ إنه أمر غير مقبول بتاتا. ولهذا السبب فإن المضربين عن الطعام "يخالفون قوانين السجن واللوائح الإدارية برفضهم قبول استلام الطعام فحسب وإنما يتهمون أيضا بجريمة الاعتداء على هيبة القوات المسلحة".
والدليل الأكثر وضوحا على التحول النوعي للكريلا إنما يتمثل في إجابتهم على أوامر تسليم أسلحتهم بفتح النار على العدو، إنهم لا يخشون المنازلة في المعارك، وهم قادرون على خوضها أياما وأسابيع متواصلة بحزم وعزم شديدين.

وساهم نشاط الكريلا من جهة أخرى في إحداث تحول نوعي للسكان المحليين. فقد تغيرت معنويات هؤلاء السكان. فالشعب الذي كان مشلولا بسبب الخوف والرعب والتشاؤم والذي كان خائفا وجلاً والذي فقد ثقته بنفسه استعاد ثقته بالحياة من جديد ونهض وبدأ يطالب بحقوقه. ومن الممكن ألا يؤول كفاح الكريلا إلى تحقيق النصر على المدى القصير، ولكن عندما يطرأ تغير على الموقف الأيديولوجي للشعب وتتغير بنية أفكاره فإن الأمر يتعلق بتحول ذي أهمية كبيرة. وعلينا ألا نقلل من أهمية مثل هذه التحولات. فالشعب في هذه الحالة لن يرتضي بما تعطيه وإنما سيطلب المزيد باستمرار. وقد بدأت جماهير الشعب في بعض المناطق الكردية تطالب بالمساواة والديمقراطية. لقد بدأوا يشترطون بإلحاح "الديمقراطية أولا". لقد أخذ الشعب الكردي يقارن وضعه بوضع الشعوب الأخرى، في تركيا، وفي الشرق الأدنى والعالم. إن الكرد يقارنون وضعهم بوضع الأتراك والعرب والإيرانيين، على جميع المستويات، السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية والاجتماعية وغير ذلك. ومن خلال هذه المقارنات، تحقق الكرد من مدى تعاسة الظروف التي يعيشونها وبؤسها. إن جميع هذه التغيرات هي حصيلة لكفاح الكريلا الذي ينجزونه بحزم وعزم وجلاء. كما علينا ألا نقلل من أهمية الأنشطة السياسية والأيديولوجية التي تصاحب كفاح الكريلا والتي تنفذ خارج تركيا وفي داخلها. كما ساهمت الدراسات ذات الصلة بالمسألة الكردية على نحو ملموس في تغيير الوضع في كردستان.

لو كنا قد حدثنا فلاحا كرديا من ديار بكر أو أي منطقة مماثلة قبل عشرين أو ثلاثين عاما عن الحقوق القومية للكرد، لأجاب آنذاك بما يلي: "أيها السادة، إننا جميعا مسلمون وكلنا إخوان في الدين، وليس من المهم أن نتحدث عن الكرد. إن الدولة لا تريد أن تعطي الأكراد هذه الحقوق، ولن تفعل ذلك مطلقا، ذلك لأن الكرد ضعفاء والدولة قوية جدا. وإذا ما شغلنا أنفسنا بهذه القضية فإنها ستنهكنا وتقضي علينا. إذا ما اكتفت الدولة بشق الطرق وبناء المدارس وزودتنا بمياه الشرب فهذا يكفينا". وإذا ما أصررنا قائلين: "ولأن الدولة لا تعطي الكرد الحقوق التي يطالبون بها سلما، فما علينا إلا الكفاح لانتزاعها. وإن حق استعمال لغتنا والكتابة بها من بين الحقوق التي لا يمكن المساس بها. وتلك الحقوق إنما تستحق النضال من أجلها فسيكون رد فعل الفلاح في هذه المرة أكثر حدة، وسيقول "اسمع أيها السيد، إن

الكفاح ضد الدولة يشترط مسبقا أن تكون لديك دولة. ونحن شعب فقير وجاهل. وإن الدولة التركية كبيرة وقوية، إنها تملك جيشا وطائرات ودبابات ومدافع وبنادق، ولديها شرطة وسجون ومدارس وصحف وإذاعة، إنها تملك كل شيء، وما الذي نملكه نحن؟ لا شيء على الإطلاق. إن الكفاح الذي تتحدث عنه لن يحقق أي شيء، وأفضل ما يمكننا عمله هو ألا نحرك ساكنا". وإذا أجرينا مرة ثالثة على مسألة الحقوق القومية والديمقراطية فسيجيبنا هذا الفلاح: "إن ما تقوله صحيح، لكننا شعب بلا سلطة، وليس لدينا من يستطيع مساعدتنا، وليس لدينا أصدقاء". لقد دمر أو بدأ كفاح الكريلا في تدمير هذه الهياكل العقلية والمعنوية التي غالبا ما يرافقها الشعور بالدونية.

المسلسلات التركية تغزو الشرق الأوسط وخاصة البلدان العربية

لم تكن تركيا أولى الدول ولا آخرها التي استخدمت القوة الناعمة ضد الشعوب في المنطقة، وخاصة ضد الشعبين الكردي والعربي، فقد سبقتها إيران عندما بدأت السينما الإيرانية بغزو الأسواق العربية وصناعة الشخصيات الإيرانية – الشيعية لاختراق الجسم العربي لمدة معينة، ومن ثم التشهير بها عندما تنتهي مهمتها، تماماً كما عمل الإعلام العربي على إبراز شخصية الأمين العام لحزب الله اللبناني حسن نصر الله.

فمع بروز أردوغان في الإعلام العربي ونجاح الترويج له، اقتنصت الدراما التركية الفرصة للترويج لنمط الحياة التركية وتقديم تركيا على أنها راعية حقوق الإنسان، وصاحبة الجلالة في التطور والحداثة، وحماية حقوق الشعب العربي وخاصة الفلسطيني، فيما لم تكن مسألة ضياع حقوق الفلسطينيين وتشتت قواهم السياسية والعسكرية بعد تبني أردوغان لقضيتهم حاضرة بنفس حضور التشهير بحسن نصر الله في الإعلام العربي.

كردياً، واصلت تركيا الإساءة إلى الشعب الكردي الذي لم يعد بإمكانه الوقوف في الدائرة التي حددتها له دوائر الحرب الخاصة التركية، فها هو يتجه لافتتاح فضائياته الخاصة وكذلك مؤسساته الفنية والثقافية في الجبل، والسهل بقدر ما أمكن، وفي المهجر، أي في الدول الأوروبية، وفي كل مكان يجد فيه الكردي

الفرصة لعرض فنونه وآدابه، ولغته التي طالما كانت ممنوعة ومحظورة في بلاده، وتكلفه حياته في حال إصراره على تسيير نشاطاته الفكرية.
بغية اختراق الوعي الكردي بعد فشل السيطرة عليه، عمدت السلطات التركية إلى إطلاق منظومة إعلامية من الجرائد والإذاعات والفضائيات الناطقة بالكردية، كتلك التي أطلقتها أمريكا إبان حرب العراق للسيطرة على الوعي العربي. فكانت قناة ت ر ت كردية، وأخرى ت ر ت عربية، وكذلك بعض الإذاعات الناطقة بالكردية الأمل الوحيد لدوائر الحرب الخاصة التركية للسيطرة على الكردي وتسطيح وعيه، فيما لم تنجح أكثر من 80 فضائية تركية إخبارية وفنية موجهة للتغلغل بالدرجة المطلوبة في وجدان الكردي وعقله.
بلغت الإساءة التركية للشعب الكردي ذروتها في عدد من المسلسلات الهابطة، التي تخاطب الغرائز العنيفة والعاطفة للشعوب في الشرق الأوسط، محاولة دق الاسفين بين الشعبين العربي والكردي، وتكوين صورة قذرة مستقاة من تعليمات الاستخبارات التركية عن الشعب الكردي وإلصاق الصفات السيئة به. ومستخدمة في ذلك اللهجة الشامية في دبلجتها، اللهجة التي طالما كانت تمثل الشخصية الصوتية المحببة للكردي الممنوع من لغته في سوريا والعراق أيضاً، وللعربي الذي عرف الدراما وعشقها بهذه اللهجة.
بالمجمل كانت إحدى أهم أهداف الدراما التركية هو نسيان وتجاهل الجرائم التي قامت بها تركيا بحق الشعب الكردي والعربي والأرمني، والتي لا تسقط بالتقادم.

اختراق العالم العربي:

كتبت إحدى الصحف العربية أن مهند التركي يغزو بلاد العرب بلا دولة عثمانية، في إشارة إلى شخصية مهند في المسلسل التركي "نور" وهو شاب طويل أشقر بلحية لا تشبه لحى المتدينين وبعينين زرقاوين أعاد الأتراك إلى "غزو" الجماهير العريضة من العالم العربي، بعد الغزوات القديمة التي قادها السلطان سليم الأول في معركة مرج دابق، والحروب البحرية التي قادها خير الدين بربروس وأخوه بابا عروج وصولا إلى السلطان عبد الحميد الثاني بسطوته وجبروته وحتى ببعض مواقفه المعروفة، ومصطفى كمال أتاتورك الذي أعلن قيام الجمهورية التركية الحديثة وإلغاء الخلافة الإسلامية في 1924 بعد أربعمائة عام من إعلان السلطان العثماني سليم الأول خليفة على المسلمين.

تجربة المسلسلات التركية هي نتاج لفكرة أطلقها جملة باحثين في دراسة لمركز "راند" عام 2007، وهي فكرة تقوم على "عكس تدفق الأفكار". وخلاصة هذه الفكرة هي أنه بدل محاولة التأثير الأميركي المباشر على الأفكار والثقافة في العالم العربي، حيث المجال الثقافي معقد جداً ومعاد للغرب والحداثة، فإنه من الأفضل أن تؤثر الولايات المتحدة في الأفكار والثقافة في بلدان إسلامية أكثر قبولاً للغرب مثل تركيا وماليزيا، ثم تجري ترجمة الإنتاجات الثقافية والفكرية "المعتدلة" لهذه الدول الإسلامية الى العربية وبثها في الفضاء العربي.

وتحضر في العالم العربي الدراما التركية الرومنسية والتاريخية والاجتماعية، بداية من مسلسل "إكليل الورد" الذي يعد أول إطلالة تركية على المشاهد العربي، عام 2004، ثم بمسلسلات "سنوات الضياع" و"نور" و"حريم السلطان" و"أسميتها فريحة" و"العشق الممنوع" نهايةً بالمسلسل التاريخي الذي يتم عرضه حالياً، "قيامة أرطغرل".

تؤكد الكاتبة التركية بلين أوزقان أن الدراما التركية كان لها تأثير "القوة الناعمة" للتعريف بتركيا وثقافتها وتاريخها في العالم الخارجي.

ويقول الكاتب الأمريكي نيك فيفاريللي إن تركيا تحتل المرتبة الثانية عالمياً بعد الولايات المتحدة الأمريكية من حيث الدراما الأكثر انتشاراً، إذ صُدّرت الأعمال الدرامية التركية إلى 142 دولة حول العالم عام 2016 بالمقارنة مع 50 دولة عام 2012.

وارتفعت إيرادات المسلسلات التركية من 300 مليون دولار عام 2015 إلى 350 مليون دولار عام 2016 وتهدف صناعة السينما التركية إلى الوصول لرقم مليار دولار عام 2023.

ولكن "هيئة أبحاث الجمهور الفرنسية" كان لها رأي آخر، إذ أكدت أن 75 مسلسلاً تركياً عرضت على الشاشات العربية عام 2016 بإجمالي إيرادات بلغت 600 مليون دولار، واحتلت السعودية المرتبة الأولى من حيث المشاهدة.

وارتفع متوسط سعر الحلقة الواحدة من المسلسلات التركية في العالم العربي من 500 دولار عام 2007 إلى 50 ألف دولار عام 2017.

ووفقاً لبيانات التنسيقية الدبلوماسية العامة لرئاسة الوزراء التركية، فإن تركيا تنتج نحو 100 عمل درامي سنوياً، تُصدّر منها قرابة 15 عملاً إلى دول الشرق

الأوسط والبلقان وأمريكا اللاتينية وغيرها، ويصل عدد مشاهدي الأعمال التركية إلى 400 مليون مشاهد خارج تركيا.
وتشير بيانات وزارة الجمارك والتجارة التركية إلى أن الدراما التركية ساهمت في رفع حجم صادرات تركيا من الأكسسوارات والحلى والملابس وفنون الموضة والديكور بنسبة 8.92%، والألعاب الإلكترونية بنسبة 26.51%، والأعمال الروائية بنسبة 18.11%، وذلك خلال السنوات الأخيرة.
وأوضح تقرير الصادر عن "هيئة الدراسات الاقتصادية والاجتماعية" بتركيا أن 74% من مواطني العالم العربي يتابعون عملاً درامياً تركياً واحداً على الأقل ويعرفون اسم فنان تركي على الأقل.
كما تضمن التقرير استطلاع رأي في سبع دول عربية يوضح زيادة تعلق المواطن في هذه الدول بتركيا من 75% إلى 80% خلال السنوات الثلاث الأخيرة.

الموضة التركية

أنعشت الدراما التركية سوق الملابس الجاهزة والأكسسوارات والحلى التركي، حسبما أكد المدير الإقليمي لشركة "قايرا" بالشرق الأوسط، فوركان أورتاقايا، موضحاً أن الأعمال الدرامية التركية أدت إلى زيادة صادرات تركيا من الملابس والأكسسوارات في دول الشرق الأوسط، وخاصة الإمارات وفلسطين ولبنان والأردن، وافتتاح فروع كثيرة للماركات التركية في معظم الدول العربية بعد زيادة الإقبال الشعبي على ما يشاهدونه في المسلسلات والأفلام التركية.
وتحولت تركيا إلى علامة هامة في "الموضة الإسلامية" التي اخترقت الأسواق العربية مؤخراً بالتزامن مع الغزو الدرامي، وتمثلت في الملابس الفضفاضة ذات الألوان الزاهية وأغطية الرأس المزركشة وتنوع الأكسسوارات التي تتسم بضخامة الحجم.

الأثاث العثماني

ولم يقف التأثر العربي بالدراما التركية في تقليد الموضة فحسب، بل امتد الأمر إلى الاهتمام بشراء الأثاث وديكورات المنازل حسبما يتم تداولها في الأعمال الفنية.
تعتبر السعودية أبرز النماذج بالوطن العربي في هذا الشأن، إذ أدى نجاح الدراما التركية إلى إقبال المواطن السعودي على اقتناء الأثاث غير التقليدي، ما دفع إلى

زيادة واردات السعودية من الأثاث التركي من 81.2 مليون دولار عام 2013 إلى 159.7 مليون دولار عام 2015.

السياحة العربية

عندما تشاهد الدراما التركية تتعرف على طبيعة خلابة تجمع بين الثلوج والغابات وهو ما تفتقده معظم الدول العربية، وبين المساجد التاريخية والحانات، وبين التحضر والأصول القروية، ما يجذب الفضول نحو اكتشاف كل ذلك، خاصة في ظل التقارب الجغرافي والثقافي.

فقد ساهمت الدراما التركية في زيادة أعداد السائحين الوافدين من الدول العربية إلى تركيا من 65 ألف سائح سنوياً إلى ما بين 6 و7 أضعاف ذلك الرقم حالياً، ومتوقع أن يصل العدد إلى 10 مليون سائح عربي سنوياً خلال الأعوام المقبلة، خاصة إلى مدن إسطنبول وأنطاليا.

أسماء تركية

حصاد العرب من الدراما التركية لم يتوقف عند هذا الحد، إذ امتد تأثيرها على العائلات العربية التي أقبلت على اختيار أسماء أبنائها من الشخصيات الدرامية التركية أو أسماء الفنانين والفنانات التركية.

فقد أقبل المشاهدون والمتابعون للدراما التركية في الشرق الأوسط ودول شمال إفريقيا على اختيار أسماء تركية لأبنائهم مثل "هويام، سليمان، مهند، نور، مريم، كريم، أوزرلي، أينورن باريش".

اللغة التركية

بينما يلجأ بعض الشباب في الشرق الأوسط والعالم العربي إلى استخدام اللغة الإنكليزية خلال محادثاتهم كنوع من الثقافة والموضة، تطورت هذه الموضة إلى اللغة التركية في دول الخليج خاصة،

أوضحت الكاتبة التركية "فايزه جوموشلوأوغلو" أن بعض الشباب الخليجيين لجأوا إلى استخدام بعض العبارات والكلمات التركية متأثرين بالدراما التركية، خاصة في قطر.

لم تكن المسلسلات التركية وحدها أدوات الحرب الخاصة، فمؤسسات الوقف التركية (وقف الإغاثة الإنسانية IHH) ومساعدات التنمية الإنسانية (منظمة Tika)، مدارس إمام الخطيب ووقف الجماعات الإسلامية المنتشر عبر العالم،

مراكز الثينك ثانكس (Seta)، المنح الطلابية وتبادل الطلاب والباحثين (Türkiye Bursları)، مطار أتاتورك الدولي، وكالات السياحة، المساجد العثمانية والمتاحف القديمة، موضة إعفاء اللحية بين الشباب، "ستايل" اللباس ومحلات الألبسة التركية التّي صارت رائجة في العالمين العربي والغربي على حدّ سواء، على غرار ماركات آلسي وايكيكي LC Waikiki، كوتون Koton ومافي Mavi التركية، كلّها مظاهر تعكس شيئا من مفهوم القوة الناعمة الصاعدة في تركيا وتساهم في الترويج لثقافتها.

الحرب الخاصة التركية والصورة الذهنية عن الشعب العربي:

تقدم وسائل الإعلام التركية بحسب الباحث التركي فاروق بوزكوز صورة العربي كما تصورها وسائل الإعلام الغربية التي شوهتها افلام هوليوود: بدوي، غدار، لا يوثق به، زير نساء، غير متعلم، غير ديموقراطي وخانع. وهذه الصورة تتواتر يومياً من خلال تلك الأفلام. وهناك فريق آخرهم وإن عددهم قليل جدا في المجتمع التركي يرى أن "التشرذم العربي" وعدم استطاعتهم- أي العرب- السمو بأخلاقهم وتصرفاتهم، إضافة إلى خيانتهم للأتراك، هو أساس مشاكل الشرق الأوسط، لأن العرب لم يتركوا أثراً إيجابياً في المسلمين، بل إنهم كانوا قدوة سيئة للمسلمين جميعاً، بعد أن أوغلوا في الاجرام، فقتلوا عمر وعثمان وأحفاد النبي (الحسن والحسين)، إضافة إلى أنهم يمارسون الرذائل الشهوانية كافة ويعاقرون الخمر ويلعبون الميسر ويتعاطون الزنا لأن الفساد مختمر في أرواحهم.

ويؤكد بوزكوز ما ذهب إليه المفكر عبد الرحمن الكواكبي عن نظرة الاتراك للشعب العربي، حيث وبحسب الكواكبي أن افتخار الأتراك بمحافظتهم على غيرية رعاياهم (فلم يسعوا إلى استتراكهم) هو كذب وادعاء، لأن السبب الحقيقي وراء ذلك هو بغضهم للعرب واحتقارهم لهم، ويقدم دليلا على ذلك أقوالهم التي تجري على ألسنتهم مجرى الأمثال (ديلنجي عرب: العرب الشحاذون، عرب عقلي: عقل عربي أي صغير، بِسْ عرب: عربي قذر، وهم يطلقون لفظة عرب على الرقيق وكل حيوان أسود وإطلاقهم على المصريين (كور فلاح) بمعنى الفلاحين الأجلاف، و(عرب جنكنه سي) أي نَوَر العرب،... وقولهم عن عرب سوريا (نَه شامِكْ شَكِري وُ نَهْ عربك يُوزي) أي دع الشام وسكرياتها، ولا ترَ وجوه العرب...

و(عرب جكه سي) أي حنك عربي، أي كثير الهذر. وقولهم (نِزْدَهْ عرب نِزْدَهْ طنبور) أي، أين العرب من الطنبور؟

وانطلاقاً من تلك الصورة، حاولت الأنظمة التركية المتعاقبة الاستفادة من خيرات الدول العربية واستغلالهم في تمرير مخططاتها، فاصطنعت شخصية أردوغان لاختراق الجسد العربي الهزيل أصلاً بفعل بعض الحكام العرب، وساهمت الفضائيات العربية وعلى رأسها الجزيرة القطرية بابتكار تلك الشخصية وتقديمها للعرب على أنها المنقذ الوحيد، في حين استفادت تركيا وبشكل عملي من أردوغان في تخدير العرب وإمحاء ذاكرتهم عن المجازر التركية المرتكبة بحقهم.
وهذه بعض النماذج الواضحة لخداع أردوغان للعرب بغية كسبهم والتوغل في أسواقهم:

- **مسألة أردوغان وراسموسن:**

في 30 أكتوبر بالعام 2005 حدث أن نشرت صحيفة يولاندس بوست الدنماركية رسوم كاريكاتورية للنبي محمد ﷺ كانت بالنسبة للعرب والمسلمين إهانة كبيرة بحكم الاختلاف الثقافي بين بلد يعتبر الانبياء كلهم بشر قابلين للسخرية ولا يضع قيود على حرية التعبير وبين ثقافة تعتبر الانبياء ومن خلفوهم وأي شخص له لحية ممنوع مجرد التعليق عليه فكانت مظاهرات كبرى على الرغم من إعادة النشر عبر في خلال نفس العام فقط وأدى لموجة عجيبة من مقاطعة الدنمارك كأن الدولة هي من فعلت الشيء نفسه والمطالبة بسجن الرسام وغلق الصحيفة. في الرابع من نيسان 2009 تم الإعلان عن اختيار أندريس فوغ راسموسن كأمين عام للناتو في موقف تمت الموافقة عليه من كل الدول إلا تركيا التي فاوضت الدنمارك على اغلاق محطة روج الكردية لتوافق الدنمارك في النهاية وكذلك بلجيكا التي داهمت مقر القناة وأوقفتها، هنا فالمسألة سياسية بشكل واضح فأردوغان مقابل دعم راسموسن يشترط وقف قناة يراها مضادة لمصالح بلاده وتم الأمر في بلجيكا والدنمارك بالتزامن مع موافقة تركيا، فماذا فعل الإعلام العربي؟، بفجاجة قال الاعلام والصحف العربية أن أردوغان اشترط اعتذار راسموسن على الرسوم الدنماركية ليقبل تعيين راسموسن **-!!-** هذا طبعاً دون ذكر منهم للقناة الكردية وهي السبب الحقيقي في كذبة قذرة مقصود منها جلب تهليلات العرب للبطل الذي

يشترط الاعتذار حتى يوافق على تعيين راسموسن وزادت الكذبة لتذكر الجزيرة خبر أن راسموسن اعتذر، كل هذا لم يحدث وكان الأمر سياسي بإمتياز.

- **أردوغان و "العداء المصطنع" لإسرائيل:**

هنا نقسم تاريخ أردوغان مع إسرائيل لثلاثة أقسام:

.2016/2003

.2010/2006

.2013/2010

الفترة الأولى: 2006/2003:

حرص رجب طيب أردوغان في كل سياسات تركيا الخارجية على تنمية العلاقات التركية الإسرائيلية و عدم المساس بها و طمأنة إسرائيل كليةً على مصالحها و تدعيم هذه العلاقات الممتدة من الاعتراف بها 1949 إلى إرسال أول سفير في عهد عدنان مندريس 1952 ثم زيارة مندريس لإسرائيل 1948 لمناقشة سبل الدفاع المشترك ضد مصر وسوريا!

في 2005 زار أردوغان إسرائيل ودعا لإنشاء منطقة سلام عربية مع إسرائيل وإقامة سوق تجاري عربي/إسرائيلي بالمنطقة واصفاً الهولوكوست بمأساة إنسانية وجريمة ضد البشر داعياً لتطبيع عربي/إسرائيلي وقدم وفد من 200 رجل أعمال لموشية كاتساف رئيس إسرائيل كبداية لعلاقات تجارية تركية / إسرائيلية كبرى!، كذلك أشار لأن إيران خطر، وهناك طرح أردوغان فكرة وساطة تركيا من أجل السلام بين العرب وإسرائيل ووعد كاتساف بالدراسة لتقفز العلاقات التجارية التركية والاسرائيلية للقمة طوال عامين حتى 2007.

الفترة الثانية:2010/2006:

تميزت العلاقات التركية الاردوغانية مع إسرائيل هنا بميزة كبرى.. أولاً لم تتأثر بجدية بالعدوان على لبنان وغزة فهي توترت وتبادلوا الهجوم ثم عقدوا لقاءات صلح وقبلوا بعضم ورحلوا ! ثانياً تحولت تركيا لوسيط بين سوريا وإسرائيل لعقد معاهدة سلام وإلغاء السياسة الممانعة لسوريا ضد إسرائيل بدأً من عام 2006 مع إعلان شيمون بيريز أن الأصدقاء بأنقرة يتولون مسألة الوساطة و تأكيد وكيل وزارة الخارجية السورية على هذا !!، ونجد أمثلة كثيرة فوزير الخارجية السوري يقول لا مفاوضات مع إسرائيل بلا تركيا وتركيا كذلك تبدي استعدادها للوساطة

للمرة الثانية، إسرائيل بدورها توافق على الوساطة وتمر السنوات والأسد يصف تركيا بوسيط لا مثيل له ونيتانياهو يرى تركيا وسيط شرعي، تركيا تقوم بمناورات نسر الاناضول في 2009 مع إسرائيل بعد انتهاء غزو لبنان مع أن بيريز (تشاجر) مع أردوغان في بداية 2009 فهذا لم يمنع مناورات عسكرية بينما العرب يهللون لمغادرة أردوغان المكان الذي أتى له كصديق لإسرائيل!!، تستمر الوساطة وتعلن تركيا في 2010 استعدادها للوساطة بين سوريا وإسرائيل كما أسلفنا، الخلاصة أن العلاقات قوية حتى 2010 علناً وسراً وللعرب الهتاف بإنسحاب أردوغان من دافوس 2009 بينما لتركيا العلاقات القوية ومصالحها.

الفترة الثالثة:2013/2010:

في الفترة من 2010 إلى 2012 مرت فعلاً العلاقات بتوتر حقيقي بفعل الضغط الشعبي التركي على الحكومة الاردوغانية بسبب الغارة على سفينة مرمرة التركية بإسطول الحرية .. التصريحات والنكسات السياسية التركية امتدت على طوال الخط إلى اليوم فتركيا تتقهقر سياسياً امام إسرائيل ويُهان سفيرها ويُثبت ضعف ذكاء وزير خارجيتها والاعلام يصور هذا كإنتصارات تركية!!، العجيب أن وسط هذا الزخم هل فعلاً تركيا الاردوغانية على علاقات سيئة في الفترة من 2010/2012 مع إسرائيل؟؟

الاجابة لا، ببساطة السياسة متوترة لكن:

1- تركيا في 2011 أكبر جهات التصدير للبضائع الاسرائيلية (القطاع التجاري الاسرائيلي).

2- الصادرات الاسرائيلية لتركيا في النصف الاول من 2011 زادت من 425 مليون دولار الى 662 مليون دولار (القطاع التجاري الاسرائيلي).

3- تسريبات بتنازل تركيا عن مطالبها الخاصة بسفن الاسطول من محاسبة و عقاب للجيش الاسرائيلي!

4- التعاون الاسرائيلي الامني مع تركيا في 2010/2011 قفز للقمة! وزرع محطات التجسس في داخل الاراضي التركية وبالقرب من الحدود مع سوريا والعراق وايران وسوريا وبهذا الصدد يقول اوري لوبراني، أحد اعمدة اجهزة المخابرات الاسرائيلية والمسؤول عن ملف جنوب لبنان منذ الثمانينيات وحتى التقاعد بقرار من وزير الدفاع ايهود باراك عام 2009 ، بان تركيا قد "سمحت

لاسرائيل باستئناف نشاطاتها السرية ولتعمل بحرية مطلقة في ربوع الاراضي التركية، وخصوصا في منطقة ديار بكر جنوب تركيا، حيث انتشرت اجهزة التنصت والرصد والخدمات الاستخبارية، لتتابع عن كثب ما يجري في كل من العراق وسوريا ... كما عززت اسرائيل نشاطها ، فأقامت محطات استخبارية إضافية داخل الحدود التركية".

4- تركيا أبدت في سبتمبر 2011 تجاوباً مع مساعي كلينتون/أوباما للصلح وأعربت عن رغبتها في عودة العلاقات كما كانت.

- **بخصوص مسألة بيريز وأردوغان:**

في 30 يناير 2009 أثار أردوغان في أثناء منتدى دافوس نقطة العمليات العسكرية الإسرائيلية في غزة بنهايات 2008 ذلك أثناء وجوده مع شيمون بيزيز رئيس إسرائيل بشكل لم يمانع فيه أردوغان فهو قبل مبدأ الحضور والجلوس بجوار بيريز والحديث معه، حدث أن أعطى المنظم وقت طويل بلا مقاطعات لبيريز بينما لم يفعل المثل مع أردوغان حين وجد أن الجلسة تحولت لجدال سياسي محتدم يستهلك وقت أطول من المطلوب فغادر أردوغان المنتدى واصفاً بيريز بقاتل الاطفال و قال نصا:

(بما أنكم لم تمنحوني فرصة مساوية للسيد بيريز فأنا مغادر وهذه آخر زيارة لي لدافوس)

المسألة إذن أن أردوغان بعد العمليات العسكرية على غزة ذهب لمنتدى يوجد به وفد إسرائيلي يرأسه رئيس الدولة بنفسه في تصرف أثار في مصر ردود غاضبة حين أرسلت وفداً بينما لم يتحدث أحد عن وفد تركيا ثم جلس أردوغان بجوار بيريز وصافحه وتحدثا، هذا ما حدث هناك فماذا فعلت وسائل الاعلام؟

كانت تفاعلات وسائل الاعلام عجيبة فهي رصدت الامر ونقلته مترجماً بكلمات ثم علقت بكلمات أخرى فهي جعلت الأمر مغادرة أردوغان احتجاجاً على العمليات السابقة -طبعاً من حقنا التساؤل وماذا جعله يجلس بجواره ويحدثه أصلاً مادام محتجاً؟؟- و لأننا نسمع دون تفكير فقد قلنا بالتالي أردوغان ينسحب احتجاجاً على وجود شيمون بيريز متجاهلين كل ما سبق!!..المدهش أن الآلة الاعلامية الصحف وعلى رأسهما عبد الباري عطوان وفهمي هويدي عايروا الحكام العرب بهذا بينما

لم يجرؤ أحدهم على الجلوس مع بيريز كما فعل أردوغان أو النقاش معه كما فعل هو ووفده!! تحول الأمر من خلاف بسبب تقسيم الوقت والجدل السياسي بين بلديهما منذ العمليات العسكرية 2008 و قبلها عمليات لبنان 2006 و الذي لم يقطع العلاقات الى احتجاج على وجود وفد إسرائيلي. لعل أفضل حليف أمني لتركيا هو اسرائيل. وما يمدح السوق إلا من ربح فيه، فماذا ربح العرب من أردوغان لكي يروج له قسم من الإعلام العربي؟!.

الحرب الخاصة في سوريا

تتشابه جميع أنظمة الشرق الأوسط وإن أظهرت نفسها مختلفة، وخاصة في قضايا فرض الأيديولوجية القومية المستندة إلى اللغة الواحدة، العلم الواحد، والهوية الواحدة، والمبطنة بحجج الأمن القومي والوطني دون منح الاعتبار للقوميات والأعراق والطوائف والأديان المتعددة.

إضافة إلى سياسة إحداث التفرقة بين مكونات الدول التي تحكمها، تلجأ تلك الأنظمة إلى طرق أخرى بغية فرض سيطرتها، وأبرزها نشر الفقر وكسر إرادة الشعوب وجعلها تحتاج دوماً إلى الأنظمة لتسيير أمورها، إضافة إلى وسائل القمع طويلة الأمد، واحتكار مؤسسات المجتمع الأدبية والفنية، والتدخل حتى في مناسباته الاجتماعية ووضعها تحت مراقبة أجهزتها الاستخباراتية.

في سورية التي تمدنا أنظمتها المتعاقبة وبخاصة نظام الحزب الواحد "البعث" بنماذج قمعية فريدة ضد الشعوب السورية وفي مقدمتها الشعب الكردي، تتعايش أكثر من 18 قومية وطائفة دينية بجوار بعضها البعض دون مشاكل جدية تذكر، على الرغم من سياسة التفرقة العنصرية التي سيرتها الأنظمة السورية خلال تاريخ سورية الحديث، وحاولت من خلالها ضرب المكونات ببعضها البعض وتقوية سلطتها على حساب التناقضات التي تعمل على إحداثها بين تلك المكونات.

خصائص الحالة السورية بعد استلام البعث وإجراءاته الخاصة:

1- انعدام الحياة السياسية وتأليه الحاكم:

لا توجد حياة سياسية في سورية بالمعنى الحقيقي وخاصة منذ مجيء حزب البعث عام 1963 إلى الحكم، بمعنى أنه ليس هناك رأي للشعب في أوضاعه المختلفة،

وبمعنى أنه ليست هناك مشاركة من أطياف الشعب المختلفة في قيادة البلاد وتوجيهها، وبمعنى أنه ليست هناك انتخابات حقيقية وليست هناك محاسبة للمسئولين وليس هناك تداول للسلطة إلخ.....، فلا يوجد شيء مما ذكرنا، بل إن الحياة السياسية اختزلها الحزب –في البداية- بأعضائه.

قمع الحريات والتعبير وخنق الصحافة وتبعيتها التامة للنظام والصحف الرسمية هي صحف النظام. والصحف التابعة لأحزاب الجبهة مراقبة أمنيا بحيث لا تتجاوز السقوف التي يحددها الأمن، بل ويزرع الجهاز الأمني أعوانه في تلك الصحف، خارج ذلك لم يتم تأسيس أي منبر صحفي، وحين سمح بتشكيل صحف خاصة أيضا مارست العقلية الأمنية تسلطها عليها، ودفعت أعوانها لتأسيس عدد منها وما عدا ذلك فإن الصحيفة تغلق، ويحاسب القائمون عليها. وأي منشورات تعتبر منشورات سرية ويحاسب من يوزعها ومن يمتلكها بالاعتقال والتعذيب. ويستثنى من ذلك الجرائد والمجلات الكردية التي بقيت ممنوعة بمجمل الأحوال.

2- تدهور الأوضاع الاقتصادية وانتشار الفقر:

تعتبر سورية بلداً غنياً بموارده الطبيعية، فهي تحتوي سهولاً خصبة ومياهاً وافرة، وتحتوي أيادي عاملة ماهرة، كما تحتوي تنوعاً طبيعياً بين جبال ووديان وسهول إلخ....، وقد دأب الحكم على مصادرة الأراضي والادعاء بأنها لأغراض ومنافع عامة، مما اضطر أهلها للهجرة من مكانهم التاريخي (غادر الجزيرة، المنطقة التي كان يقال إنها ستطعم سورية وجزءاً من الوطن العربي، ما بين ثلاثمائة ألف ومليون مواطن خلال الأعوام الستة الماضية، وقد بدأت المنظمات الدولية توزع هناك ثلاثة وعشرين ألف سلة غذاء يومياً). وقد هاجر السوريون الذين صودرت أراضيهم ومزارعهم إلى مدن صفيح في ضواحي المدن، تحيط بمدن صفيح أقدم، محرومة من معظم الخدمات الحياتية، هي في حقيقتها سكن عشوائي، يعيش فيها 42 بالمائة من السوريين (المتوسط العالمي 8 بالمائة).

ونستطيع أن نقرر بكل وضوح ودقة بأن سورية أصبحت قسمين: الأول: قلة من الناس تملك كل شيء وهم قيادات البعث والنظام ومن حولهم نهبوا كل خيرات ومقدرات سورية. والثاني: وهم معظم الشعب لا يملكون ولا يجدون قوتهم وهم في فقر مدقع.

رفع النظام الشعارات الاشتراكية وتستر خلفها، بينما كانت العائلة والأجهزة الأمنية والمتنفذين ينهبون القطاع العام بالرضى والتراضي واقتسام موارد البلاد فيما بينهم.

3- انعدام الكرامة:

أحس المواطن السوري بأنه لا كرامة ولا قيمة له، فهو معرض للاعتقال دون أسباب تذكر، وإن اعتقل فلا يعرف أحد في أي فرع قد اعتقل، وقد يبقى السنين الطوال ولا يراه أهله، ولا توجه له أية تهمة خلال سنين الاعتقال التي قد تمتد إلى عقد أو عقدين، ولا يقدم إلى أية محاكمة، وقد يتوفى في السجن دون أن يعرف أهله حقيقة ذلك، وهذا الأمر قد حدث مع عشرات الآلاف من المواطنين السوريين، إن إحساس المواطن بأنه لا كرامة له عند هذا النظام.

4- تفشي الظلم وانعدام المساواة:

يعاني المواطن السوري من تفشي الظلم وانعدام المساواة، ولا يصل إلى حقوقه في أي مجال اقتصادي أو تجاري أو سكني أو مالي أو تعليمي إلخ..... بشكل متساو مع المواطن الآخر من أبناء أعضاء وقيادات البعث، ولا يصل إلى بعض حقوقه إلا من خلال الأجهزة الأمنية.

5- تغوّل الأجهزة الأمنية وسحقها للمواطن:

عطّل النظام البعثي كل عوامل الحياة الطبيعية في سورية من حياة سياسية واجتماعية واقتصادية إلخ وربطها بالأجهزة الأمنية، لذلك نستطيع أن نقول –بكل اطمئنان- أن عصب النظام الأسدي هو الأجهزة الأمنية، لذلك تعددت الأجهزة الأمنية وأصبح عددها (17) جهازاً، عدد العاملين فيها 365 ألف وارتفع العدد بعد عام 2011، وبلغت ميزانيتها ضعف ميزانية الجيش السوري، وشكلت –هذه الأجهزة- في مجموعها أخطبوطاً أحاط بالمواطن وأحصى أنفاسه، وحاسبه على كل تحركاته وسكناته، وبث الخوف والرعب اللامحدود في كل كيانه، وجعله قلقاً ومتوتراً من أن يقع في قبضة أحدها، وربط النظام بهذه الأجهزة كل شؤون المواطن من سفر وتصدير وبيع وشراء وتجارة وتعليم وإعلام إلخ.....، وهذا ما جعلها تتغول وتصبح كابوساً في عقل المواطن ونفسه.

6- عمل النظام على إثارة النزعات الطائفية، وفكفكة بنية المجتمع السوري، والاعتماد على رجال دين موالين لنظامه يروجون لخطابه، ويعززون

سياسته تلك. وكان دائما يلوح للمجتمع الدولي والمكونات السورية في الداخل بشبح الإسلام السياسي.

7- خنق النشاط الثقافي والاجتماعي من خلال حصر المراكز الثقافية بحزب البعث، و كان يحاصر المنتديات والحركات الاجتماعية ويحاسب ويعتقل القائمين عليها.

بعض القوانين القمعية الخاصة التي حرمت الشعب السوري من حرياته الأساسية:

أ – قانون حالة الطوارئ الصادر بالمرسوم التشريعي رقم (51) تاريخ 1963/12/22 وهو أول يوم للانقلاب العسكري الذي أوصل حزب البعث إلى السلطة وإعلان حالة الطوارئ المعلنة بالأمر العسكري رقم (2) تاريخ 1963/3/8 والتي ما زالت قائمة حتى كتابة هذه السطور.

ب – قانون إحداث إدارة أمن الدولة، الذي ألغى المساواة بين المواطنين أمام القضاء، بمنع القضاء من ملاحقة رجال الأمن عن الجرائم التي يرتكبونها أثناء مزاولتهم لأعمالهم، أو بسببها، ولو اتخذ المتضرر صفة الادعاء الشخصي، إلا بطلب من رؤسائهم.

ج – قانون حماية الثورة الصادر بالمرسوم التشريعي رقم (6) تاريخ 1965/1/7 والذي يعاقب على الرأي الحر المخالف لرأي الحزب الحاكم، بوضع صاحب هذا الرأي في سجن الأشغال الشاقة مدى الحياة.

وقد طبّق هذا القانون على دعاة حقوق الإنسان، فقد اعتبرت محكمة أمن الدولة أن الدعوة إلى احترام حقوق الإنسان، والانتقاد الموجه إلى انتهاكات هذه الحقوق، مخالف لتطبيق النظام الاشتراكي، وجرّمت لجان الدفاع عن الحريات الديمقراطية وحقوق الإنسان، لإصدارهم بياناً طالبوا فيه برفع حالة الطوارئ في سورية، وإلغاء الأحكام العرفية، ووقف الاحتجاز التعسفي، والإفراج عن السجناء السياسيين، وحكمت بوضعهم في سجن الأشغال الشاقة.

تقنين القهر والانتهاك لتدجين المجتمع

كُرس في الوعي المجتمعي عدة "قوانين"، تم استنباطها من السلوكيات الجمعية للأجهزة الأمنية بدءً من إجراءات الاعتقال ومروراً بالتحقيق وما يتبعه من وسائل لاإنسانية لانتزاع الاعترافات وصولاً للمعاملة السيئة في المعتقل، وغدت هذه السلوكيات قوانين، خاصة بعد تثبيت أركان السلطة إبان أحداث الثمانينيات ينتهجها الفرد وتتبناها المؤسسة، ويمكن ذكر أهمها:

- إعطاء الأجهزة الأمنية صلاحية مفتوحة للاعتقال والتفتيش والتحري والاستجواب والحجز ومراقبة الاتصالات والتوقيف العرفي لأي مواطن دون الرجوع إلى السلطة القضائية. وليس لهذه الأجهزة حدود لسلطتها إزاء تنفيذ هذه الإجراءات ولا يلتزم أي فرع أو قسم بالمهلة القانونية المحددة للحجز أو الاعتقال فقد تدوم مدة الحجز عدة أشهر أو سنوات دون عرضه على القضاء.
- حرمان المواطنين من ممارسة حقهم في الطلب من القضاء البت بشرعية توقيف أي شخص، وحجب حق الدفاع عن المعتقل أو توكيل محام خلال فترة توقيف المعتقل لدى الأجهزة الأمنية، بالإضافة إلى منع ذوي المعتقل من معرفة مصيره أو التهم الموجهة إليه وعدم إمكانية زيارته أو حتى معرفة مكان توقيفه.
- تجاوز الأجهزة الأمنية صلاحياتها المعطاة لها بقوانين إحداثها وتدخلها بقضايا ليست من صلاحياتها كتدخل الأمن العسكري بشؤون المواطنين المدنيين في قضايا ليس لها علاقة بالشؤون العسكرية وتدخله بالحركات والأحزاب المعارضة، وضغط الأجهزة الأمنية على جميع الأحزاب المؤيدة منها والحيادية وملاحقة أعضاء الأحزاب المعارضة.
- تتقدم الأجهزة الأمنية بطلب مراقبة اتصالات لأي شخص أو جهة خارج حدود القانون، فباستطاعة أي جهاز أمني أن يقوم بمراقبة اتصال أي شخص حتى وإن كانت الغاية من ذلك شخصية، كما إن عمليات المراقبة السرية للمشتبه بهم وما ينتج عن هذه المراقبة من أشرطة فيديو وصوت قد يتم تسريبها أو انتهاكها من قبل أشخاص غير نزيهين من داخل الأجهزة الأمنية.
- غياب الرقابة الفعّالة على عمل المسؤولين الأمنيين مما يؤدي إلى تجاوزات أدت في كثير من الأحيان إلى وفاة المعتقلين، وتسببت في حالات اغتصاب وقتل بشكل سري دون التحقيق في أسباب هذه الحوادث.

- قيام الأجهزة الأمنية باعتقال الآلاف من السوريين دون معرفة الأسباب، وغالبية المعتقلين لا يتم إحالتهم إلى القضاء إلا بعد أشهر حيث تتم إحالتهم إلى القضاء العسكري ومحكمة مكافحة الإرهاب وهناك الآلاف من المعتقلين قتلوا في سجون النظام من التعذيب.

الحرب الخاصة ضد "المواطنين من غير العرب"!

في برنامج "التجمع الوطني الديمقراطي في سورية" حيث كان الإطار الأساس للمعارضة "الديمقراطية" في سورية والذي صدر بتاريخ 2001/12/20 يتطرق إلى الكرد بشكل خجول ويسمي الكرد "المواطنين من غير العرب"، فالعروبة، والحال هذه، هي مقياس تصنيف البشر والشعوب وهي المنظار الوحيد الذي ينظر به التجمع إلى الآخر. يتم هنا تجاهل ذكر الكرد شعباً - قومية - ثقافة - حركة سياسية. كما يخلو البرنامج من أية إشارة إلى تعدد القوميات أو الثقافات أو الإثنيات (عرب وكرد وآشور وأرمن ..) فهو يوحي للقارئ بأن المجتمع السوري هو عروبي بأكمله. وإذا كانت تلك الحالة هي لسان "المعارضة" السورية آنذاك، فما بالك بإجراءات النظام الذي بات بحالته العميقة مجرد كتلة من الاجراءات الخاصة ضد الشعوب في سورية.
وإذا كانت مقاربات "المعارضة" بهذا الحال، فما بالك بمقاربات النظام؟!
في مقابلة له على التلفزيون السوري عام 2003 ظهر السيد أحمد الدريس "مدير الثقافة" في الحسكة ليشرح الثقافات الموجودة في مقاطعة الجزيرة، بالطبع، كأحد أبناء الجزيرة كان باهراً في تجاهل وإنكار الثقافة والفلكلور الكردي "جيرانه" في الجزيرة على الرغم من أنه متزوج من سيدة كردية الأصل لا تزال تتحدث بلغتها. قبلها بأيام دعت مديرية الثقافة في الحسكة إلى (اسبوع التراث الشعبي الجزري) وبدأت بمحاضرة للسيد أحمد الدريس بعنوان "الحيوان في التراث الشعبي ببادية الجزيرة السورية" كما قدم في يومي الأحد والاثنين محاضرتان بعنوان : التراث الغنائي الميردلي في حلقتين ساهم فيهما كل من الأب الباحث يعقوب فرجو- كرم درويش – حسن عزيز – عبد القادر خلف – ومحاضرة أخرى بعنوان: مغنو

الربابة في الجزيرة – لعبد محمد بركو – محمد سويحل بالإضافة إلى امسية شعرية ولوحات مسرحية عن تقاليد الجزيرة مسرحياً.
والملاحظ عدم تضمن كل تلك المحاضرات والفعاليات اية اشارة إلى الفلكلور والتراث الكردي – وهو تراث الأكثرية الساحقة للمواطنين الأصليين في الجزيرة – وهو ثاني قومية في سوريا وهذا التصرف جزء من الموقف الشوفيني العروبي تجاه الكرد رغم التوقف عند تراث منطقة ماردين أو تراث البدو وهذا العمل تنفيذ قذر لوصايا محمد طلب هلال. هذا المثال، يظهر بشكل جليّ مدى عمق الاجراءات الخاصة التي طبقها النظام البعثي عن طريق أدواته ضد الشعب الكردي وحتى ضد شعوب سوريا بأكملها.
في الواقع أفكار ومشاريع إنكار الهوية الكردية تعود الى ما قبل هذا التاريخ بكثير، تعود إلى ثلاثينيات القرن المنصرم، فزكي الأرسوزي الذي أصبح احد مؤسسي حزب البعث فيما بعد، كان ينظر الى ثورة ابراهيم هنانو بعين الشك، حيث كان يعتبر ابراهيم هنانو اكثر خطرا من الفرنسيين لكونه كُردي، أما ميشيل عفلق المؤسس الآخر لحزب البعث العربي وأمينه العام، لم يرضى على ضم الكُرد في الحزب الإشتراكي العربي الذي كان يترأسه أكرم الحوراني عند توحيد الحزبين المذكورين، وإنشاء حزب البعث العربي الاشتراكي عام 1952.
في كتابه، تاريخ الكرد الحديث، يكتب ماكداول: "بعد الانقلاب على الشيشكلي عام 1954 بدأت موجة معاداة الكرد تبدأ بالتصعيد، حيث تم إبعاد الضباط و صف الضباط الكرد من الجيش، تم حظر أسطوانات الأغاني والمطبوعات الكردية وإتلاف المتناول منها، وسجن ممتلكيها".
و لكن هذه لم تكن المرة الأولى التي يتم حظر الأغاني والمطبوعات الكردية، ولكن كانت الأولى في ضبطها وإتلافها. قبل هذه الحادثة بثماني عشرة سنة تم حظر أسطوانة لسعيد آغا جزراوي من قبل سلطة الانتداب الفرنسي بناءً على طلب من حكومة أنقرة، بذريعة صفة الأغنية الدعائية للقومية الكردية ضد حكومة أنقرة (وايت، 2011) وجرت في عهد الوحدة بين سوريا ومصر، عمليات تصفية ضباط الكُرد من الجيش، حيث تم طرد العشرات منهم.
منذ خمسينيات القرن العشرين تتبنى الحكومات المتعاقبة على سوريا سياسة القومية العربية، ولذلك اعتنقت هذه الحكومات سياسة قمع الهوية الكردية؛ لأنها

ترى فيها تهديداً لوحدة "سوريا العربية". وفي عام 1962 أجرت الحكومة إحصاءً في محافظة الحسكة. وأجرت الحكومة الإحصاء في يوم واحد، ولم تمنح السكان ما يكفي من وقت أو معلومات عن العملية.

وبالنتيجة، نزعت السلطات الجنسية عن نحو 120 ألف كردي، كان عدد منهم من خدم في الجيش السوري، وتركتهم بلا جنسية في مواجهة مختلف أنواع المشكلات، من الحصول على الوظائف إلى الحصول على خدمات الدولة. نما عدد الكرد عديمي الجنسية في سوريا تزايد منذ ذلك التاريخ كي يبلغ نحو ثلاثمائة ألف، لأن أبناء عديمي الجنسية يعتبرون هم أنفسهم بلا جنسية بدورهم.

نتج عن الإحصاء الكثير من السقطات الأخلاقية والقانونية. منها حرمان من يملكون سندات تمليك منذ العهد العثماني، أو ممن خدموا في الجيش السوري من الجنسية السورية. كان من المضحك المبكي أن يحافظ أحد الأخوة على جنسيته، في الوقت الذي جرد منها أشقاؤه الآخرون، الذين حرموا بذلك من حقوقهم في تثبيت الزواج والولادات والسفر والاستفادة من المزايا التي يمنحها حق المواطنة.

مع مرور الزمن، ونتيجة لعدم القدرة على تسجيل الواقعات المدنية "لأجانب" المحافظة في السجلات الرسمية، ولدت مشكلة أخرى هي مشكلة مكتومي القيد الذين أصبحوا بشراً بلا هوية، لعدم وجود قيود لهم في سجلات المواطنين أو حتى في سجلات الأجانب. أما السبيل الوحيد المتبقي لهؤلاء لإثبات وجودهم، فكان الحصول على شهادة تعريف من مختار الحي، لكن هذا الأمر كان بدوره عرضة للتشدد الأمني، حيث تمنح أو تسحب شهادات التعريف وفق المزاج الذي كان يحكم تصرفات أجهزة الاستخبارات وعناصرها.

في 1996/7/12، أرسلت الحكومة السورية رداً إلى منظمة هيومان رايتس وتش تجيب فيها على عدة أسئلة طرحتها المنظمة. وهي تعطي أرقاماً قريبة من (142465 بالنسبة للمحرومين من الجنسية). لكن القسم القانوني يثير الرثاء ولا يتطرق لأي من التزامات سورية الدولية، بما فيه توقيعها الأخير على معاهدة حقوق الطفل. في حين نبصر جملة في التقرير الحكومي الحالي تستحق التوقف وهي أن كل شخص ولد في سورية، ولم يكن عند ولادته يملك الحق في أية جنسية أخرى عبر النسب (الطفل المولود في سورية من أب فقد جنسيته الأصلية لأي

سبب كان يعتبر عربيا سوريا). هذه الجملة تشمل ثلثي الكرد المحرومين من الجنسية والمكتومين.
وصل حزب البعث إلى السلطة في عام 1963 واستمر في سياسة إنكار الهوية الكردية بدعوى تعزيز القومية العربية. عنصر أساسي لهذه السياسة تشجيع بعض الموالين من المواطنين العرب على التوطن بالمناطق التي يقيم فيها الكرد تقليدي وتشكيل "حزام عربي"، يفصل الكرد السوريين عن كرد تركيا والعراق، الذين كانوا بدأوا في المطالبة بحقوقهم. وأعدت الحكومة خطة ل "الحزام العربي" في عام 1965 وكان المخطط يشمل تشكيل حزام بعمق 15 كيلومتر اً (نحو 9 أميال) على امتداد مساحة 280 كيلومتر اً (174 ميلا) بطول الحدود مع تركيا. وكانت الخطة تشمل أيضا ترحيل الكرد المقيمين في قرى تدخل في نطاق هذا الحزام في المناطق السورية.
وبدأت الحكومة في تنفيذ خطة إعادة التوطين مطلع السبعينيات، لكن تحت مسمى جديد: فقد استبدلت الحكومة اسم "الحزام العربي" باسم "خطة إنشاء مزارع نموذجية للدولة في محافظة الجزيرة". وبموجب المبرر الجديد للخطة، أنشأت الحكومة "قرى زراعية نموذجية" في المنطقة الكردية وشغلتها بمؤيديه "دون غيرهم" من المواطنين العرب. وصادرت الحكومة الأراضي التي شيدت عليها هذه "المزارع النموذجية" من مُلاكها الكرد، سواء تحت غطاء الإصلاح الزراعي أو لأن الملاك كانوا كرداً تم سحب جنسيتهم منهم في عام 1962. وفي عام 1975 أعادت الحكومة.
تغير الاسم الرسمي للدولة منذ عام 1961 إلى الجمهورية العربية السورية، وهو ما يعني في جوهره عدم الإقرار بغير العرب.
وعملت السلطات السورية على توطين ما يُقدر عددهم بأربعة آلاف أسرة من المكون العربي، ممن كانت أراضيهم قد غمرت بالماء أثناء بناء سد الطبقة على الفرات، في 41 "مزرعة نموذجية" في قلب المنطقة الكردية. وجمدت الحكومة مشروع "الحزام العربي" في عام 1976.
واستهدف النظام البعثي من وراء هذه العملية تشتيت الشعب السوري ودق الاسفين بين صفوفه لمنعه من التمرد على النظام وتجاهل مظالمه بحق مكونات سورية.

وكذلك وضع قنبلة موقوتة في العلاقات العربية – الكردية التاريخية والتي استندت إلى التفاهم وتبادل الثقافة والعادات الاجتماعية.

منع اللغة الكردية وكذلك الثقافة:

وبموازاة ذلك، ركزت الحكومات المتعاقبة على قمع الهوية الكردية، عبر تقييد استخدام اللغة الكردية علناً، أو في المدارس أو في أماكن العمل، مع حظر المطبوعات باللغة الكردية، وحظر الاحتفالات بالأعياد الكردية، مثل عيد النوروز، وهو رأس السنة الكردية. في عام 1986 شهد عيد النوروز مظاهرات كردية في دمشق وتدخلت الشرطة وراح ضحية لهذا التدخل شابٌ كردي واعتقل آخرون. ونتيجة لهذه الأحداث قام حافظ الأسد بتمرير قانون يعلن فيه 21 آذار عيداً للأم.

في 1986/11/11 نشر محافظ الحسكة القرار رقم 1012/ص/25 الذي يمنع استخدام اللغة الكردية في أماكن العمل. في 3 ديسمبر/ ك1 1989، أصدر محافظ الحسكة، محمد مصطفى ميرو، القرار 1865/ص/25 ليؤكد هذا المنع ويضيف إليه الأغاني غير العربية في الأعراس والأعياد، في تعارض مع معطيات الدستور السوري نفسه.

في الوقت نفسه، صدر القرار 122 عن وزير الداخلية الذي يربط تسجيل الأطفال الكرد بالجهات الأمنية المختصة. ومنذ أكتوبر ت1 1992، رفض تسجيل عشرات الأطفال الكرد لأن أهلهم اختاروا اسماً كردياً.

في عام 1998 نشرت الاستخبارات السورية عملائها بين الطلبة الكرد في مدارس الحسكة الإعدادية والثانوية، وكانت مهمتهم مراقبة ومن ثم ملاحقة الطلبة الذين يتحدثون اللغة الكردية حتى في أوقات الاستراحة.

إن اللغة الكردية غير معترف بها كلغة رسمية في سوريا، ولا يتم تدريسها في المدارس. وظل نشر المواد باللغة الكردية ممنوعاً منذ العام 1958. وفي العام 1987، ورد أن وزير الثقافة عمد إلى توسيع نطاق الحظر ليشمل الأشرطة السمعية والبصرية (الفيديو) للموسيقى الكردية استماعاً وتوزيعاً. ووفقاً لبعض المصادر، فقد أُعيد التأكيد على حظر تدريس اللغة الكردية في المدارس والجامعات بموجب مرسوم سري صدر في العام 1989، وحظر كذلك استخدام اللغة الكردية في جميع المؤسسات الرسمية.

والقيود على اللغة الكردية – والتي تستمر رسمياً حتى الآن – تتناقض مع معاملة سوريا للمكونات غير العربية الأخرى، مثل الأرمن والآشوريين، المسموح لهم بإنشاء مدارس خاصة وأندية وجمعيات ثقافية، يتم فيها تعليم لغتهم كوسيلة لكسب ولائهم للنظام. وفي كتب الجغرافيا المدرسية عام 1967 سقط أي ذكر للكرد في سوريا، وبدأ مسؤولوا السجل المدني يضغطون على الكرد كي لا يطلقوا أسماءً كردية على أبنائهم.

كما غيرت الحكومة أسماء مناطق وقرى كردية لمنحها "هوية عربية"، وتم هذا في أحيان كثيرة بواسطة لوائح إدارية في عام 1977. حتى الدستور السوري، الذي أُقر في 13 مارس/آذار 1973 ، يُركز على القومية العربية ويستبعد أي ذكر لأية هويات إثنية أخرى، إذ ورد فيه: "الشعب في القطر العربي السوري جزء من الأمة العربية".

وفيما قمع نظام البعث الشعب الكردي كجماعة، إلا أنه سمح لبعض الأشخاص من الكرد باعتلاء مناصب في السلطة. على سبيل المثال، في عام 1964 عينت السلطات الشيخ أحمد كفتارو، وهو كردي، في منصب المفتي العام في سوريا.

وتمكن كرد آخرون من بلوغ مناصب رفيعة في الحكومة، مثل محمد أيوبي، رئيس الوزراء في الفترة من 1972 إلى 1976 ولآخرين قليلين مقاعد في مجلس النواب وفي مناصب في السلطة المحلية. وكثير اً ما يذكر المسؤولون السوريون "هؤلاء الأكراد" كدليل على المساواة مع العرب واندماجهم في الدولة. إلا أن هؤلاء الأشخاص ما كانوا ليبلغوا تلك المناصب إذا كانوا أظهروا أي دعم للمطالبة بحقوق الشعب الكردي في سوريا.

تحت مسمى الاصلاحات، بدأ عبد الناصر بإجراء تغييرات في سوريا، وأول ما تأثر بهذه التغييرات كان الوضع الثقافي الكردي، حيث حظرت المنشورات والموسيقا الكرديتين و ذلك بضبط أقراص الأغاني الكردية ومصادرتها من قبل السلطات وغالباً ما كان أصحابها يتعرضون للاعتقالات.

و لكن من أخطر نتائج التغييرات التي أثرت على حاضنة الأغنية والموسيقا الكردية هي تلك التي أحدثت تحت مسمى استصلاح الأراضي، مجردةً الآغوات والبكوات الكرد من نفوذهم وأملاكهم، حيث كانت دواوينهم – دواوين الآغوات والبكوات – المكان الذي يلتقي فيه المغنون الشعبيون ومغنو الملاحم ليسردوا

قصص البطولات والعشق الكردية. على سبيل المثال ديوان أبناء شاهين بيك في كوباني كان يصدح بأصوات مشو بكبور برازي وخدو هنداوي ومن بعده ابنه باقي، حيث يسهر الناس على سردهم الغنائي للملاحم الكردية.
أطلق عبد الناصر حملات معادية للكرد والشيوعيين مصوراً إياهم بالخونة والانفصاليين وربط القومية الكردية بالصهيونية والإمبريالية الغربية، وقد تم استبعاد الضباط الكرد من الجيش كنتيجة لذلك (يلدز، 2005).
كما كان ممنوعاً الغناء باللغة الكردية في الساحات أو المناسبات العامة. وكان الفنانون يتعرّضون للملاحقة بعيد غنائهم في عيد النوروز مثلاً. واقتصرت الأغنيات على الأعراس. في عام 1987 تعرض الفنان محمد شيخو للاعتقال بسبب غنائه وحيازته لكاسيت فرقة "برخودان"، ومن المفارقات أن قرار الاعتقال صدر من محافظ الحسكة الذي يعْتقد بأنه ذو أصول كردية محمد مصطفى ميرو. وتوفي محمد شيخو في 9 آذار اثر مرض مفاجئ بعد يوم من اعتقاله وتعذيبه على يد المخابرات السورية حيث انهم قد قاموا بخلع اظافره وقطع احد اصابعه وتسميمه عدة مرات بسبب اغانيه القومية التي كانت تطال الحكومة السورية احيانا.

خطة الملازم اول محمد طلب هلال رئيس الشعبة السياسية بشأن القضية الكردية في 12/11/ 1963

في 12 تشرين الثاني عام 1963، قام الملازم محمد طلب هلال الذي كان رئيس الاستخبارات السابق في الحسكة، بنشر دراسة عن الجزيرة، استهدفت دراسته الوجود الكردي في الجزيرة لأنه وبحسب هذه الدراسة أُعتبر الكرد أعداءً يشبهون كتلة مرضية في جسد الأمة العربية ويجب التخلص منهم. اشتملت دراسته على عدة أمور، مثل تهجير الكرد ورفض التعليم في مناطقهم، والاستيلاء على أراضيهم، بالإضافة إلى تشكيل "حزام عربي" يمتد مسافة 280 كم على طول الحدود التركية، من سريه كانيه "رأس العين" غرباً إلى الحدود العراقية في الشرق. أدت الخطة إلى عمليات نزوح وتهجير لـ 140,000 كردي وتم استيطان حوالي 332 قرية كردية من قبل "العرب الغمر"، وقد تم تنفيذ الخطة كاملة في العام 1973 في عهد حكم حافظ الاسد.
وفيما يلي جزء من الخطة كما وردت:

لابدّ لنا في زحمة الأحداث من أن تعالج الأمور ببرودة العقل ولهيب الإيمان، بعيدة كل البعد عن أن تكون المعالجة صدى أحداث يومية، أو جانبية، أو ردة من ردود الفعل، حتى لا نقع في الشرك والتخطيط الذي يرسمه الأغيار.

علينا أولاً أن نتجنبَ مواطن الزلق، لنرسي أسس التخطيط على العلم والدراسة الشاملة ضمن هذه المرحلة التاريخية التي نمرّ بها، حيث أصبح معلوم لدينا بشكل واضح وجلي، أننا نخوضها في شمالي قطرنا العربي العراقي، معركة عقيدة وسلاح، فلابدّ أن نشرع، وعلى الفور من الانسجام في التخطيط مع ما نقوم به من عمليات في شمالي العراقي، وفي هذه المرحلة بالذات، إذ ما الفائدة أن تنتهي هناك، وتبقى هنا وعلى مستوى من الدلال، أو القريب من الدلال باسم المواطنة، وقد بان وظهر كل شيء، وانكشفت جميع الأوراق هنا وهناك، وفي تركيا وإيران أيضاً بالنسبة للأكراد. لذا نقترح أن يوضع تخطيط شامل بالنسبة للجزيرة، وجذري، كي لا تعود المشكلة من جديد بعد فترة من الزمن، أو فترات، فالمنطقة كلها كما علمنا في تركيا والعراق وسوريا، بل وحتى إيران، ملتحمة مع بعضها على طول الحدود، وعلينا استغلال موقف تركيا الآن، لأنه قد يتغير في المستقبل وفق أهواء السياسة الاستعمارية، حيث هم الآن يهجّرون كل عنصر خطر إلى داخل البلاد؛ لذا فأننا نقترح:

1- أن تعمد الدولة إلى عمليات التهجير إلى الداخل، مع التوزيع في الداخل، ومع ملاحظة عناصر الخطر أولاً فأولاً، ولابأس أن تكون الخطة ثنائية أو ثلاثية السنين ، تبدأ بالعناصر الخطرة، لتنتهي إلى العناصر الأقل خطورة... وهكذا.

2- سياسة التجهيل: أي عدم إنشاء مدارس، أو معاهد علمية في المنطقة، لأن هذا أثبت عكس المطلوب بشكل صارخ وقوي.

3- إن الأكثرية الساحقة من الأكراد المقيمين في الجزيرة، يتمتعون بالجنسية التركية. فلابدّ لتصحيح السجلات المدنية، وهذا يجري الآن، إنما نطلب أن يترتب على ذلك إجلاء كل من لم تثبت جنسيته، وتسليمه إلى الدولة التابع لها. أضف إلى ذلك يجب أن يدرس من تثبت جنسيته دراسة معقولة، وملاحظة كيفية كسب الجنسية، لأن الجنسية لا تكسب إلا بمرسوم جمهوري. فكل جنسية ليست بمرسوم، يجب أن تناقش، تبقي من تبقي، أي الأقل خطراً، وتنزع من تنزع عنه الجنسية، لنعيده بالتالي إلى وطنه.

ثم هناك تنازع الجنسيات، فانك تجد أحدهم يحمل جنسيتين في آن واحد، أو قل ثلاث جنسيات، فلابد والحالة هذه أن يُعاد إلى جنسيته الأولى، وعلى كل حال، فالمهم ما يترتب على ذلك الإحصاء والتدقيق من أعمال، حيث يجب أن تقوم فوراً عمليات الإجلاء.

4- سد باب العمل: لابدّ لنا أيضاً مساهمة في الخطة من سدِّ أبواب العمل أمام الأكراد، حتى نجعلهم في وضع، أولاً غير قادر على التحرك، وثانياً في وضع غير المستقر المستعد للرحيل في أية لحظة، وهذا يجب أن يأخذ به الإصلاح الزراعي، أولاً في الجزيرة، بأن لا يؤجر، ولا يملك الأكراد، والعناصر العربية كثيرة وموفورة، بحمد الله.

5- شن حملة من الدعاية الواسعة بين العناصر العربية ومركّزة على الأكراد، بتهيئة العناصر العربية أولاً لحساب ما، وخلخلة وضع الأكراد ثانياً، بحيث يجعلهم في وضع غير مستقر.

6- نزع الصفة الدينية عن مشايخ الدين عند الأكراد، وإرسال مشايخ بخطة مرسومة عرباً أقحاحاً، أو نقلهم إلى الداخل، بدلاً من غيرهم، لأن مجالسهم، ليست مجالس دينية أبداً، بل وبدقة العبارة مجالس كردية، فهم لدى دعوتنا إياهم، لا يرسلون برقيات ضد البرزاني، إنما يرسلون ضد سفك دماء المسلمين، وأي قول هذا القول!

7- ضرب الأكراد في بعضهم، وهذا سهل، وقد يكون ميسوراً بإثارة من يدّعون منهم بأنهم من أصول عربية، على العناصر الخطرة منهم، كما يكشف هذا العمل أوراق من يدّعون بأنهم عرباً.

8- إسكان عناصر عربية وقومية في المناطق الكردية على الحدود، فهم حصن المستقبل، ورقابة بنفس الوقت على الأكراد، ريثما يتم تهجيرهم، ونقترح أن تكونَ هذه من "شَمّر" لأنهم أولاً من أفقر القبائل بالأرض، وثانياً مضمونين قومياً مئة بالمئة.

9- جعل الشريط الشمالي للجزيرة منطقة عسكرية كمنطقة الجبهة، بحيث توضع فيها قطعات عسكرية مهمتها إسكان العرب، وإجلاء الأكراد، وفق ما ترسم الدولة من خطة.

10- إنشاء مزارع جماعية للعرب الذين تسكنهم الدولة في الشريط الشمالي، على أن تكون هذه المزارع مدربة ومسلحة عسكرياً كالمستعمرات اليهودية على الحدود تماماً.

11- عدم السماح لمن لا يتكلم اللغة العربية بأن يمارس حق الانتخاب والترشيح في المناطق المذكورة.

12- منع إعطاء الجنسية السورية مطلقاً لمن يريد السكن في تلك المنطقة، مهما كانت جنسيته الأصلية (عدا الجنسية العربية)...إلخ.

هذا، وإن هذه المقترحات ليست كافية، بل أردنا منها إثارة المسؤولين بحسب خبرتنا، لتكون تباشير مشروع خطة جذرية شاملة، لتؤخذ للذكرى بعين الاعتبار.

وفي نشرة « المناضل » الصادرة عن مكتب الدعاية والإعلام في التوجيه القومي لحزب البعث (وهي نشرة داخلية سياسية دورية) جاء في العدد 11 (شهر يناير 1966م – الصفحتين 12 و 13) وتحت عنوان « تقرير لخطة إنشاء مزارع حكومية في محافظة الحسكة»، ما يلي: «إن المخاطر التي واجهت وتواجه شعبنا العربي في شمال العراق، والتي خلقت من قبل الامبريالية، بدأت تهددنا أيضاً منذ بضعة أعوام أخيرة في محافظة الحسكة، أهملتها الحكومات السابقة، ولكن اليوم تحتاج إلى حل جذري سليم ... إن أفراداً غير عرب، وأغلبهم أكراد، قد هاجروا إلى هذه المنطقة من تركيا والعراق وفقاً لخطة تؤيدها وتشجعها الامبريالية ولازالت ... والأكراد استوطنوا في هذه المنطقة الخصيبة والتي هم غريبون عنها... بسبب وجود الاقطاعية في المنطقة ووجود عناصر غير عربية وغالبيتهم من الأكراد والذين يحاولون جاهدين أن يؤسسوا بلداً قومياً لهم في حدودنا الشمالية بمساعدة الامبريالية، ولأن المنطقة واقعة بالقرب من الحدود التركية والعراقية المأهولة بالأكراد وهم مطلوبون للمؤامرات والجاسوسية التي تحاك ضدنا في منطقة الحدود ، فمن العاجل جداً أن نتخذ الإجراءات الضرورية لكي ننقذ العرب في المنطقة .. يمكن القول أنه إذا بقيت الأشياء كما هي فإن الهجرة الكردية ستزداد في المنطقة وستشكل خطراً على حدود أمتنا ، إذا أخذنا بعين الاعتبار أهمية المنطقة زراعياً وصناعياً وبخاصة بعد اكتشاف البترول .. ». وتتابع نشرة المناضل فتقول: « لقد اتخذت الإجراءات التالية من قبل السلطات والحزب لتنفيذ خطة الحزام:

1- أصدر الرفيق محافظ الحسكة إنذاراً نهائياً للسكان الريفيين المزارعين والملاكين يمنعهم من أن يستثمروا الأراضي المصادرة، وبعد صدور الإنذار بدأنا بعمليات الحراثة والبذار.
2- بدأ مكتب الأراضي المصادرة بتنظيم الأراضي المصادرة.
3- بدأ مكتب الإصلاح الزراعي باتخاذ الإجراءات لترحيل حوالي 4000 عائلة من منطقة الحزام إلى مناطق أخرى إلى أن تنجز العملية بنجاح. لكن من جهة أخرى فإن حوالي 25000 نسمة داخل منطقة الحزام مسجلين عند السلطات كأجانب، وقد فكر الحزب والحكومة في محافظة الحسكة بأن هؤلاء الأجانب يجب أن يمنعوا من السكن في منطقة الحدود، وأن الطريق الصحيح لتحقيق هذا الغرض هو إجبارهم ومنعهم من الحصول على أية وظيفة لكي يهاجروا بالتدريج إلى البلاد الأخرى خلال خمس سنوات، ويجب أن تستعمل القوة ضدهم إذا كان ذلك ضرورياً.
4- إن الحزب ومكتب الفلاحين يحاولان أن يستخدما عناصر عربية شابة من بين الذين يؤمنون بالعرب والقومية العربية لكي يعملوا كعمال مسلحين في منطقة الحزام وحماية الزراعة.
5- كان توجيه الحزب في الجزيرة الطلب من عدد من الرفاق الأكفاء كي يعقدوا لقاءات شعبية في القرى الكردية في مناطق الحدود لكي يسلطوا الضوء على مخاطر الامبريالية ويشرحوا ذلك للسكان، وهكذا يمكن أن نمهد الطريق لتنفيذ خطة الحزام .... ».
وبخصوص المشاكل التي قد تعترض سبيل المشروع ، تتضمن نشرة « المناضل » اقتراحات كالتالي:
« إن استثمار هذه الأراضي إذا استمرت في هذه الظروف الراهنة ستقود إلى مشاكل كبيرة في المستقبل لذا نقترح:
1- يجب أن تصدر الحكومة مرسوماً جديداً يعتبر كل قرى المنطقة كأملاك دولة، وإن الدولة لها الحق باستثمارها كما تراه مناسباً.
2- أن توضع خطة عملية وعلمية في المستقبل لاستثمار المنطقة كلها.
3- هذه الأهداف في الخطة يجب أن تكون مبرمجة.
4- إن التجمع العرقي للسكان يجب أن يتبدل بنقل ونفي العناصر غير العربية.

5- إنشاء قرى نموذجية للعناصر العربية الهاجرة من قبل الدولة.
المسئول الأعلى للجيش يجب أن يأمر لواء الحدود في المنطقة ليساعدوا السلطات المحلية عند الضرورة، وعلينا أن نضيف أنه على قائد اللواء أن يلبي طلباتنا .. ».
ثم جاء في الفقرة 12 من توصيات المؤتمر القطري الخامس لحزب البعث (المنعقد في أيار عام 1977م) – وفي معرض الحديث حول محافظة الحسكة – ما يلي: «العمل على إصلاح الخلل القائم في التوزيع السكاني في القطر وبما يحقق الإنتاج الزراعي والاقتصاد والأمن القومي بشكل عام». وتم تدعيم تلك الخطوات التمهيدية بإطلاق الأبواق الشوفينية وبث الدعايات المغرضة ضد الشعب الكردي بهدف الطعن في أصالته ووطنيته، باعتباره «إسرائيل ثانية»، ونشر مقالات وإقامة ندوات وإلقاء محاضرات تركز على عروبة المنطقة وعلى وجود «مخططات إمبريالية» هادفة إلى زرع كيان كردي في «شمال الوطن العربي» ...الخ.
حتى أن المكتشفات الأثرية ضمن مناطق الجزيرة وكوباني وعفرين كان يتم تسجيلها على لوائح محافظات أخرى (الرقة، دير الزور) من أجل طمس وتغيير تاريخ تلك المناطق.
كما أكد على هذه المفاهيم منظر الحزب البعث العربي ميشيل عفلق بقوله: "أن الأكراد من أصل عربي، ولكن الاستعمار جعلهم ينسون لغتهم. ان الوطن العربي يمتد من زاغروس الى المحيط ولكن تسكنه عدة اقليات، ومن الممكن تهجيرهم الى خارج الحدود اذا خلقوا مشاكل للأمة العربية".

تهجير الكرد كأداة أساسية للحرب الخاصة

زادت إجراءات حزب البعث وأدواته من تهجير الكرد من منطقة الجزيرة وكوباني، وبخاصة بعد انتفاضة 12 اذار التي ذهب ضحيتها أكثر من 35 شهيداً كردياً برصاص الأجهزة الأمنية السورية، إضافة إلى اعتقال أكثر من 10 آلاف كردي وزجهم في أقبية الاستخبارات.
هاجر إلى المدن الداخلية السورية أكثر من 600 ألف كردي بحثاً عن العمل، بعد هروبهم من أراضيهم التي استغلها النظام لتثبيت سياسته العنصرية، فمع منعه لزراعة معظم المنتجات الزراعية باستثناء القمح مع السماح الجزئي لزراعة

القطن، لم يجد الكرد مهرباً من الجوع سوى الالتجاء إلى معامل دمشق وحلب، ناهيك عن المشاريع العنصرية والملاحقات الأمنية للنشطاء الكرد والضغط على عائلاتهم.

وفي دمشق وحلب، عومل العمال الكرد كعبيد، فمع ساعات العمل الطويلة وتدني الأجور وكذلك النظرة الشوفينية الدونية لهم، لم يكن النظام سوى الرابح الأكبر من تلك الهجر، بل المخطط الأساسي لها.

قد يبدو الأمر فكاهياً، كان يتم نقل مئات الأطنان من الحليب من مباقر مدن الجزيرة إلى حلب وحماه لصناعة اللبن ومن ثم إعادتها إلى الجزيرة، لم يكن مسموحاً إنشاء المعامل، وكذلك زراعة الأشجار المثمرة، والتخطيط للمشاريع الزراعية بناء على مراسيم أصدرها حافظ الأسد وجددها نجله بشار. إضافة إلى منع افتتاح الجامعات.

ولعل المرسوم 49 الذي أصدره بشار الأسد عام 2008 يعكس مدى الحقد الكامن الموجه لمشرّع السلطة في تعامله مع الكرد.

فبموجب هذا المشروع، مُنعت إجراءات بيع وشراء العقارات والبناء وحتى الترميم في كامل محافظة الحسكة، وغيرها من المناطق الكردية بوصفها مناطق حدودية، من دون الحصول على موافقات من الأجهزة الأمنية والإدارات المعنية، الأمر الذي قضى على مصدر الرزق الوحيد لقطاعات واسعة من أصحاب الدخل المحدود في المناطق الكردية. وذلك في ظل واقع عدم وجود أي مؤسسات صناعية، بموجب السياسة الرسمية الموجهة ضد الكرد؛ وتدمير القطاع الزراعي نتيجة الفساد الشمولي، وروحية عدم مسؤولية المطلقة، والأخطاء الإدارية الفظيعة، والجهل البيئي الراعب.

لم يتوقف النظام البعثي عند هذا الحد، بل عمل على تهجير الكرد لإفراغ منطقتهم، وذلك من خلال عصابات المافيا التابعة لأجهزة المخابرات، حيث نظم النظام رحلات الموت لهم باتجاه المجهول. ففي شباط 2001 عندما رست السفينة (ايست سي) الجانحة على شواطئ الريفيرا / فرنسا، كانت تحمل 912 مهاجراً كرديا من سورية، كون السفينة كانت عائدة لمسؤولين سوريين ومسجلة لدى "لويدز" باسم شركة تتخذ من طرطوس (مدينة ساحلية سورية) مقراً لها. وقد علقت رئيسة اللجنة السويدية لدعم الكرد السوريين وقتها على الحدث قائلة: "ان السلطات

السورية تشجع منذ سنوات الأكراد على ان يهاجروا الى أوربة بطريقة غير مشروعة، لأنها تريد التخلص منهم".
بعد هذا الحدث بعام فقط، جنحت السفينة "مونيكا" على الشواطئ الايطالية، كان مركز انطلاقتها من لبنان، وقد علقت الأعلام العالمية عليها قائلة: "ان المهاجرين هم أكراد سوريون، تم تهجيرهم على أيدي السلطات السورية بطرق غير إنسانية".

وسائل الحرب الخاصة لخلق الفتنة بين الكرد والعرب في إقليم الجزيرة:

دأب نظاما حافظ الأسد وبشار الأسد على وضع الجزيرة وسكانها تحت رقابة عينهم الساهرة، وأُنيطت عملية صنع القرار الحقيقية بوكلاء أمنيين يحظون بثقة النظام، هذا في حين جرى استخدام الهياكل الإدارية والمنظمات السياسية كوسائل يستطيع النظام من خلالها تنظيم المجتمعات المحلية في الجزيرة. مع أن الأجهزة الأمنية السورية كانت مسؤولة عن المراقبة الكثيفة للنشاطات السياسية في الجزيرة، إلا أنها مُنِحَت أيضاً صلاحية التدخّل في دقائق القرارات الإدارية. على سبيل المثال، أُجبر الفلاحون على زراعة الحبوب فقط بدل منتوجات زراعية أخرى أكثر أهمية، بسبب التخوّف من أن تصبح المنطقة أكثر استقلالية عن دمشق. مثل آخر: وضعت الحكومة السورية قانوناً جديداً العام 2004 نصّ على أن كل من يرغب في تطوير عقار في المناطق الحدودية السورية، بما في ذلك الجزيرة، عليه أن يحصل أولاً على إذنٍ من أجهزة الأمن.
تجدر الملاحظة هنا أن طبيعة المسيرة المهنية لضباط الأمن الذين أسند إليهم نظام الأسد مهمة الحفاظ على الأمن في الجزيرة، يُلقي أضواء ساطعة على الأهمية التي علّقتها دمشق على هذه المنطقة. فقد كان يتم ترقية العديد من ضباط الأمن إذا ما سجّلوا نجاحات في إدارة الوضع هناك. على سبيل المثال، في العام 2005 أصبح محمد منصورة، الذي خدم في الجزيرة خلال أواخر السبعينيات كضابط مخابرات عسكرية، رئيس شعبة الأمن السياسي السوري، وهو جهاز أمني مسؤول عن مراقبة المعارضة السياسية في طول البلاد وعرضها.
تطوّرت مع الزمن العلاقات بين مختلف المجتمعات المحلية في الجزيرة، وتشكّلت أساساً بدفع من الطبقات الوسطى المدينية من مختلف المشارب الدينية والإثنية، إضافة إلى قيامها على قواعد العلاقات القبلية. مثلاً، كانت قبيلة شمر تاريخياً

متحالفة مع المجتمع المحلي الكردي، بيد أن النظام السوري واصل ممارسة مقاربة تستند إلى الحفاظ على التمثيل استناداً إلى الانتماء إلى مجتمع محلي إثني بعينه.

يتمثّل أحد المجالات المهمة في هذه المقاربة في قيام دمشق بتكليف وكلائها الأمنيين مهمة إدارة توازن دقيق بين مهمتين: الأولى، السماح ببروز أقنية سياسية مُجازة رسمياً للمجتمعات المحلية الكردية في الجزيرة، والثانية، إخماد وسحق أي نشاط سياسي غير مصرّح به. وفي حين أن حزب البعث في العراق غالباً ما قمع الكرد بعنف، إلا أن حافظ الأسد سعى أساساً إلى احتواء التعبئة السياسية الكردية.

سعى النظام، على نطاق أوسع، إلى الحفاظ على سيطرته ومنع بروز تحالفات أعرض بين المجتمعات المحلية، من خلال انتهاج سياسة فرّق تسُد تقوم على ترسيخ الانقسامات بين الأحزاب المحلية في الجزيرة وفق خطوط إثنية. وهو غالباً ما عمد إلى مفاقمة الانقسامات الكردية- العربية، عبر تفضيله علناً المرشحين العرب للبرلمان على المرشحين الكرد الذين انضموا للانتخابات البرلمانية بشروط، أو عبر التركيز على عدم ثقة الكرد بالعرب. على سبيل المثال، ترشّح كرد خلال انتخابات 1990 البرلمانية في ثلاثة من أصل أربعة مقاعد، في لائحة مستقلة عن التحالفات التي كان النظام يحبّذها. وبعدها بأربع سنوات، وخلال انتخابات 1994، شكّل النظام، الذي أراد تجنّب تكرار هذا الوضع، لائحة خاصة به، عُرفت بشكل غير رسمي بـ"قائمة الظل"، بهدف إثباط المرشحين الكرد على اللائحة المستقلة. وقد خُصص مقعدان في لائحة الظل لمرشحين من قبيلتي جبور وطي اللتين تعتبران أهم القبائل العربية في الجزيرة، ومقعد لعضو في الطائفة السريانية، ولم يبق سوى مقعد واحد لكردي. مثل هذه السياسات فاقمت جيشان التوتر بين مختلف المجتمعات المحلية في الجزيرة ومنعها من العمل معاً ضد النظام، ما سمح لهذا الأخير بمواصلة إحكام قبضته على المنطقة.

سعى النظام جاهداً لضرب الكرد بالعرب وبالعكس، وخاصة بعد انتفاضة 12 آذار، ولعب على وتر انعدام الثقة بين الكرد والعرب، وقام وكلاء الأمن ومحافظ الحسكة بشكر أعضاء قبيلة طي على تعاونهم مع النظام في قمع المظاهرات، ما أكد احساس الكرد بأن القبائل العربية في الجزيرة متواطئة مع النظام في عملية احتواء تطلعاتهم. كما أثار النظام المشاعر المناوئة للكرد، عبر محاولات اقناع

القبائل العربية بأن المظاهرات الكردية جزءٌ من مؤامرة أميركية أكبر تقودها الولايات المتحدة لتقسيم سورية.

كانت الهياكل الإدارية في محافظة الحسكة أداة فعّالة في يد نظام الأسد لإشعال التنافسات المجتمعية، عبر توزيع غنائم المحسوبيات، واستلحاق النخب المحلية، ومنع النشاطات السياسية المستقلة. وهو دوزن تكتيكاته لتتلاءم مع مختلف مجموعات المواطنين. وهكذا، خُصّصت عادة المناصب الرئيسة في المحافظة، على غرار مدير حقل الرميلان النفطي، لمسؤولين علويين من خارج منطقة الجزيرة. وعُيّن أعضاء من قبيلتي جبوري وطي في مؤسسات الحكومة المحلية مثل مجلس المحافظة، أو حتى في البرلمان في دمشق، كما نُصِّبَ العرب والأشوريين والسريان من الطبقة الوسطى في مواقع أساسية في الدولة. وفي المقابل، نادراً ما كان يُعيّن أعيان كرد، من بين الذين كان يجري استتباعهم غالباً عبر الروابط المهنية، في مواقع قيادية في الحكومة المحلية أو في مؤسسات الدولة، وذلك بهدف الحد من قدرتهم على تعبئة حركات تضامن كردية أوسع ضد نظام الأسد.

علاوة على ذلك، تدبّرت دمشق أمر شؤون الجزيرة من خلال تعديل التركيبة الإدارية للمحافظة بهدف اجتذاب أنصار لها. فغداة انتفاضة قامشلو عام 2004، أعلنت الحكومة عن خطة خمسية للتنمية الاقتصادية تعترف بكل ناحية على أنها بلدية. وفي حين كان الهدف الشكلي هو تشكيل هيئات إدارية لها صلاحيات أوسع لصنع القرار في مجال إدارة الشؤون المحلية، إلا أن هذه الهيئات هدفت في الواقع إلى توسيع طبقة الموالين لنظام الأسد، من خلال خلق مواقع مسؤولية أكثر في البلديات المستحدثة كي تستطيع دمشق تعيين أنصارها فيها.

الحرب الخاصة ضد ثورة روج آفا (حرب الدعاية)

الحرب بواسطة الدعاية لا تتوقف ضد ثورة روج آفا – شمال سوريا كما هي الحرب العسكرية "الساخنة"، هي حرب تمهد للحرب الساخنة ومهدت لها خلال السنوات الخمس الماضية، فهجمات المرتزقة "جبهة النصرة، بقايا الجيش الحر، داعش" التي لم تكن تتوقف دون مقاومة كلها نتيجة للاتجاهات المقصودة والهادفة التي حاولت الحرب الدعائية وأساليبها تشكيلها في ذهن المهاجمين وطرق تفكيرهم، وكذلك صياغة مسار النصر الأعظم الذي يكمن في هزيمة "الكفرة، الملحدين، الانفصاليين" وإلى ما هنالك من الأبعاد العقائدية والفكرية التي حاولت خلق عدو وهمي تبعد البوصلة عن مراكز الاستبداد الحقيقية في سورية، وتغطي على جرائم التدخل الاقليمي في الملف السوري.

إن حرب الدعاية تستخدم كافة الأساليب المرنة والخشنة، وتكمن خطورتها في محاولتها لتغييب العقل والسيطرة على العاطفة والتحكم في انفعالات الشخص أو الفئة المستهدفة، وكذلك استفزازها وإثارة الشكوك لديها حول قضيتها العادلة

والأشخاص الذين يضحون من أجلها وكذلك الأساليب المتبعة لتحقيقها، والنتائج التي يمكن تحقيقها، وهي تخلق الظروف الملائمة للنجاح بغض النظر عن امكانات الخصم في المقاومة والثبات.

حرب الدعاية ضد ثورة روج آفا – شمال سوريا

حاولت القوى التي تتحكم بالمصير السوري وخاصة الاقليمية منها كتركيا تفتيت الشعب السوري واستنزاف قوته، عن طريق العمل على إحداث الفتن الطائفية وكذلك العرقية، وإجهاده بسلسلة من الأزمات بالتوازي مع الأزمة العسكرية التي افتعلها النظام البعثي، باحثة عن نتائج صاعدة التأثير، وغير محددة من حيث النتائج زمنياً ومكانياً. وعلى الرغم من وضوحها من حيث الهدف والوسيلة فأن أساليب افتعال الأزمات وكذلك التحريض والتشويه وإحداث التفرقة وفرض التبعية كثيراً ما كانت تخفي مصادرها وخاصة في حالات الهجوم، فعلى سبيل المثال، كلنا نعلم أن إحدى أهم أسباب ودوافع ربط استبداد النظام بالطائفة العلوية وكذلك ربط الأعمال الإجرامية لداعش بالسنة هو إحداث الحرب الأهلية وتعميم تفاعلاتها في المنطقة، إلا أن جميع القوى والأطراف التي عملت على إحداث ونجاح هذه القضية تبرأوا منها وادعوا محاولاتهم خلق عكس ذلك، بل وطالبوا بوحدة الشعب السوري التي كثيراً ما كانت المطية الأساسية للتهرب من حقوق المكونات المختلفة.

في روج آفا – شمال سوريا الغنية بمكوناتها العرقية والدينية ومذاهبها السياسية والحزبية، لم تكن حرب الدعاية تنتهي مع هزيمة الأطراف المهاجِمة والتي أشرنا إليها أعلاه. بل أعادت انتاج نفسها بشكل أكبر مع عجز تلك القوى على تصفية قوات المقاومة في وحدات حماية الشعب ووحدات حماية المرأة وقوات سوريا الديمقراطية، وكذلك عملت على صياغة موضوعات جديدة كأسلوب لعزل قوات المقاومة والتشكيك فيها وزرع بذور التفرقة العرقية بين مكوناتها، أو تقديم رسالة إعلامية مخادعة لاستمالة بعض أطرافها، إضافة إلى التشكيك في صدق القضية التي تناضل من أجلها وتقدم الغالي والرخيص.

حرب الدعاية التي تندرج ضمن إطار الحرب الخاصة، بل تعتبر أداة أساسية لها، لم تستهدف فقط القوات العسكرية في روج آفا، بل سوّقت رسائلها التحريضية وحملات التشويه ضد شعوب المنطقة أيضاً، وهي كانت متعددة الأطراف. فمن جهة النظام البعثي الذي لم يجد مصلحته في النظام القائم في روج آفا حيث خرجت الأمور من سيطرته ولم ينخدع الكرد وكذلك العرب وباقي المكونات برسائل الترغيب والأمل التي كان يبعثها تحت شعار أن "الوطن السوري هو للكل، وسقف جامع لكل المكونات"، وكذلك بعض أطراف الجيش الحر وجبهة النصرة وأعوانهم في الداخل كالجماعات المرتبطة برئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني – العراق مسعود البرزاني التي أخطأت في حساباتها ولم يعد بإمكانها التراجع عن مواقفها الدعائية التحريضية بعد دخولها في اتفاقيات مصيرية مع النظام التركي وبعض القوى الشوفينية في سوريا كالائتلاف وقبله ما يسمى بمجلس اسطنبول "المجلس الوطني السوري"، فيما كان داعش الأقوى من حيث الدعاية بحيث استطاع الاستفادة من جميع الرسائل الدعائية ضد ثورة روج آفا – شمال سوريا للجماعات السابقة بحيث استغل حتى ممات الكردي وأصدقاءه استناداً إلى الرسائل الدعائية التي حاولت التقليل من أهمية التضحيات في روج آفا ضد الارهاب الداعشي، أو تلك التي هولت منها لغاية خلق حالة التراجع والاستسلام والهزيمة في صفوف المقاتلين على اعتبار أن "لا فائدة من المقاومة ضد قوة هزمت جيوش المنطقة كداعش". النظام التركي الذي وجد في ثورة روج آفا سبباً لفشل خططه في سوريا وضربة لأمجاد امبراطورية العثمانيين، فلجأت إلى مختلف الوسائل بغية تجريد هذه الثورة من شركائها وتأليب الرأي العام ضدها بعد حصارها بالتعاون مع سلطة البرزاني، فجندت أكثر من 100 فضائية تركية والعديد من الفضائيات العربية وكذلك التركية الناطقة بالكردية كـ TRT 6 ورورداو للتأثير على الرأي العام في روج آفا وخلق حالة التردد لديه في الانخراط في الثورة، وخلق الصراعات الجانبية التي تضر بالهدف الأساسي، والتضليل الأمني بغية الوصول إلى التخبط التي من الممكن أن تفتح المجال للتدخل اعتماداً على مبدأ "خلق الخطر الأعظمي" التي تمهد للتدخل العسكري بحجة حماية المدنيين.

وسنعرض فيما يلي عدد من تطبيقات حرب الدعاية التي استهدفت مجتمع روج آفا – شمال سوريا من قبل الأطراف المعروفة والتي أشرنا إليها سابقاً.

أساليب حرب الدعاية ضد روج آفا – شمال سوريا:

1- دعاية بث اليأس والشكوك ومحاولة تشكيل الرأي العام حول نظرية "المكتسبات المؤقتة" التي سرعان ما تتبخر مع هجوم عسكري واحد حسب زعمهم، بغية عدم التأسيس لاستراتيجية واضحة والاعتماد على التكتيك قصير الأمد الذي لا يمكن ضمان استمرارية الثورة وتثبيت مكتسباتها. وبغية إثبات صحة هذه النظرية شنت تلك القوى بالاعتماد على قوى الارهاب كداعش العديد من الهجمات العسكرية أملاً في إبعاد التركيز على مشاريع البناء والتنمية وتحقيق الثورة في كافة جوانبها.

2- دعاية التفتيت: الادعاء بأن الحرب لا تستهدف كل الشعب الكردي أو شعوب المنطقة بل تستهدف فقط الأطراف المؤيدة للإدارة الذاتية الديمقراطية، في الوقت الذي قامت نفس تلك القوى بتهجير مئات الآلاف من المدنيين من مناطق كانت خارج سيطرة الإدارة الذاتية، وأعدمت المئات منهم وقطعت رؤوس المئات كذلك.

3- دعاية العدو الخارجي "الربط الكاذب": ربطت القوى المهاجمة جميع حروبها بحجج وجود حزب العمال الكردستاني في سورية، ووجوب ملاحقته، وهو الأمر الذي نفاه الحزب في الوقت الذي فتحت فيه تلك القوى والدول مطاراتها وحدودها لمرور عشرات الآلاف من المرتزقة للانضمام إلى داعش من جميع دول العالم بشهادة جميع المراقبين. واستهدف هذا الأسلوب توفير الغطاء الشرعي للتدخل في الوقت الذي زّج في الوضع السوري العشرات من القوى والتنظيمات الاقليمية والدولية ابتداء من تركيا وإيران وصولاً إلى أفغانستان وقرغيزيا والشيشان والسعودية وقطر.. إلخ.

4- محاولة خلق الفتنة بين الكرد والعرب تارة، وبين الكرد والكرد تارة أخرى، عن طريق دعاية "تسليم روج آفا للعرب" لمخاطبة الجمهور الكردي، وتأليبه ضد الإدارة الذاتية والتبرأ منها وكذلك تجريدها من الدعم الشعبي، ومن طرف آخر مخاطبة الجمهور العربي بأن "القوات الكردية تدخل المناطق العربية". وتحاول تلك القوى عن طريق هكذا شكل من الدعاية خلق التوتر والانقسام في المجتمع وتوسيع الهوة بين

أبناءه، وإحداث نقاط التوغل فيه، وإيجاد مبرراته تستند إلى العرقية والمذهبية.

5- تهيئة الأرضية للتحرك الاستخباراتي والأمني واتهام الادارة الذاتية بإعتقال السياسيين عند ملاحقتها للمجموعات المتواطئة مع الأطراف التي تهاجم روج آفا، والعمل على استفزاز القيم المجتمعية والوطنية. وكذلك قلب الحقائق وإظهار صورة معاكسة لما يجري بحيث تبدو الضحية مجرماً والمجرم ضحية، وخاصة بعد كشف خططها "دعاية الاستضعاف".

6- دعاية التهديد المستمر، والحرب مضمونة النتائج: بغية ثني المقاومة ضد مشاريعها، تقوم القوى المهاجِمة بنشر هذا الأسلوب من الدعاية التي تفترض نجاح حربها المزعوم وعدم جدوى المقاومة، وكذلك تلجأ دوماً إلى الاستعراض العسكري ونقل قواتها العسكرية أمام كاميرات وسائل الإعلام غير آبهة بالتهديدات، بهدف خلق الرعب وسلب الإرادة وكذلك تغيير اتجاهات أفراد المجتمع ودفعهم إلى التفكير في "الخلاص الفردي" والهجرة، وخاصة فئة الشباب.

7- تضخيم الأحداث والأزمات التي عانت منها روج آفا جراء الحرب والحصار "دعاية الأزمة"، وتسويقها إعلامياً على أنها بسبب سوء الإدارة والتدبير، والاستفادة من أخطاء بعض العاملين الفاسدين.

8- زيادة حدة الانقسامات والصراعات وتبرير العمل تحت راية العدو للتخلص من المحاسبة الأخلاقية والاجتماعية، وتبرير الهجمات.

9- إبراز خسائر الحرب وتضخيمها، والعمل على تخويف الناس من الانخراط في المقاومة، وإحداث حالة من التردد والتقاعس، ومن جهة أخرى، التقليل من أهمية إنجازات المقاومة بعد نجاحها، ووصفها بأنها بسيطة وغير جوهرية.

10- دعاية "قوة السلاح واحتكاره" التي لا ترى في المكتسبات سوى نتائج للسلاح، في الوقت الذي لا تهدأ فوهات المدافع في قصفها لمناطق روج آفا، فأن التشهير بالمكتسبات المتحققة من هذه الزاوية تهدف إلى إيجاد حواجز بين الوضع القائم على تلك المكتسبات والوضع المراد الوصول

إليه، وتحديد عمر محدد للثورة ينتهي بانتهاء التهديد العسكري، دون السماح باستكمال الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للثورة.

11- تشويه صورة قوات المقاومة والتشكيك بقدرتها العسكرية والتنظيمية، ونشر كل ما يحط من أهمية تضحياتها، واستغلال بعض الكرد لنشر دعايات التشويه ضدها، والعمل على استمالة بعض أطراف تلك القوات بغية تشتيتها وزرع الفرقة بينها.

12- دعاية الدفاع عن النفس: تدعي القوى المهاجمة دوماً بأنها تدافع عن نفسها، وأن حربها جزء من التزام قطعته تجاه شعوبها، لذا تروّج دائماً للحرب العسكرية وتحاول كسب تأييد شعوبها ومؤسساتها العسكرية والأمنية، تماماً كما تقوم بها الدولة التركية التي تتوغل في سورية متى ما تشاء بحجة إبعاد الخطر عن حدودها، بينما تبني مخيمات عسكرية للمجموعات المسلحة على اختلاف تسمياتها وعقائدها وتوفر لهم الدعم العسكري واللوجستي.

تلك الأساليب وغيرها، تهدف إلى تضليل الرأي العام سواء في الداخل والخارج وإخضاعه لإرادته وسياساته، وتحطيم المكتسبات وإلحاق الضرر بها، إضافة إلى إحداث التخريب في المقاربات الوطنية وجعلها مادة للندم بالنسبة لشعوب روج آفا، والسيطرة على طرق التفكير للشعوب "كي الوعي" بغية خلق التردد والتراجع عن المبادئ والقيم، وإغراقه في الأزمات المفتعلة.

إلى جانب استخدام حرب الدعاية، لجأت تلك القوى إلى العديد من أساليب الحرب الخاصة، وكان أهمها فرض الحصار والتجويع اعتماداً على نظرية "جفف البحر، ستخرج الأسماك لوحدها إلى الخارج"، حيث قامت تلك القوى بفرض شروط قاسية للحصار بالتوازي مع التشويق للهجرة وخاصة فئة الشباب، فأعدت المخيمات في اقليم جنوب كردستان وكذلك في المناطق الحدودية وأزالت الأسلاك الشائكة بعد النفخ في العدو "جبهة النصرة – داعش" وخلق حالة ترغيبية عن طريق وسائل الإعلام لجذب الأنظار إلى تلك المخيمات، واللجوء إليها ومن ثم استخدامها كدعاية سياسية ضد قوات روج آفا.

كذلك، جندت تلك القوى العشرات من الكتاب والصحفيين الكرد والعرب بهدف تشويه سمعة قوات الـ YPG وYPJ وقوات سوريا الديمقراطية وكتابة التقارير الوهمية حول عملياتها العسكرية في المناطق المحتلة من قبل داعش. وبناء نشرات إخبارية خاصة لملف روج آفا وبث تقارير مفبركة حول الأحداث والتطورات الحاصلة "التجييش الإعلامي".

الحرب الخاصة التي تستهدف روج آفا تندرج ضمن إطار الحرب القذرة لما تستخدمه من أساليب غير أخلاقية وغير إنسانية، مستندة إلى الكذب والكذب المطلق في تشويه سمعة المكتسبات والتضحيات، وهي، إن وقفت عاجزة في تحقيق أهدافها لحد الآن فأن ذلك يعود إلى البناء النفسي المتماسك لشعوب روج آفا وكذلك التعبئة السياسية والأمنية والعقائدية للنظام القائم في روج آفا – شمال سوريا، التي ساعدت في التفريق بين العدو الحقيقي وأساليبه الدعائية ومدى خطورته، فيما كانت حماقات الجهات المهاجِمة بارزة في التشكيك بادعائاته الانسانية في التقرب من الشعوب التي شاهدت بأعينه التخريبات والمجازر التي حصلت جراء تدخل تلك الجهات في الوضع السوري، فيما تبقى للأجهزة الدفاعية للشعوب من قيم اجتماعية وأخلاقية ومبادئ إنسانية ووطنية الدور الأساسي في إفشال تلك الهجمات.

أ- الحرب الخاصة في العراق

تقسيمُ الكردِ وكردستان بناءً على الحدودِ العراقية، هو أحدُ أكثرِ أحداثِ تاريخِ القرنِ العشرين مأساويةً. وكأنه بذلك زُرِعَت قنبلةٌ أَشدُّ فتكاً من القنبلةِ الذرية، ليس في أرضيةِ التاريخِ الكرديّ وحسب، بل وفي أرضيةِ تواريخِ العربِ والعجمِ والأتراكِ أيضاً. وكان قد تَبَدّى آنذاك اعتراضٌ مُعتَبَرٌ على هذا السياقِ داخل البرلمانِ التركيّ. إذ انتفضَ حينذاك المثقفون والضباطُ الكردُ المتواجدون داخل الجيش. هذه هي الحقيقةُ الكامنةُ وراء تمردِ 1925. أي، وبخلافِ ما يُقالُ في التاريخِ الرسميّ زوراً وبُهتاناً، فالمتحالفُ مع الهيمنةِ الإنكليزيةِ لَم يَكُن الكرد، بل نظامُ التركياتيةِ البيضاء الذي أُشَيِّدُ بإصرارٍ على ماهيتِه التآمرية. هذا ويتعينُ الإدراكُ على أتمِّ وجهٍ أنّ هذا النظامَ قامَ بشَلِّ تأثيرِ مصطفى كمال أيضاً بتلك

المؤامرة. فمن المعلومِ أنّ مصطفى كمال اعتَبَرَ ذلك التحالفَ حدثاً صعباً وكريهاً أكثر من أيّ شيءٍ في حياتِه، وأنه في حالِ عدمِ المصادقةِ عليه سوف تتعرضُ الجمهوريةُ برمتِها للخطرِ المُحيق. والمُكتَسَباتُ التي استُحوذَ عليها باتفاقيةِ قارس في الشرقِ أولاً (1921) وباتفاقيةِ لوزان في الغربِ ثانياً؛ قد تعرضَت لخسارةٍ استراتيجيةٍ مع اتفاقيةِ الموصل – كركوك المُبرَمةِ في الخامس من حزيران سنة 1926. ومدى فَداحةِ ذلك الخُسرانِ قد تَجَلَّت للعَيانِ بكلّ سطوعٍ في احتلالِ العراقِ مؤخراً. فضلاً عن أنّه، وعلى النقيضِ مما يُعتَقَد، فبرَسمِ تلك الحدودِ لَم تنحصرْ الخسائرُ في فقدانِ نفطِ الموصل وكركوك فحسب، بل وطالَت فقدانَ الكردِ والأخوةِ الكرديةِ – التركيةِ التاريخيةِ وخُسرانَ التكاملِ الثقافيّ لكافةِ شعوبِ الشرقِ الأوسطِ قاطبةً.

ولا يزالُ يَسودُ الاعتقادُ بإمكانيةِ تعديلِ هذه الحدودِ وحمايتِها بأساليب شتى من قَبيلِ الحَيدِ والتزليقِ الجغرافيّ اليوميّ تذرعاً بمحاولةِ ترتيبِها، إعلاءِ الجدرانِ على طولِها، مَدّ الأسلاك الكهربائية، تجهيزها بالمخافرِ المُحَصَّنةِ بالفولاذِ الصلب، وحمايتِها بالجيوشِ الخاصة. لكنّ اللجوءَ إلى تلك الأساليبِ لا يدلُّ إلا على الغفلةِ التامة، وعدمِ استنباطِ الدروسِ اللازمةِ من التاريخ، والاستنادِ إلى المؤامرةِ أو التحولِ إلى آلةٍ مُجَنَّدةٍ فيها. لذا، من غيرِ المستطاعِ تقويمُ الأخطاءِ الرئيسية، إلا بإزالتِها وإحلالِ الحقائقِ الرئيسيةِ محلَّها. علماً أنّ الإنكليزَ لَم يَقدروا على توطيدِ نفوذِهم وتأمينِ ديمومتِه، إلا بلَعبِ هذه اللعبةِ في جميعِ أصقاعِ أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكا، بل وحتى في قارةِ أوستراليا أيضاً. حيث مُزِّقَت المئاتُ بل الآلافُ من الثقافاتِ الاجتماعيةِ بناءً على حدودٍ مرسومةٍ بالمسطرة، وعُمِلَ على التحكمِ بها بعدَ تأليبِها على بعضِها بعضاً. والدولتيةُ القوميةُ هي أخطرُ أشكالِ هذه اللعبةِ المُنَفَّذَةِ على صعيدِ صراعِ السلطة. إذ ما كان بالإمكانِ بتاتاً بسطُ الهيمنةِ الرأسماليةِ وتأمينُ سيرورتِها، من دونِ تقسيمِ العالَمِ إلى الدولِ القوميةِ الراهنةِ التي تناهزُ المائتَين في تعدادِها. من هنا، لا يُمكنُ إظهارُ التاريخِ الحقيقيّ إلى الوسط، إلا باتِّباعِ هذا الأسلوبِ لفهمِ وشرحِ مَن هو الخاسرُ أو الرابحُ من القوى، وأيةُ أيديولوجيا أو ثقافةٍ هي الرابحةُ أو الخاسرةُ الزائلة.

لا يُمكنُ تسليطُ الضوءِ على التاريخِ والوجودِ الكرديّ المعاصر، إلا ضمن إطارِ هذا التكامل، وارتباطاً بتقسيمِه بناءً على الحدودِ العراقيةِ – السورية. إنه تقسيمٌ

وتجزيءٌ وكأنه يُخَزِّنُ بين طياتِه كافةَ خياراتِ الإبادةِ والتطهيرِ كطاقةٍ كامنة. كما تُعقَدُ عليه الكثيرُ من الحسابات: أولُها؛ صُيِّرَ الكُردُ في العراقِ ورقةً احتياطيةً لضبطِ العربِ هناك. وطابعُ الحركةِ الكرديةِ في العراقِ يُثبتُ هذه الحقيقةَ بما فيه الكفاية. فقد دُمِّرَ مؤخراً نظامُ صَدّام حسين بالاستنادِ أساساً إلى الكرد. ثانيها؛ إنهم أهمُّ وسيلةِ تجنيدٍ في التناقضِ الإيرانيّ – العراقيّ. والتاريخُ يُثبتُ صحةَ ذلك كفايةً. ثالثها؛ لقد صُيِّروا قوةٌ احتياطيةً للتحكمِ بالجمهوريةِ التركية. فجميعُ المستجداتِ التاريخيةِ الهامةِ الجاريةِ في كردستان منذ سنةِ 1925، بل ومنذ تمردِ الصوران في 1806 بزعامةِ بابان زاده عبد الرحمن باشا كأولِ تمردٍ كرديٍّ معاصر؛ قد باتت من أهمِّ وسائلِ التحكمِ بالحكامِ العثمانيين ثم حُكّامِ الجمهورية، وإلهائِهم بها. رابعُها؛ إنهم أحدُ أنسبِ الوسائلِ للإبقاءِ على الشرقِ الأوسطِ تحت حاكميةِ قوى الهيمنةِ العالمية، أي إنكلترا (منذ أعوامِ 1800 إلى سنةِ 1945) وأمريكا (منذ 1950 إلى يومِنا الحاليّ). خامسُها وأهمُّها؛ الإبقاءُ عليهم بَيدَقاً مركزياً للتحكمِ بجميعِ أرجاءِ كردستان بِحَدِّ ذاتِها، ولبسطِ السيطرةِ على الطاقةِ الكامنةِ الثوريةِ للشعبِ الكرديّ، وتحريفِها عن مسارِها (إذ يُزعَمُ العملُ على الوصولِ بالإدارةِ الكرديةِ في العراقِ إلى وضعٍ راسخٍ منذ أعوامِ العشرينيات. علاوةً على أنّ جنوبَ كردستان يُحَوَّلُ إلى مركزٍ للأيديولوجياتِ القبائليةِ البدائيةِ والدينيةِ والمرتبطةِ بالحداثوية). هكذا تَغدو كردستان برمتِها والشعبُ الكرديُّ بأكملِه تابعاً لوسيلةِ ضبطٍ وتَحَكُّمٍ استراتيجيةٍ بناءً على التبعيةِ لهذا الجزءِ الصغيرِ وحُكّامِه. وسادسُها؛ تُستَثمَرُ مواردُه الباطنيةُ التي لا يُستَهانُ بها، وكذلك مياهُه وأراضيه الخَلّابة.

ولدى تحليلِ هذه الحقائقِ التي عرَضناها على شكلِ ستةِ بنودٍ رئيسية، والتمحيصِ فيها عن قُربٍ أكثر، فسيُلاحَظُ أساساً أنّ الدُّوَيلةَ القوميةَ الكرديةَ تبقى دوماً ورقةً احتياطيةً مخفيةً في اليد، ويُرَوَّجُ لها وكأنها ستُشادُ اليومَ أو غداً، وذلك بغرضِ التحكمِ بالدولِ القوميةِ في المنطقةِ وترويضِها من جهة، وشلِّ تأثيرِ الحركاتِ الكرديةِ المتطلعةِ إلى حفاظِ الكردِ على وجودِهم وتوطيدِ حريتِهم من الجهةِ الثانية، وذلك بِعَقدِ كلِّ آمالِهم على تأسيسِ الكيانِ المُحتَمَلِ بِيَدِ القوى المهيمنةِ الخارجية، بدلاً من الاعتمادِ على قواهم الذاتية. وهكذا يُجَرَّدُ الكردُ من الثقةِ بالذاتِ بناءً على ذلك، ويُتَرَكُون مضطرين للتبعيةِ إلى القوى الخارجيةِ على الدوام، ويُربَطُ مصيرُهم بالتالي بوضعٍ وكأنه سيتعرضُ للمجازرِ في كلِّ لحظة، ليُصَيَّروا تأسيساً

على ذلك عبيداً وخَدَماً أوفياء لأسيادِهم. وتُحاكُ اللعبةُ نفسُها لأجلِ جميعِ الكردِ متجسدين في هؤلاء. أما الحركاتُ الثوريةُ والديمقراطيةُ والوطنيةُ والقوميةُ الحقيقيةُ التي تسعى إلى إفسادِ تلك اللعبة، فيُفرَضُ عليها التجريدُ والعزلةُ بكلّ يُسر، وتُكالُ لها اتهاماتٌ مفادُها أنها تزُجُّ الكردَ في المخاطر (وهذه في الحقيقةِ لعبةٌ تُتقنُها تلك القوى على أتمّ صورة)، وبجَهلِها الدبلوماسيّ (التبعية لأسيادِهم)، وبتقسيمِها للكرد (الوظيفة الأساسية هي شرعنةُ ذاتِهم وشرعنةُ الحدودِ التي تُجَزِّئُ الكردَ وكردستان من الصميم)، وبعدمِ وضعِ التوازنِ العالميّ نُصبَ العين (الحفاظ على الوضعِ القائمِ الذي خلقَته قوى الهيمنة). بل وتواظبُ تلك القوى على الترويجِ نظرياً وعملياً بأنّ الشعبَ الكرديَّ عاجزٌ عن فعلِ أيّ شيءٍ بمفردِه (أي أنه يتعينُ عليه الاكتفاءُ – فقط وفقط – بما تتكرمُ به القوى المهيمنة)، وذلك سعياً منها إلى التأكيدِ على أنه وكأنّ بناءَ مجتمعٍ ديمقراطيٍّ حرٍّ ومتساوٍ أمرٌ مستحيل. هكذا، فقد جُعِلَ الكردُ شعباً من العبيدِ القابعين في قاعِ العالَمِ وعلى عتبةِ الإبادةِ الشاملةِ انطلاقاً من تلك العقليةِ المهيمنة؛ بالرغمِ من احتمالِ تحوُّله إلى أحدِ أكثر شعوبِ العصرِ ثوريةً. ويُنعَتُ الكردُ بأنهم "شعبٌ بلا مُحامٍ"، سعياً إلى جَرِّهم دائماً وراء مُحامين زائفين. بَيْدَ أنّ الصحيحَ هو قدرةُ أيّ شعبٍ كان على أنْ يَكُونَ مُحامياً لنفسِه بنفسِه.

اللعبةُ الهامةُ الأخرى المُطَبَّقةُ على الكردِ الباقين ضمن الحدودِ العراقية، هو إبرازُ الطابعِ البورجوازيّ السُّنِّيّ الزائفِ والمُشَوَّهِ إلى الأمامِ في تكوينِ الهويةِ الكرديةِ الوطنية. حيث يُرادُ تشكيلُ أمةٍ كرديةٍ اصطناعيةٍ متغذيةٍ على أشنعِ بقايا ورسوبياتِ القوميةِ البدائيةِ والرجعيةِ الإسلاميةِ السُّنِّيّةِ لدى الحداثةِ الرأسمالية، وذلك بعدَ إنكارٍ وتفنيدِ الثقافةِ العشائريةِ والقبائليةِ والعقائديةِ الغنيةِ والمتنوعةِ جداً ضمن واقعِ الشعبِ والقومِ الكرديّ الذي حمَلَ إحدى أكثر ثقافاتِ التاريخِ غِنى ووفرةً إلى يومِنا الحاليّ. وعوضاً عن المجتمعِ الوطنيّ الديمقراطيّ، تَدورُ المساعي لخلقِ الوعيِ بصددِ حقيقةٍ زائفةٍ تشيرُ إلى أنّ الثقافةَ القوميةَ اللاديمقراطيةَ التي تَعتَبِرُ الدولتيةَ القوميةَ يوتوبياها المقدسة، والمنغلقةَ على الحريةِ والمساواة، والمُعاديةَ للمرأة؛ وكأنها الواقعُ الاجتماعيُّ الوحيدُ الماثلُ أمامهم والقادرُ على تمثيلِهم.

يتجسدُ الحسابُ العميقُ الآخرُ المَعقودُ على الكردِ القاطنين ضمن الحدودِ العراقيةِ في العملِ على الترويجِ للاعتقادِ القائلِ بأنّ السبيلَ الوحيدَ لحلّ القضيةِ الكرديةِ يمرُّ من الحداثةِ الرأسمالية. ولَطالما يُجَنَّدُ الكردُ في العراقِ كأداةٍ اختباريةٍ في تخطيطِ علاقاتِ الهيمنةِ على المدى الطويل. إذ خُطِّطَ للواقعِ الكرديّ القوميّ ليَكُونَ كياناً أو ظاهرةً لا تتواجدُ إلا بالعلاقاتِ الرأسمالية. هذا ويُطرَحُ الواقعُ الوطنيُّ ذو الماهيةِ الثوريّةِ والديمقراطيّةِ والاشتراكيةِ في جدولِ الأعمالِ دوماً كإدراكٍ مستحيلِ المنال. وأهمُّ أداةٍ بيَدِ قوى الهيمنةِ في هذا المضمار، هي القوميةُ العربيةُ السُّنّيّةُ أو الشيعيةُ التي مركزُها بغداد. إذ تُبقي على القوميّةِ العربيّةِ متأججةً كخطرٍ يهددُ الكردَ دوماً، لتَحكُمَ عليهم بوضعٍ يبحثون فيه عن مأوى آمِن. كما وتُذْكي الخطرَ نفسَه من قِبَلِ الكردِ على العربِ أيضاً. زِدْ على ذلك تهديدُ أنظمةِ الدولِ التركيةِ والسوريةِ والإيرانيةِ بنفسِ المنوال، بالتلويحِ إلى أنّ الدولةَ الكرديةَ ستُشادُ اليومَ أو غداً. وبالمقابل، يُبقى على هؤلاء الأعضاءِ الثلاثةِ أو الأربعةِ كمصدرٍ دائمٍ للخطر، بغيةَ تأمينِ وفاءِ الكردِ وإخلاصِهم التامّ لها. يُلاحَظُ من ذلك أنّ المختَبَرَ مُثمِرٌ للغاية في رسمِ وحَبكِ الألاعيبِ السياسية. إذ تُقَوَّضُ الأنظمةُ وتُشاد، ولكن، محالٌ تشكيلُ أو إحياءُ أداةٍ (سياسة) راسخةٍ ودائمةٍ بأيّ حالٍ من الأحوالِ داخلَ مختَبَرِ الكرديّ في العراق. بل يُعمَلُ على إحياءِ الكردِ ليَلتزموا دائماً بأوامرِ أسيادِهم حتى تُتاحَ لهم الإنتاجية. ويؤدي هذا المنطقُ دوراً رئيسياً في عدمِ حلّ أو حلحلةِ القضيةِ الكرديةِ إلى الآن، رغمَ كونِها من أقدمِ القضايا العالقةِ في الشرقِ الأوسط.

وكيفما أدّت القوميةُ التركيةُ البيضاء في الأناضولِ دورَ إسرائيل الصغرى بالنسبةِ للصهيونيةِ الإسرائيلية، فإنّ القوميةُ الكرديةَ في كردستان العراقِ أيضاً أدت دوراً مشابهاً، وبالأخصّ عن طريقِ قبيلةِ البارزاني. وهي ضربٌ من ضروبِ القوميةِ الكرديةِ البيضاء. وقد أُنشِئَت أيديولوجياً وعملياً على يدِ نفسِ القوى. أي، ثمة صِلاتٌ وثيقةٌ بين القوميةِ التركيةِ البيضاء والقوميةِ الكرديةِ البيضاء، ليس على الصعيدِ النظريّ فحسب، بل وميدانياً أيضاً. إذ خُطِّطَ لـ"الحزبِ الديمقراطيّ الكردستانيّ PDK" ليَكُونَ "حزبَ الشعبِ الجمهوريّ CHP" بلونِه الكرديّ، ويَغدوَ بالتالي جزءاً من أنشطةِ القوى التآمريةِ المستمرةِ في عملِها منذ 1925. وبينما تقومُ القوى التآمريةُ بتعريضِ الكردِ للمجازرِ خلال الأعوامِ من 1925 إلى 1940، فهي لا تكتفي من الناحيةِ الثانيةِ بتقسيمِ كردستان بالإرغامِ في 1926، بل

وتَرصفُ أرضيةَ القوميةِ الكرديةِ البيضاء في الجزءِ العراقيّ هذه المرة، بعدَ إناطَتِها بدورِ المُنقِذ.

في الحقيقة، إنّ جميعَ حملاتِ الاستفزاز والاستثارةِ عبارة عن لَبَناتٍ أساسيةٍ على الدربِ المؤدي إلى إسرائيل. وبالمقدور التفكيرُ في الأمر عينِه بشأنِ القوميةِ البعثيةِ العربيةِ والنزعةِ الشيعية. ومهما تظاهرَت التياراتُ القوميةُ والوطنياتيةُ في الشرقِ الأوسطِ (بما فيها القوميةُ الدينيةُ السلفيةُ أيضاً) بمناهَضتِها للصهيونيةِ ولإسرائيل، فهي أنطولوجياً (على صعيدِ تكوينِ الذهنيةِ وجودياً) بمثابةِ نُسَخٍ مُعَدَّلةٍ من القوميةِ الإسرائيلية. فمثلما أنّ الأديانَ التوحيديةَ نُسَخٌ مُعدَّلةٌ واشتقاقاتٌ من الدينِ الموسويّ الأول (من التوراة)، فجميعُ القومياتِ والوطنياتياتِ أيضاً اشتقاقاتٌ من القوميةِ الإسرائيلية، ليس على صعيدِ المنطقةِ وحسب، بل وعلى صعيدِ الحداثةِ الرأسماليةِ في جميعِ أصقاعِ العالَم. بمعنى آخر، تتربعُ القوميةُ الإسرائيليةُ في المركزِ القياديّ للقوميةِ العالمية، بحيث إنّ كافةَ الأحزابِ والدولِ القوميةِ الوطنياتيةِ والقوميةِ لن تتخلصَ من خدمةِ القوةِ القياديةِ المركزيةِ أنطولوجياً، مهما تظاهرَت بمناهَضتِها وتضادِّها معها. ذلك إنّ النظامَ (القومية والدولتية القومية) قد شُيِّدَ بناءً على ذلك. والنهايةُ المأساويةُ لصَدّام حسين بسببِ جهلِه للنظامِ وطرازِ انطلاقتِه الخاطئة، إنما هي مثالٌ ملفتٌ للانتباهِ وتأكيدٌ على هذا الأمر. بل حتى إنّ تجربةَ الاشتراكيةِ المشيدةِ ذاتِ السبعين عاماً في روسيا السوفييتيةِ أيضاً لَم تتخلصْ في نهايةِ المطافِ من الانهيارِ حصيلةَ الدورِ الرئيسيّ للقوى الإنشائيةِ في الدولةِ القوميةِ والرأسماليةِ ضمن النظامِ المهيمن. من هنا، وبقدرِ ضرورةِ التقييمِ الصائبِ للنظام، فكونُ الانطلاقاتِ المناهِضةِ أيضاً ممنهجةً ونظاميةً يتحلى بالأهميةِ ذاتِها انطلاقاً من السببِ نفسِه. وإلا، فمن غيرِ الممكنِ سدُّ الطريقِ أمام مآسي جديدة. فنهايةُ الأنظمةِ الخاطئةِ هي الخسارةُ الأكيدة، حتى لو مرَّ على تشييدِ صرحِها سبعون عاماً. ولهذه العلةِ بالتحديد، تتسمُ العصرانيةُ الديمقراطيةُ بالنسبةِ إلى العراقِ وكُردِ العراقِ أيضاً بعظيمِ الأهميةِ إزاء الحداثةِ الرأسمالية. فالدويلاتُ القوميةُ ذاتُ الطابعِ الدينويّ والقوميّ ليست قدراً محتوماً علينا. بل ليس بالوسعِ فهمُ المجتمعِ الحقيقيّ أو دَمَقرَطَتُه، إلا بعد الخلاصِ من براديغما القوميةِ والدولتيةِ القوميةِ القائمةِ بالتعميةِ والتشويش.

ب- الحرب الخاصة في إيران

شُيّدَت الشيعيةُ الإيرانيةُ كتصنيف بناءً على تحالُفِ الكياناتِ القوميةِ التركمانيةِ والفارسيةِ والكرديةِ في وجهِ الإسلامِ السُّنِّيِّ السلطويّ. والشيخُ الكرديُّ صفي الدين الأردبيليّ هو مَن وضعَ الأرضيةَ المذهبيةَ للصفويين الذين هم أولُ سلالةٍ شيعية. لكنّ السلالاتِ التي يطغى فيها شأنُ التركمانُ الشيعة، والتي تناهِضُ السلالةَ العثمانيةَ التركيةَ السُّنِّيّة؛ هي أيضاً لم تتمكنْ من تَجَنُّبِ الإصابةِ بعَدوى السلطةِ مع مرور الأيام. هكذا حادَت عن الكونفدراليةِ السياسيةِ التي تَرجحُ فيها كفةُ التقاليدِ الديمقراطية، متحولةً إلى نظامِ دولةٍ يطغى عليها الجانبُ المركزيُّ البيروقراطيّ. وأَضحى المذهبُ الشيعيُّ أيضاً جزءاً من أيديولوجيا السلطةِ الرسمية. من هنا، فالإسلامُ الشيعيُّ أيضاً بات سلطوياً ودولتياً مثلما الإسلامُ السُّنِّيّ، على الرغمِ من عيشِ قِسمٍ هامٍّ منه حسبَ التقاليدِ المناهِضةِ للسلطةِ حتى يومِنا الراهن. وبنحوٍ غريبِ الأطوار، فإنّ جزءاً هاماً من الكردِ في إيران يُمَثِّلون المعارَضةَ – وبالتالي الحقيقةَ – الديمقراطيةَ إزاءَ السلطةِ الشيعية، من خلالِ تقاليدِ إسلامٍ سُنِّيٍّ غيرِ متشدد. وقد دَأَبَت الكردايتيةُ الإيرانيةُ المعاصرةُ على تكوينِ ذاتِها في وجهِ السلطاتِ الشيعيةِ منذ مستهلِّ القرنِ التاسعِ عشر. وعصيانُ سمكو في 1920، وتجربةُ جمهوريةِ مهاباد في 1946؛ إنما يُعَبِّران عن هذه الحقيقة. وقد أَثْبَتَت تقاليدُ وحقيقةُ المقاومةِ تلك جدارتَها مرةً أخرى، بتصديها مؤخراً للجمهوريةِ الإسلاميةِ الإيرانيةِ (للسلطةِ الإيرانيةِ الاستبدادية) بزعامةِ الخميني. أي إنّ الثقافاتِ الإسلاميةَ السلطوية، سُنِّيَّةً كانت أم شيعية، كانت بالنسبةِ للكردِ أَقرَبَ إلى اللباسِ المتَّسِخِ غيرِ اللائقِ بهم، والذي ارتَدَوه بالإكراه. لذا، فإنّ الكردَ يَرمون بتلك الألبسةِ الوسخة، ويتخَصَّنون بالألبسةِ الثقافيةِ الحقيقيةِ الخاصةِ بهم كلما لاحَت لهم فرصةُ الحرية.

لاتفاقيةِ قصر شيرين المُبرَمةِ بين الصفويين والعثمانيين في 1639 نصيبُها الوافرُ في بترِ أواصرِ الكردِ في إيران من كردستان والتكامُلِ الكرديّ. فهي تعني قطعَ الكردِ في جبالِ زاغروس عن التكاملِ الكرديّ. لقد كان الكردُ في إيران بمثابةِ الخليةِ النواةِ في الهويةِ الكردية. وكانوا ممثلي التقاليدِ الزرادشتيةِ في الجوهر. ومنزلتُهم الإسلاميةُ كانت أكثر ديمقراطيةً تجاه السلطاتِ الشيعية. أي أنّ الكردَ

السُّنَّةَ في شرقي كردستان يخوضون أساساً هنا نضالَ الحريةِ الديمقراطيَّ في وجهِ السلطاتِ الشيعية، بنحوٍ شبيهٍ بما خاضَه الكردُ العَلَويّون في شمالي كردستان تجاه تقاليدِ السلطةِ السُّنِّيّة. ويُعزى هذا الوضعُ إلى المصادر الأيديولوجيةِ والثقافيةِ للسلطة. فالثقافةُ السائدةُ في الواقعِ الكرديّ في إيران، تتسمُ بماهيةٍ أثنيةٍ وقوميةٍ أكثرَ منها دينيةً ومذهبية. وبينما غَلبَ الوهنُ على المزايا القوميةِ لدى الفُرسِ والآزريين ضمن الثقافةِ الشيعية، فقد حافظَ الكردُ على خصائصِهم القوميةِ بدرجةٍ جادة، بسببِ تضادِّهم مع الثقافةِ الشيعيةِ الرسمية. ومقابلَ ذلك، فقد أُضعِفَت الماهيةُ القوميةُ للكردِ الشيعةِ واللوريين (أحد الفروع الثقافيةِ الضاربةِ في القِدَمِ لدى الكرد)، وانصَهَروا باكراً في بوتقةِ الثقافةِ الشيعية. فضلاً عن أنّ الكُردَ في خُراسان، والذين يتميزون بتعدادٍ سكانيٍّ لا يُستَهانُ به، هم من الكرمانجِ الشيعة. وقد أَبدَوا عزماً لا يَلينُ في صونِ هويتِهم وثقافتِهم، بالرغمِ من المحاولاتِ الكثيفةِ لصهرِهم وجرِّهم إلى مرتبةٍ من الشللِ السياسيّ. والمقاوماتُ المبتدئةُ في 1806 بزعامةِ أسرة بابان زاده الصورانيةِ وصولاً إلى راهننا، تتميزُ بتأثيرٍ هامٍّ في تكوينِ الهويةِ الكرديةِ المعاصرةِ في شرقي كردستان. بينما تداعياتُ التمردات المتناميةِ في مطلعِ القرنِ العشرين كانت عامة. وإلى جانبِ نجاحِ حركاتِ تعزيزِ السلطةِ المركزيةِ الهادفةِ إلى القضاءِ على إداراتِ القبائلِ والإماراتِ الكرديةِ في القضاءِ على السلطاتِ المتواطئةِ التقليدية، إلا إنها بقيَت قاصرةً إلى حدٍّ بارزٍ في بسطِ نفوذِها على الثقافةِ الاجتماعية. إنه وضعٌ أَشبَهُ بالقضاءِ على كردايتيةِ السلطة، وولوجِ الكردايتيةِ الاجتماعيةِ طَوراً جديداً. أما التمردات، فغالباً ما كانت تتطلعُ إلى استعادةِ السلطةِ المفقودة. في الحين الذي كانت تفتقرُ فيه إلى هدفِ صَونِ وتطويرِ الوجودِ القوميّ للكردِ أجمعين. لذا، يتوجبُ استيعابُ ميزةَ أشكالِ الحُكمِ الذاتيّ الأرستقراطيّ تلك بأفضلِ صورة، وتمييزُها على أتمّ نحوٍ عن الحركاتِ الطامحةِ في الحفاظِ على الوجودِ الوطنيّ وتعزيزِ الحرية.

أما النزاعاتُ والصراعاتُ والحروبُ المُخاضةُ في سبيلِ الحُكمِ الذاتيّ اللاديمقراطيّ، فقد انتهَت غالبيتُها بالهزيمةِ النكراء بسببِ البنيةِ الطبقيةِ لزعمائِها. وهذا ما تسبَّبَ بتخريباتٍ غائرةٍ وشاملةِ النطاقِ في الوجودِ الوطنيّ الكرديّ وحريتِه. فكلُّ هزيمةٍ أدت إلى الإبادة، وكلُّ إبادةٍ بدورِها كانت دافعاً لتصعيدِ التطهيرِ الثقافيّ الشاملِ خطوةً أخرى. والحركاتُ البارزةُ في شرقي كردستان،

والتي تزعَّمَها الشيخُ عبيدُ الله النهريّ في 1878، وسمكو في 1920، وقاضي محمد في 1945 قد أَفضَت إلى نتائج شبيهة. أما الهزيمةُ والتعرضُ لمزيدٍ من الانسحاقِ والاضطهاد، فقد ضاعفا من وهنِ الوجودِ الوطنيّ والحريةِ الوطنية، وأدَّيا إلى تخبُّطِهما في حالةٍ من اليأسِ والتشاؤم. وقد عجزَت تجربةُ جمهوريةِ مهاباد بزعامةِ قاضي محمد عن الخلاصِ من تشاطُرِ العاقبةِ الوخيمةِ نفسِها التي لاقَتها التمرداتُ الأخرى، على الرغمِ من ماهيتِها الشعبيةِ العصرية. في حين إنّ ميثاقَ سعد آباد المُبرَمَ في 1937 بين الفاشيةِ التركيةِ البيضاء وفاشيةِ رضا البهلويّ، لَم يَكُن في مضمونِه سوى شكلاً مستَحدَثاً لاتفاقيةِ قصر شيرين، إذ هدفَ إلى تجذيرِ التجزؤِ الكرديّ، وإلى القضاءِ المشتركِ على حركةِ الحريةِ الكردية. وما يَجري في راهنِنا أيضاً هو عقدُ عددٍ جمٍّ من الاتفاقياتِ المُبرَمةِ خِفيةً بين سلطةِ الفاشيةِ الخضراء في تركيا وسلطةِ الفاشيةِ الإسلاميةِ الإيرانية، والمُنَفَّذةِ سِراً ضد الكفاحِ المُخاضِ بغرضِ الحفاظِ على الوجودِ الوطنيّ وتأمينِ الحريةِ الوطنيةِ في كردستان.

تزدادُ الحساسيةُ الوطنيةُ في الكياناتِ التي بإمكانِنا تسميتها بالواقعِ الكرديّ في الشتات، أي في أوروبا والفيدراليةِ السوفييتيةِ القديمةِ والعديدِ من بلدانِ الشرقِ الأوسط، بحيثُ باتت تلك الكياناتُ تُشَكِّلُ جزءاً هاماً من الهويةِ الوطنية. فتلك الشرائحُ أكثر انفتاحاً على عاملِ الوعيِ الثقافيّ بوجهِ التخصيص، وتلعبُ دورَ المُحَفِّزِ لتأمينِ وتعزيزِ التكاملِ في الهويةِ الوطنية.

استراتيجيات تنظيم داعش الارهابي في الحرب الخاصة ضد الشعوب

لم يكن داعش بحاجة لمزيد من الرسائل الإعلامية لكي يسيطر على محافظة نينوى في العراق في شهر آب 2014، فرسالة إعلامية واحدة قبل بدء هجومه بثلاث ساعات وتتمحور حول ضخامة الهجوم كانت كافية لانسحاب جيش قوامه أكثر من 70 ألف جندي عراقي من المنطقة. استند داعش في رسائله وخاصة رسالة الموصل إلى إحداث الصدمة واستغلال الصورة الذهنية المقيتة عنه في

إحداث التخويف والرعب في صفوف خصومه، وهي كانت كافية لنجاح معظم عمليات التنظيم الارهابي في سورية والعراق وحتى في أوروبا.
في فترة حرب كوباني 2014، حاول التنظيم الارهابي تكرار رسالته، ولكنه جوبه بمقاومة عنيفة من وحدات حماية الشعب والمرأة في تلك الحرب، ولم تسعفه أشرطته المصورة الكثيفة عن سير المعارك وتحشيداته الضخمة وكذلك عملياته الارهابية في السيطرة على المدينة التي قاومت لأكثر من خمسة أشهر. كانت صورة المرأة الكردية وصوتها تلاحق مرتزقة التنظيم الذين كانوا يبحثون عن الجنة دون المرور تحت رصاصة بندقية المقاتلة الكردية.
حينما نتحدث عن الحرب الخاصة لدى داعش وخاصة أداتها الرئيسية الإعلام فأننا نستهدف من ذلك كشفها ومعرفة آلياتها بغية مقاومتها والحذر من الوقوع تحت تأثير هول ارهابها، فها هو داعش الارهابي يتجه نحو الانهيار على الرغم من استغلاله لجميع استراتيجيات التخويف والارهاب التي لم تكن سوى دلالة على لجوء الضعيف إلى التخويف أملاً في إخضاع العامة تحت سيطرته.
وفيما يلي بعض استراتيجيات الحرب الإعلامية لداعش التي استهدفت شعوب وجيوش المنطقة:

الرعب أولا:

وبحسب تقارير أجنبية فإن داعش سخر شبكات التواصل الاجتماعي لنشر الرعب بين الناس بطريقة لم يشهد التاريخ لها مثيلا، واستخدم التقنية الحديثة لتوثيق أعماله الميدانية عبر الصور ومقاطع الفيديو المروعة، بغية إبراز قوة التنظيم وإيصال رسالته إلى أكبر شريحة من البشر لكسب عناصر جديدة تدعمه على أرض المعارك التي يخوضها عناصره.
وفي ذات السياق وصف استخباراتيون استراتيجية داعش الإعلامية بـ "المنسقة" وأن مجموعات داعش تعدّ الأولى من نوعها التي تستخدم وسائل الإعلام الاجتماعية كسلاح فعال في الحرب.
ويحرص الدواعش على رفع صور القتل والتنكيل والقتل الجماعي على مواقع الانستقرام، فيما يغرد آخرون على تويتر معلقين على اللعب برؤوس المنحورين بأنها كرة قدم مصنوعة من رؤوس البشر وكأس عالم على طريقتهم.

العبارات الرنانة

ويلحظ المتتبع لأبواق داعش الإعلامية أن القائمين على وزارة إعلامه التي أنشئت لتوثيق العمليات وإدارة المعارك إعلاميا عمدوا إلى استخدام عبارات رنانة تلامس الأفئدة، فدفعوا بخارطة الخلافة الإسلامية، وروجوا لجوازات سفر داعش، تلاها ظهور أمير التنظيم والدعوة لمبايعته، وبحسب تقارير استخباراتية فإن ترديد العبارات والشعارات التي تلامس هموم الناس وتحرك مشاعرهم، أسهم في رفع أسهم داعش وساعد في الترويج لأفكار التنظيم، مع الجمع بين النجاحات الميدانية على أرض المعركة والحرب الإعلامية الدعائية التي أتقنها جهاز التنظيم.

وبعيدا عن نشر الخوف فقد أثمرت الاستراتيجية الإعلامية وخصوصا عبر مواقع التواصل الاجتماعي عن إمداد داعش بالتمويل المادي والبشري، وذلك ببث تحديثات ما يدور في أرض المعركة عبر الوسائل المتاحة كافة.

إعلام ممنهج

وأكد محللون وخبراء عسكريون أن حرب داعش ووحشيتها التي روجت لها بطريقة إعلامية ممنهجة ساعدتا التنظيم في بسط نفوذه على الأرض، ففي العراق نشروا صورا لعمليات قتل نفذوها، مما دفع العراقيين للنزوح إلى أماكن بعيدة خشية أن يلقوا ذات المصير.

وأشار المحللون إلى أنه في حال هزمت داعش ميدانيا فإن ذلك لن يكون واضحا أو ملموسا استنادا إلى الزخم الإعلامي للتنظيم، والذي يعمد إلى تصوير داعش بأنها قوة عظمى لا يمكن كسر شوكتها.

كمّ وكيف

وبحسب الباحث في شؤون التمرد والإرهاب تشارلز ليستر فإن سياسة داعش الإعلامية تعتمد على الدفع بمعلومات تركز على الكم والكيف، لافتا إلى أن التدفق الذي لا يهدأ لمواد الترويج يعدّ بجودة عالية ما يعكس قوة التنظيم عسكريا وبشريا.

وأشار ليستر إلى أن التأثير على الرأي العام أولوية عند داعش، إذ تحول الخسائر والهزائم إلى غنائم وانتصارات كأدوات لحشد الدعم للتنظيم وكسب أفراد جدد ينضمون إلى صفوف المقاتلين.

3 ملايين تغريدة

من جهته تعقب الباحث في قضايا الإرهاب جي أم بيرجر نحو 3 ملايين تغريدة لداعش على تويتر، فوجد أن من يحركها أكثر من 7500 حساب يديرها التنظيم، مستخدما في ذلك هاشتاغات جهادية إلا أن عددا كبيرا منها أغلقت بعد وضع التنظيم على لائحة الإرهاب وبدء العمليات ضده.

نظام المطبوعات

بدأت مرتزقة داعش بتوزيع أول مطبوعة لها وحملت اسم "دابق" بواقع 50 صفحة، وتطبع بلغات عدة إضافة للعربية، ودعمت المجلة برسوم توضيحية ونصوص نفذت بدهاء تحكي في مجملها قصة نجاح التنظيم في كسب دعم القبائل، إضافة لتقارير ميدانية عن العمليات العسكرية، كما ضمّت رسوما بيانية للجرائم المنفذة ضد أعدائهم.

ودعت في افتتاحيتها العلماء والقضاة وأيضا الشعوب إلى الوقوف مع داعش ومؤسساته التي أنشئت، كما ناشدت الأطباء والمهندسين للإسهام في بناء الدولة والعمل على إكمال منشآتها الخدمية وروافدها المستقبلية.

تطويع النصوص

وروجت المجلة للخليفة أبو بكر البغدادي بتطويع نصوص قرآنية وأحاديث نبوية لصالح مبايعته مع تقديم شرح لنوايا الدولة الشرعية وسلطتها الدينية، ويبقى الغرض الأهم لـ "دابق" الترويج لتأسيس دولة خلافة إسلامية تحرر المسلمين من الهوان وتخلصهم من الظلم، وبهذه الفكرة يكون قد حقق أحد أبرز أهدافه لجذب الشباب وحثهم على الكفاح لبناء الدولة المزعومة، والتي بدورها ستعيد كرامة وهيبة المستضعفين المسلمين.

توثيق التحالفات

وإلى جانب التوثيق المسخر لكسب التأييد وصيد الشباب وإيقاعهم في شراك داعش، ركز الجهاز الإعلامي على توثيق كل التحالفات التي فاز بها التنظيم مع الأطياف الشعبية كافة، فنشر صورا لشيوخ قبائل في سورية يقدمون التأييد والبيعة لأمير التنظيم، ورفدها بتصريحات لأبناء القبائل من الجنسين تؤكد الولاء وتتضمن نداءات لدعم داعش اعتقادا منهم بصحة المنهج وسمو الرسالة.

ويحاول جهاز داعش الإعلامي من خلال ناطقه الرسمي كسب التعاطف القبلي، فيوجه النداء لشيوخ وأبناء القبائل ذكورا وإناثا، لشحذ همم الشباب ودفعهم للانضمام للتنظيم.

تعددية اللغات

وقال ممول داعش أبو ثائر الحلبوسي – قبل القبض عليه في الأنبار - في حديث أوردته صحف أجنبية "نعمل على إنشاء صحيفة ثانية تعنى بتوعية الناس بأهمية الخلافة وأهدافها ودورها في إحقاق الحق، إضافة إلى توضيح أسباب وجوب بيعة الناس لخيلفتهم أبو بكر البغدادي، مرجحا أن يطلق عليها اسم "الخلافة 2" أو "الوسيلة للخلافة" وستوزع بالمجان مثل "دابق".

وأشار إلى أن فريقا متخصصا يعمل على إعدادهما للحصول على أعلى مستوى.

مضيفا "لن نكتفي بإصدار الصحف الورقية، بل سنصدر نسخة الكترونية من الصحيفتين سترسل وتنشر عبر البريد الالكتروني، لتصل إلى المهتمين بمتابعة أمور وأعمال التنظيم وستكون المطبوعات بالعربية والإنجليزية، ونسعى لإضافة الفرنسية أيضا".

بينما أكد إعلاميون غربيون أن لدى داعش استراتيجية علاقات عامة تنافس العديد من المجلات الغربية من حيث الإنتاج والمحتوى، مستشهدين بمقال "التبصر في الدولة الإسلامية" الذي يفصل الاستراتيجية التنظيمية لداعش كاملة مع ما يصل إلى أحدث المعلومات بشأن "الانتصارات".

تزايد النشاط

وتزايدت وتيرة النشاط الإعلامي في الآونة الأخيرة، فبثت وزارة إعلام داعش رسائل دعوة للانضمام للفرق القتالية مستخدمة لغات عدة، بل أنشأت قنوات متخصصة لغير الناطقين بالعربية لجذب المجندين الغربيين، والترويج لذلك بإبراز المنضمين الغربيين للتنظيم أخيرا، إلى جانب ذلك نشطت أجنحة الوزارة في بث مواد إعلامية بغرض كسب تعاطف الجماهير، فصوّرت الخدمات المقدمة لأعضاء التنظيم، وعرضت مقاطع فيديو للعناية الطبية التي يتلقاها الجرحى من المقاتلين، كذلك توزيعهم الحلوى والآيس كريم على الأطفال في خطوة واضحة لكسب التعاطف والتأييد.

تخطي الحدود

ويصور جهاز داعش الإعلامي سهولة تخطي الحدود والوصول إلى مقرات داعش عبر أفلام تبث على اليوتيوب، يتحدث فيها مقاتلون عن طريقة الوصول للأراضي العراقية والسورية، ويصورون الأمر على أنه غاية في السهولة، وأظهر أحد المقاطع مقاتلا انضم أخير يقول "نحن لا نعترف بالحدود وسنكسر العقبات بين الدول".

متابعو الحسابات

يقول J.M.Berger, editor of IntelW توجد آلاف الحسابات على تويتر مرتبطة بداعش، وينقسم أصحابها إلى فئتين؛ الأولى لمتشددين والثانية لمؤيدين، وهذه الحسابات تغرد بشكل مستمر، ربما كل ثانية، وتروج للعمليات الميدانية التي ينفذها أعضاء داعش، كذلك تسوق للتهديدات والعمليات المزمع تنفيذها.

الإعلام الداخلي

يتولى قسم الأخبار التابع لقسم الإعلام الداخلي عبر نشرة النبأ التي تصدر كل أربعة أشهر توثيق الأعمال الميدانية بحسب التقسيم الجغرافي الذي أوجده داعش، وتضم النشرة التي تعدّ بمثابة أرشيف للأعمال القتالية كل الأعمال الميدانية منذ 1433، وتقدم في نهاية كل أربعة أشهر إحصاءات عن كل ما نفذ بشكل مجدول ومصنف.

حجج واهية

من جهة أخرى رصدت دار الإفتاء قيام التنظيم الإرهابي بتدشين مطبوعات إعلامية تسميها "دابق" يستند فيها إلى أدلة وحجج واهية تخدم فكره البعيد عن وسطية الدين الإسلامي وباقي التشريعات السماوية، مما يسهم في زيادة أعداد المنضمين تحت لواء هذا الفكر الإرهابي لتزداد وتيرة العنف وتعم الفوضى ويدفع الآمنون أرواحهم ثمنا للوقوع في براثن هذا الفكر التكفيري.

وأكد مستشار مفتي مصر الدكتور إبراهيم نجم أن الحروب الإعلامية لا يتم الانتصار فيها إلا بحروب إعلامية مضادة، وذات كفاءة عالية في استخدام استراتيجيات إعلامية تفاعلية، منددا بطرق المواجهة الإعلامية المنتشرة في الإعلام العالمي في الفترة الحالية، والتي تواجه الدواعش بالتركيز على مدى وحشية ممارساتهم، وكأنهم يحاولون أن يثبتوا للعالم أن التنظيم شر مطلق، إلا أن

القائمين على هذه الحملات لم يدركوا أن هذا يصب في مصلحة داعش التي نجحت في توجيه وتوظيف وسائلها ووسائل الإعلام العالمية في خدمة أهدافها المتمركزة حول نشر ثقافة الرعب والخوف من كيانهم الناشئ.

أربعة أسباب للإقبال على حسابات داعش:

أرجع تقرير عن إتقان داعش لاستخدام الإعلام الجديد وحمل عنوان "تويتر والفيس بوك استراتيجة الإيقاع بالشباب" توجه المتشددين لوسائل التواصل الاجتماعي لأسباب أربعة، هي:

1-سرعة التفاعل.

2- سهولة التغرير بأكبر شريحة عمرية مهتمة بالشبكات الاجتماعية، وهي شريحة الشباب.

3- الوصول الفوري للأفراد.

4- نوعية الأعمال القتالية المنفذة.

دور دوائر الحرب الخاصة في اعتقال قائد الشعب الكردستاني عبد الله أوجلان

يقول أوجلان في كتابه الأول من سلسلة مرافعاته المقدمة لمحكمة حقوقِ الإنسان الأوروبية "أنني أدركتُ جيداً أنّ التركياتيةَ عاجزةٌ عن ممارسةِ الحرب أو السلم باسمها. فالدور الذي أناطته الحداثة الرأسمالية بها هو أنْ تَكُونَ الحارسَ الأمين والشرطي والدركي الفظ الساعي لجعلِ كافةِ شعوبِ الشرق الأوسط، بما فيها الشعب التركي، منفتحةً لقمعِ واستغلالِ النظام الرأسمالي".

ويشير إلى دور الاستخبارات العالمية في التغلغل وإدارة تركيا، وكذلك المفاهيم الشكلية التي تدير بها الدول علاقاتها مع مسائل حقوق الانسان "أن موسكو التي تعتبر إحدى أهم المراكز الحضارية، لعبت لعبة دنيئة لا مثيل لها ضد اشتراكية الملايين حتى وإن لم يكن لهذه الاشتراكية دعائم كافية، فإنها في مسألتي أيضاً، لم تكن ستتشعر وبدون أي خجل بالانزعاج من المشاركة باللعبة، وذلك مقابل بضعة مناقصات وقرض بضعة مليارات من صندوق النقد الدولي. أما روما بحلبتها العبودية الكلاسيكية، وحساباتها الدقيقة للرأسمالية الحديثة فإنها لم تكن ستعترف بالقيم القانونية والمعنوية. وكانت تجبرني على خوض حرب كبيرة من أجل الشرف، بإرهاب نفسي لا يمكن وصفه، وكنت سأضطر للقيام بما تطلبه. أما أثينا فقد كانت ستستغل باسم الصداقة الثقة الممنوحة لها بأكثر الأشكال دناءة، حتى ان عاهرة لا يمكنها التفكير والتجرؤ على القيام بذلك وترسلني الى عاصمة كينيا، موطن آكلي لحوم البشر. لقد كان يتضح الوجه الحقيقي لحضارة القرن العشرين مع كل دقيقة تمر حيث الخسة والتعذيب والبعد عن المشاعر، ذاك الوجه القبيح الذي لا مكان للقيم الإنسانية فيه وسوى منطق المنفعة، وكنت سأظل جامداً تجاه ذلك. هذا هو الواقع الذي جمدت فيه ردود أفعالي، وهذه هي الحقيقة، فالذين ينتظرون موقفاً مختلفاً لن يستخلصوا النتائج الفكرية والمعنوية اللازمة فيما إذا لم يدركوا الحقيقة بكل جوانبها ولن يشعروا بها حتى النخاع".

بدوره، الكاتب والباحث الأوروبي المعروف (جوردن توماس)، مؤلف الكتاب المشهور (أسرار الموساد) والذي ترجمه من الهولندية إلى الكردية السيد شفيق حاجي خدري، والكتاب يتألف من 17 جزءا ويقع في 415 صفحة وفي كل جزء

نجد عدة أسرار من ملفات جهاز الاستخبارات الإسرائيلي، وفي عدة أجزاء من الكتاب يأتي ذكر الكرد في مناسبات عديدة.
وأهم الأسرار التي جاءت في الكتاب تتعلق ببدايات استحداث هذا الجهاز واختطاف طائرة الميغ (21) الروسية من قبل الطيار العراقي (منير روفا) ودور الكرد فيها، اغتيال فتحي الشقاقي، والهنداوي، أبو جهاد، ومحاولة اغتيال خالد مشعل، وعبد الله ازلين، وآخرين غيرهم، والجزء الأهم من هذا الكتاب هو كيفية اعتقال واختطاف قائد الشعب الكردستاني عبد الله أوجلان.
يقول الكاتب أن رئيس الوزراء الإسرائيلي في تلك الأثناء (بنيامين نتانياهو) كان على اتصال دائم مع رئيس جهاز الموساد (افرايم هاليفي) لغاية نهاية شهر نوفمبر عام 1998 وخاصة بعدما اتصل به رئيس وزراء تركيا الأسبق (بولند اجويد) وطلب منه مساعدة الموساد في اعتقال أوجلان، والذي كان قد تم توجيه تهمة الإرهاب إليه منذ مدة طويلة، وكان حزب العمال الكردستاني قد أشعل نيران ثورته في ثمانينات القرن الماضي، في السعي لانتزاع حقوق الشعب الكردي.
يذكر الكاتب كيف أن أوجلان استطاع وبنجاح أن يختفي من أنظار المخابرات التركية ولغاية بدء عملية (السوداء) الإسرائيلية، وأن سبب نجاح أوجلان في التملص من المخابرات التركية يرجع إلى شخصيته الساحرة التي خلقت منه شخصية مشابهة لشخصية الأنبياء والقديسين في نفوس أبناء وبنات جلدته من الكرد رجالاً ونساءً وأطفالاً، والذين كانوا مستعدين أن يضحوا بأرواحهم فداءاً له، وكان قد أصبح في نظر الكثيرين من أتباعه بمثابة البطل الأسطوري الروماني (بارونيس اورجزي)، أو بيمبيرنيلي ذو الوشاح الأبيض، الذي يمكنه أن ينقذ المنكوبين من خطر الموت، وكان كلما اجتمع اثنان أو ثلاثة من الكرد فالحديث المشترك بينهم كان عن القائد أوجلان، وكان الناس يتداولون أحاديثه وكتاباته بكل شوق واهتمام، وكان باختصار نموذجاً للخلاص والتحدي للكرد في تركيا.
جوردن توماس الذي استقى معلوماته الدقيقة من الأشخاص المقربين جداً من أصحاب القرار في إسرائيل، ومدراء الموساد، وهو يستمر في سرد هذا الموضوع، أنه في شهر نوفمبر من ذلك العام وبعد أن نجح أوجلان في الاختفاء عن الأنظار في موسكو وظهر ثانية في روما، صحيح أن الحكومة الإيطالية قد امتنعت عن تسليمه إلى تركيا ولكنها في نفس الوقت لم تقبله كلاجئ سياسي في

أراضيها، وقبل ذلك كان قد تم توجيه تهمة حيازة جواز سفر مزور إلى أوجلان من قبل الحكومة الألمانية، وتم اعتقاله لبرهة من الزمن ولكن تم إطلاق سراحه سريعاً خوفاً من الاضطرابات التي يمكن أن تخلقها الجالية الكردية الكبيرة في ألمانيا ضد الحكومة الألمانية.

وفي تلك الأثناء بالضبط جاءت المكالمة الهاتفية بين رئيس الوزراء التركي بولند اجويد وبنيامين نتانياهو والتي أشرنا إليها سابقاً.

والأسباب التي دعت إسرائيل إلى تلبية طلب تركيا ترجع حسب رأي الكاتب إلى حاجة إسرائيل الماسة إلى تكوين علاقات قوية ومباشرة مع تركيا، خدمة لاستراتيجيتها من اجل تطوير دبلوماسيتها في المنطقة، ولذا وعد نتانياهو اجويد بتلبية الطلب وأوعز إلى (افرايم هاليفي) رئيس جهاز الموساد، بان يجد أوجلان بأي ثمن، وتم تسمية العملية (بالسوداء) أي أن تفاصيلها يجب أن تبقى في الظلام وطي الكتمان وحتى في حالة نجاحها فان الفخر يجب أن يوعز لجهاز المخابرات التركية حصراً وليس إلى الموساد الإسرائيلي.

وهكذا تبدأ الخطة بالاسم الحركي (العين المفتوحة)، ولو أن توقيت العملية قد أثار قلق وانزعاج (هاليفي) الذي كان يدير في نفس الوقت بعض النشاطات المخابراتية في داخل العراق، حيث كان العمل جار على قدم وساق مع المنتفضين الكرد من اجل إسقاط نظام صدام، وعليه أن يكون حذراً حتى لا تفسد هذه الخطة الجديدة سابقتها.

تم إرسال ستة وكلاء للموساد إلى روما، من ضمنهم امرأة وعدد من الخبراء في تكنولوجيا الاتصالات، وهكذا بدأت الخطة، وقد استقروا في شقة تابعة للموساد قريبة من بانتيون، ومن هناك كانوا ينفذون مهمتهم، حيث كانت شقتهم تطّل على الشقة التي كان يقبع فيها أوجلان وهي ليست ببعيدة عن مقر الفاتيكان، وقد كانت المهمة الموكلة للمرأة الإسرائيلية في المجموعة محاولة الاتصال بالسيد أوجلان تحت أي غطاء ممكن، وهي التي كانت قد دربت سابقاً من قبل العناصر النسائية في الموساد أثناء الاتصال بالعالم النووي الإسرائيلي (مردخاي فانونو) الذي تم خطفه من روما قبل عشر سنين، ولكن هذه الخطة لم تنجح مع أوجلان لأنه ترك روما مبكراً وحتى قبل أن تنسج أية خطة لذلك.

وبعدها بدأت المجموعة المخابراتية الإسرائيلية في تتبع أثر أوجلان في كل دول حوض الأبيض المتوسط، مثل إسبانيا والبرتغال، تونس ومراكش وسوريا، وكان أوجلان بالفعل متواجداً في كل هذه الدول، ولكن لعدم إمكانية حصوله على حق اللجوء كان يضطر إلى تركها والتوجه من دولة صوب أخرى، وفي الثاني من شباط عام 1999 ظهر أوجلان مرة أخرى في هولندا، ولكن الحكومة الهولندية لم تقبل وجوده على أراضيها، و قد اخبر ضابط أمن هولندي في مطار(سخي بولهي) في أمستردام مركز خوجيي للموساد الإسرائيلي في هولندا بالأمر، وأعلمهم بان القائد أوجلان قد توجه إلى نيروبي على متن طائرة تابعة لخطوط (كي.ايل. ام) الهولندية، وهكذا اقتفى فريق الموساد أثر السيد أوجلان المتوجه نحو العاصمة الكينية نيروبي في الخامس من شباط 1999 .

كانت إسرائيل وكينيا قد أقامتا ولسنين طويلة علاقات وثيقة في المجالات المخابراتية، وكان عملاء الموساد نشيطين في أفريقيا الوسطى، وغالباً ما كانوا يطلعون المخابرات الكينية على فعاليات شبكات التجسس للدول الأجنبية التي تعمل على الأراضي الكينية، ولذا كانت الأجهزة الأمنية الكينية تولي اهتماما متزايداً، وتعطي خصوصية للموساد بأن تسرح وتمرح في أراضيها كيفما تشاء، وكانت تسمح لها بان يكون لديها مساكن سرية وآمنة داخل المدن الكينية وان تكون على اتصال وثيق بكل الأجهزة المخابراتية الكينية في عموم كينيا.

ومما هو جدير بالذكر أن الكاتب قد استغرق سنين عديدة في جمع المعلومات الدقيقة من مصادرها الموثوقة وحتى انه كان على اتصال مع القادة العرب أيضا من أمثال محمود عباس وياسر عرفات، ويستطرد الكاتب بان فرقة الموساد المكلفة قد استطاعت وبسرعة قياسية إيجاد موقع السيد أوجلان في نيروبي، والذي كان متواجدا في دار السفارة اليونانية هناك، وفي بعض الأحيان كان هناك بعض الكرد (والذين كان الموساد يعتقدون بأنهم من حراس أوجلان الشخصيين) يخرجون ويدخلون الدار، وكان رئيس فرقة الموساد يطلع رؤساءه في تل أبيب كل ليلة بالموقف الدقيق عن مهمته، وكان ردّ تل أبيب كالآتي (راقبوه بدقة ولا تفعلوا أي شيء بانتظار الأوامر) وفجأة جاءت الأوامر التي تقول (عليكم أن تخرجوا أوجلان من البناية بأي شكل وخطفه إلى تركيا)، وكانت تلكم الأوامر صادرة من (هاليفي) شخصياً.

ويستمر جوردن توماس في سرد مجريات الأحداث ويقول: لقد ساعد الحظ والظروف المؤاتية الفرقة الإسرائيلية كما يبدو، حينما خرج احد الكرد المرافقين لأوجلان وتوجه إلى حانه قريبة من فندق نورفولك وهو مكان قصي في ضواحي نيروبي، وبحركة كلاسيكية من ممارسات الموساد المعروفة، اقترب احد عملاء الموساد ذات السحنة السمراء وبلغة كردية فصيحة من المرافق المذكور وعرّفّ نفسه بأنه من الكرد المقيمين والعاملين في نيروبي، وبعد تجاذب أطراف الحديث اطمأن المرافق (لزميله) الكردي واخبره بان السيد أوجلان في وضع صعب وان آخر طلباته للحصول على اللجوء السياسي في دولة أفريقيا الجنوبية قد رفض، (وكانت الفرقة المخابراتية قد استخدمت أجهزتها التكنيكية في التصنت على كل مكالمات السيد أوجلان من داخل السفارة اليونانية وعلى اطلاع تام بكل تلك الأحاديث التي جرت تلفونيا، ولذلك فإنها قد أعّدت خطة محكمة بناءاً على تلك المعلومات)، وكان واضحاً أن اليونان أيضا قد رفضت طلب أوجلان في منحه فرصة للتوجه إلى أراضيها.

الآن قد جاء دور العميل (الكردي) في العملية، حيث هاتف (زميله) مرافق السيد أوجلان الذي التقاه في الحانة قبل أيام وطلب منه الحضور إلى نفس الحانة للتداول في أمر هام، وفعلاً تم اللقاء الذي أخبر فيها العميل الكردي مرافق السيد أوجلان بان حياة أوجلان في خطر إذا استمر بالبقاء في دار السفارة اليونانية، والأمل الوحيد له هو أن يتوجه إلى مناصريه في الجبال، وفي تلك الجبال والمناطق الواسعة يستطيع حماية نفسه وإيجاد مكان آمن له، ويظهر أن الموساد قد استفادت من التصنت على مكالماته لقراءة أفكاره وكشف خططه، وهكذا طلب عميل الموساد من مرافق السيد أوجلان أن يرجع إلى دار السفارة وأن يقنع السيد أوجلان بان يخرج من السفارة ويلتقي به من اجل ترتيب كيفية وصوله إلى جبال كوردستان، وهكذا تم نصب الشرك بكل دقة وبساطة، والآن أنهم في الانتظار كيف ومتى ستصيد الشرك فريستها.

ويستمر الكاتب في سرد مجريات القصة وكيف أن للموساد إمكانيات كبيرة في مثل هذه الإعمال وحتى يتساءل كيف استطاع الموساد من الحصول على عميل كردي ينفذ له الجزء المهم من الخطة ألا وهو الإيقاع بالسيد أوجلان.

وبناءاً على المكالمات اللاسلكية الصادرة من السفارة اليونانية والتي كانت ترصد من قبل الفرقة المخابراتية للموساد أولاً بأول، كانت السفارة اليونانية قد بدأت تتضايق أكثر فأكثر من وجود السيد أوجلان في سفارتها والأكثر من ذلك وبموجب رسالة سرية من رئيس وزراء اليونان كوستاس سيميتيس الى سفيرها في كينيا (أن استمرار وجود أوجلان في دار السفارة قد تعرض اليونان إلى ورطة سياسية أو حتى مواجهة عسكرية مع تركيا).

والآن فقط أيقن الموساد أن جهودها في عملية اعتقال أوجلان قد أشرفت على النجاح، وفي صباح اليوم التالي هبطت طائرة من نوع فالكون 900 في مطار نيلسون في نيروبي لتكملة المهمة، وقد ذكر قبطان الطائرة لسلطات المطار بأنه قد حضر إلى نيروبي لاصطحاب مجموعة تجارية لحضور مؤتمر اقتصادي في أثينا، والذي حدث بعد ذلك لا يزال الحديث حوله ساخناً، منها ما ذكره محامي أوجلان الألماني الجنسية الذي قال أن موكله قد تم إخراجه عنوة من قبل السلطات الكينية إلى خارج دار السفارة ومن ثم تم اعتقاله، ولكن الحكومة الكينية والسفارة اليونانية قد أنكرتا هذه التهمة بشدة، وقد ادعى اليونانيون بان القائد الكردي قد ترك دار السفارة بمحض إرادته ودون الالتفات حتى إلى أراء مشاوريه **!!!** على أية حال فأن الطائرة التي وضع فيها السيد أوجلان قد أقلعت من نيروبي نحو تركيا.

وبمجرد ترك الطائرة أجواء كينيا فان العديد من الأسئلة قد فرضت نفسها، هل أن فرقة الموساد التي نفذت المهمة قد خدّرت أوجلان بمجرد خروجه أو إخراجه من دار السفارة؟ أم أنهم قد اختطفوه في الشارع بنفس الطريقة التي تم بها اختطاف ادولف ايخمان في شوارع بيونس ايرس؟؟ وهل أن كينيا قد أغمضت الطرف عن هكذا عمل غير قانوني ومنافي لكل الأعراف الدولية؟

والحقيقة تقال انه لولا الموساد وإمكانياته المعروفة لكان من الصعوبة بمكان أن تستطيع تركيا وكل أجهزته المخابراتية اعتقال أوجلان علما بأنها قد جرّبتها في السابق وفشلت فيها فشلا ذريعاً، ولكن وكما يقول توماس وبعد عدة ساعات من اعتقال السيد أوجلان وإيداعه في إحدى السجون التركية خرج (بولند ايجويد) من خلال شاشة التلفزيون ليزف بشرى اعتقال السيد أجلان واعتباره نصرا للمخابرات التركية، العملية التي استغرقت اثنا عشر يوما وهو لم يشر لا من قريب ولا من بعيد بطبيعة الحال لدور الموساد في تلك العملية **!!!**

التدابير اللازمة التي يجب اتخاذها تجاه الحرب الخاصة

الشعوب تقوم بعمليات نفسية وقائية وأخرى مضادة:
أ-الأيديولوجيا: يجب على المجتمع والفرد وأن يمتلكوا قوة فكرية ذهنية لمجابهة الانحرافات الحاصلة في المجتمع البشري، لأن الحداثة الرأسمالية تستخدم جميع أساليب الحرب الخاصة وخاصة الأساليب الثلاثة الأساسية (ثالوث الموت).
وعلينا تكثيف النضال الأيديولوجي الذي يقع على عاتقنا، فيتوجب علينا معرفة التعمق التاريخي ومعرفة السلطة بشكل جيد، وتطوير الثقافة المعنوية والأخلاقية للفرد والمجتمع، وخاصة تطوير العلاقات والقيم الاجتماعية لدى المجتمع والحصول على توعية ثقافية مرتبطة بإرث المجتمعات التاريخية وتطوير فكر وذهنية؛ بعيدة عن المفاهيم السلطوية الفردية والأنانية، وتطوير الذهنية الديمقراطية التشاركية المرتبطة بقيم ومقاييس المنظومة الأخلاقية للحياة الحرة.
وبالمقابل يجب تطوير السياسة الديمقراطية أي توعية المجتمع والفرد من الناحية السياسية للوصول إلى إرادة حرة يستطيع المجتمع والفرد من خلالها مجابهة كافة الذهنيات العبودية التي تستخدمها الأنظمة الحاكمة كحرب خاصة ضد إرادة المجتمع.
فالأنظمة الرأسمالية تستخدم الإبادة الثقافية والروحية من جهة، ومن جهة أخرى تقوم بارتكاب الإبادة الجسدية بهدف سلب إرادة المجتمع، وتحويله إلى قطيع، لذا يجب على المجتمع الوصول إلى توعية سياسية ثقافية وبناء نظامه الديمقراطي الاجتماعي خارج نطاق السلطة والدولة، ومن ناحية أخرى يجب تطوير المقاييس الأخلاقية في مفهوم الحرية لدى المجتمع.
ومفهوم الحرية هو خلق الذات في كل لحظة لتجاوز الذهنيات الدوغمائية حتى يستطيع المجتمع والفرد القيام بالنضال ضد الذهنية القالبية المتحكمة من قبل الأنظمة الرأسمالية والقوموية.
وفي نضالنا حيال الحرب الخاصة يجب أن نتخلص من جميع المفاهيم التعصبية (الدينية – القومية – الجنسوية – العلموية) وهذه التعصبات هي الركائز الأساسية التي يستند عليها الحرب الخاصة مع تواجد تلك المفاهيم المتعصبة بين شرائح

المجتمع لن يستطيع التغلب على مفاهيم الحرب الخاصة وسيبقى تحت تأثيرها ما لم يقم بالنضال ضد الحرب الخاصة عبر الركائز التالية:

1- علاقة الإنسان مع الطبيعة عبر إقامة مجتمع إيكولوجي.
2- علاقة الإنسان بالإنسان عبر إقامة مجتمع ديمقراطي.
ت- العلاقة بين الجنسين ببناء مجتمع متحرر جنسوياً.

ب- علم المعنى: يجب إعطاء المعنى للحياة بدءاً بالذرة وانتهاء بالكون الذي نعيش فيه؛ ومعرفة جميع القضايا التي تواجه المجتمع والتناقضات التي يعيشها الفرد والمجتمع بشكل مستمر والمتعمقة في معرفة السياسة السلطوية التي تستعيد المجتمع والفرد في آن واحد كما يقول الفيلسوف الألماني كاروخ سبينوزا (إعطاء المعنى للأشياء هي الحرية بحد ذاتها). لأن المجتمع الفاقد للمعنى هو مجتمع جاهل والجهالة هي أساس التي يبنى عليها الحرب الخاصة.
وكما يقول القائد آبو:(يجب تطوير علم المعنى وأن نستخدم المعنى كعلم في مجتمعات الشرق الأوسط). لأن ذهنية الشرق الأوسط تعيش في دوامة وفاقدة للمعنى؛ لذا تعيش المجتمعات الشرق أوسطية تحت تأثير الحرب الخاصة التي تستخدمها الحداثة الرأسمالية في العالم، وثنائية السيد والعبد هو الحاكم في ذهنية الشرق الأوسط.
وإذا لم نستطع التخلص من هذه الذهنيات سنبقى أسرى لمفاهيم الحرب الخاصة.

ج- الشخصية: لها تأثير كبير على الحالة المجتمعية، والشخصية تتمثل بمواقف يجب اتخاذها حيال المفاهيم الخاطئة، وعليها أن تمتلك ثقافة تنظيمية؛ فالشخصية المنظمة تستطيع أن تجابه الحرب الخاصة بكل ثقة، والشخصية العشوائية الفاقدة للثقافة التنظيمية سيتحول إلى أرضية خصبة لمفاهيم الحرب الخاصة.
وستصبح أداة للأنظمة الحاكمة والعديد من هذه الأمثلة تعيش في مؤسساتنا، كالشخصيات الضعيفة التي تتأثر بالمادية والروح الفردية؛ والمسائل الشخصية بدون إرادة تخدم مصالح أعداء الثورة المجتمعية.
لذا يجب إيجاد شخصية تنظيمية واعية وطنية ولها مقاييس أخلاقية، حتى يستطيع مجابهة وإفراغ سياسة الحرب الخاصة.

لأن الحرب الخاصة موجودة في كل لحظة ومستمرة وهذا يحتاج إلى مقاومة مستمرة في كل لحظة.

المصادر

- سلسلة مرافعات قائد الشعب االكردستاني عبد الله اوجلان المقدمة إلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية.
- عبد الله بلقزيز "الرياضة وتجارة الجسد".
- موقع رصيف 22.
- جيهان رشتي، الدعاية واستخدام الراديو في الحرب النفسية.
- جوزيف ناي: القوة الناعمة.
- معهد راند الأمريكي للأبحاث الدفاعية، دراسة "بناء شبكات اسلامية معتدلة".
- موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية.
- حضارة العرب / جوستاف لوبون.
- راسم الجمال ، نظام الاتصال والإعلام الدولي (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية 2005).
- محمود عرفات، أردوغان قصة سراب.
- جيهان رشتي : الإعلام الدولي (القاهرة : دار الكتب 2007).
- غادة الشامي، لماذا القدرات الخارقة والسيطرة على العالم؟
- آريا توبراق، الترجمة كوسيلة للصهر بعد تأسيس الجمهورية التركية
- خضر خضور، الحروب المحليّة وفرص السلام اللامركزي في سورية.
- اسماعيل بيشكجي، كردستان مستعمرة دولية.
- هيومن رايتس ووتش، إنكار الوجود.